جمهورية العراق

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية

قسم اللغة العربية

خطب الجهاد عند الإمام علي (عليه السلام)
دراسة حجاجية

رسالة مقدمة إلى مجلس كلية العلوم الإسلامية /جامعة كربلاء

وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في اللغة العربية/ لغة القرآن وآدابها

كتبت من قبل :

حسين مجيد سلمان

بإشراف :

أ.م.د تغريد عبد الأمير الخفاجي

شباط ٢٠٢٣ م **رجب ١٤٤٤ هـ**

بسم الله الرحمن الرحيم

وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلاَ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَن يَشَاء رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَ.

صدق الله العلي العظيم

{سورة الأنعام : آية ٨٠}

ترشيح الرسالة للطبع

نظرًا لإنجاز فصول ومباحث الرسالة الموسومة بـ (**خطب الجهاد عند الإمام علي (عليه السلام) دراسة حجاجية**) لطالب الماجستير(**حسين مجيد سلمان عناد**) فأني أُرشحها للطبع .

التوقيع:

المشرف : أ.م.د. تغريد عبد الأمير الحجامي

مكان العمل: كلية العلوم الإسلامية

التاريخ: ٢٠/١١/٢٠٢٢

إقرار المشرف

أشهد أن الرسالة الموسومة بـ (خطب الجهاد عند الإمام علي (عليه السلام) دراسة حجاجية) التي قدمها الطالب (حسين مجيد سلمان عناد) قد تم إعدادها تحت إشرافي في جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في لغة القرآن وآدابها .

التوقيع:

المرتبة العلمية : استاذ مساعد دكتور

الإسم: د. نغم يدعبد الأمير مرصوص الحنا

مكان العمل: كلية العلوم الإسلامية

التاريخ: ٢٧ / ١١ / ٢٠٢٢

بناءً على التوصيات المتوافرة أرشح هذه الرسالة للمناقشة.

التوقيع :

الاسم: أ.م.د. وصفاء حسين لطيف

التاريخ: ٢٧ / ١١ / ٢٠٢٢

إقرار لجنة المناقشة

نشهد نحن رئيس وأعضاء لجنة المناقشة بأننا اطلعنا على هذه الرسالة الموسومة بـ (خطب الجهاد عند الإمام علي (عليه السلام) دراسة حجاجية) وناقشنا الطالب (حسين مجيد سلمان) في محتواها وفيما له علاقة بها ونعتقد أنها جديرة بالقبول بتقدير (جيد جداً) لنيل درجة الماجستير في لغة القرآن وآدابها .

التوقيع:

الاسم: أ.د عبود جودي الحلي

المنصب في اللجنة: رئيساً

التاريخ: ٢٠٢٣/٣/٦

التوقيع:

الاسم: أ.د مكي محي عيدان الكلابي

المنصب في اللجنة: عضواً

التاريخ: ٢٠٢٣/٣/٦

التوقيع:

الاسم: أ.م.د حوراء عزيز عليوي

المنصب في اللجنة: عضواً

التاريخ: ٢٠٢٣/٣/٦

التوقيع:

الاسم: أ.م.د تغريد عبد الأمير الخفاجي

المنصب في اللجنة: عضواً ومشرفاً

التاريخ: ٢٠٢٣/٣/٦

صدقت في عمادة كلية العلوم الإسلامية/جامعة كربلاء

التوقيع

الاسم: **أ.د ضرغام كريم كاظم الموسوي**

العميد وكالة

التاريخ: 2023/3/6

الإهداء

إلى من قال فيه ربَّ العزّة في محكمِ كتابهِ الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

{وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيم}

{الزخرف :٤}

إلى من قال فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).: " يا علي أنتَ مني بمنزلةِ هارونَ من موسى إلا إنهُ لا نبيَّ بَعدي ".

أليك سيدي ومولاي يا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)

أهدي بحثي هذا .....

شكر وتقدير

وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ

{سورة لقمان:آية١٢}

الحمد لله والشكر له أولاً وأخراً الذي وفقني وهداني لإكمال عملي هذا .

ومن لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق ، واجباً وعرفانا أن أتقدم بالشكر الجزيل والثناء الجميل إلى عمادة كلية العلوم الإسلامية بعميدها ومعاونيه الأفاضل ، واعترافا بالفضل والإحسان أتقدم بالشكر إلى رئاسة قسم اللغة العربية المتمثلة برئيسها المفضال ، واساتيذه المحترمون الذين طالما نهلت من علومهم في مرحلة البكالوريوس والماجستير فقد بذلوا جهدا أعجز عن وصفه وما زلت أنهل من علومهم ... ، ولا يفوتني أن أخص بالذكر أستاذتي ومشرفتي الأستاذ المساعد الدكتورة (تغريد عبد الأمير الخفاجي) التي طالما قدمت لي النصح والإرشاد طيلة كتابة البحث ، فأسأل الله أن يعقبها بذلك خيراً.

وأرجوا من الله أن ينال عملي هذا الرضا والقبول ، ومعذرة إن كنت أخطأت أو قصرت فإنني لا أدعي الكمال في عملي هذا .

الخلاصة

لقد أثرت التغيرات الفكرية والفلسفية في القناعات البحثية مما أثر في إنتاج مناهج التحليل وتبنيها مهمة قراءة النصوص وتوضيح الأفكار ، وما حدث من تداعيات بعد موجة الحداثة التي طرأت على مناهج وآليات التحليل ، أثرت ايما تأثير في بنية التفكير وتقنيات التحليل ، إذ كان من أهم تلك التداعيات التي حصلت في التفكير هو طرائق التفكير بالخطاب بعد تجاوز العقل التفكير بالجملة والنص .

فكان المنهج الحجاجي واحداً من أهم معطيات ذلك التداعي في عمليات التفكير والتحليل ، إذ كان منهجا لقراءة النصوص وتحليلها عن طريق كشف المقاصد من النص ، ومن ثم يتحرك الحجاج نحو إقناع المخاطب لتحقيق الغاية المرجوة من عملية التخاطب بين (المُخاطِب و المُخاطَب) ، إذ تتمثل أهمية الأساليب الحجاجية بإظهار الجوانب الإقناعية لكل نص وردت فيه ، والتي تهدف الى إقناع المتلقي ، أو تغيير معتقده في قضية ما ، أو سلوكه أتجاه أمر معين .

وليكون البحث منتجاً فقد آليت أن أختار نصاً مباركاً من تراث أهل بيت النبوة (عليهم السلام) ذلك هو خطب الجهاد عند الإمام علي (عليه السلام) ، محاولاً الكشف عن اليات الحجاج وأساليبه الإقناعية في نصوص تلك الخطب ، وطرائق التأثير والإقناع في المخاطب .

تهدف هذه الدراسة إلى بيان الأساليب والآليات الحجاجية في خطب الجهاد عند الإمام علي (عليه السلام) ودورها في عملية التأثير والإقناع ، فكان الفصل الأول في الحجاج الإيقاعي وأساليبه من (السجع والجناس والتكرار والإزدواج والتوازي) والفصل الثاني في الحجاج اللغوي ومن أساليبه (العوامل الحجاجية والروابط الحجاجية والسلالم الحجاجية) أما الفصل الثالث فكان في الحجاج البلاغي ومن أساليبه (التشبيه والإستعارة والكناية والإقتباس القرآني) وبيان ما انطوت عليه

الخلاصة

هذه الأساليب من حجج إقناعية قادرة على التأثير في المخاطب واستمالته لما يعرض عليه وفق منظور

حجاجي يعمل على تحليل النص أو الخطاب إلى أساليبه وعوامله الحجاجية المختلفة ، وبيان دورها في الخطاب الجهادي والذي تحول إلى خطاب حجاجي بفعل تلك الأساليب والآليات الحجاجية الإقناعية لأجل تحقيق الدعوة إلى الجهاد في سبيل الله .

المحتويات

قائمة المحتويات الصفحة

العنوان..... .....

الآية القرآنية..... ..... أ

الإهداء .... ب

شكر وتقدير..... ج

الخلاصة..... ..... د-هـ

قائمة المحتويات..... ..... و-ز

المقدمة..... ..... ١- ٦

التمهيد ٧-١٧

المطلب الأول : الخطابة لغة واصطلاحاً..... ..... ٨-٩

المطلب الثاني: خطب الجهاد (المفهوم والمناسبة)..... ١٠-١١

المطلب الثالث : الحجاج لغة واصطلاحاً..... ..... ١٢-١٣

المطلب الرابع : الخطاب الحجاجي وتأثيره..... ..... ١٤-١٥

المطلب الخامس : خصوصية الخطاب الحجاجي في خطب الجهاد..... ١٦- ١٧

الفصل الأول : الحجاج الإيقاعي في خطب الجهاد..... ..... ١٨-٨٣

توطئة..... ..... ١٩ -٢٣

المبحث الأول : السجع الحجاجي .... ٢٤ -٣٥

المبحث الثاني : الجناس الحجاجي..... ٣٦-٤٨

المبحث الثالث : التكرار الحجاجي..... ٤٩-٦٧

المبحث الرابع: الإزدواج الحجاجي..... ٦٨-٧١

المبحث الخامس: التوازي الحجاجي..... ..... ٧٢-٨٣

الفصل الثاني : الحجاج اللغوي في خطب الجهاد ٨٤-١٣٣

توطئة..... ٨٩-٩١

المبحث الأول : العوامل الحجاجية ٩٢-١٠٤

المبحث الثاني : الروابط الحجاجية..... ..... ١٠٥-١٢٤

المبحث الثالث: السلالم الحجاجية..... ١٢٥-١٣٣

المحتويات

الفصل الثالث: الحجاج البلاغي في خطب الجهاد..... ..... ١٣٤-١٧٨

توطئة..... ..... ١٤٠-١٤٢

المبحث الأول : التشبيه الحجاجي..... ..... ١٤٣-١٥٢

المبحث الثاني: الإستعارة الحجاجية..... ..... ١٥٣-١٦٠

المبحث الثالث: الكناية الحجاجية ١٦١-١٧٢

المبحث الرابع : الشاهد القرآني الحجاجي..... ..... ١٧٣-١٧٨

الخاتمة..... ..... ١٧٩-١٨٣

المصادر والمراجع..... ١٨٤-١٩٦

ملخص باللغة الإنكليزية..... A-B

العنوان باللغة الإنكليزية .....

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين نحمدهُ ونستعينه، ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، ونسأله التوفيق فيما نأتي ونذر ، وصلى الله على نبينا محمد أمين الله على وحيه ، وعزائم أمره ، الخاتم لما سبق ، والفاتح لما أستقبل ، والمهيمن على ذلك كله ، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين .

وبعد :

فإن الحجاج يُعَد عنصرًا هامًا من عناصر النظرية التداولية ، لما له من أهمية فعالة في صياغة الخطاب بأسلوب إقناعي قادر على التأثير في المقابل بغية إقناعه بفحوى الخطاب ، فقد كانت غاية النظرية الحجاجية تدور حول المتلقي لأجل تحقيق التأثير والإقناع فيه وإستمالته لما يعرض عليه من خلال أساليب وآليات حجاجية إقناعية .

لقد برزت أهمية الحجاج في الدراسات العربية القديمة والحديثة ، فقد شرّع أغلب الباحثين لدراسته وتطبيقه على النصوص والخطابات ، وقد شاع استعماله منذ البدء في الدفاع عن الدين والعقيدة وفي الانتصار للآراء واختلاف وجهات النظر وأيضا شاع استعماله بين القادة والخطباء لجذب الناس والتأثير فيهم ، لذا فقد ابتعد الحجاج عن دراسته ضمن الفلسفة وإنما يعمل في مجال البلاغة والدلالة لقدرته على تكوين دلالة النصوص لدى المتلقي ، فقد كان في البدء متداخلًا مع مفهوم الجدل إلى إن أصبح مستقلًا عنه بفضل أدوات تحليل الخطاب التي يتمتع بها من خلال الآليات والأساليب الإقناعية التي تكون قادرة على إبعاد أي شك أو ريب أو إنكار من خلال المنطق والعقل لكي يصل إلى غايته المنشودة في تقوية حجة الخطاب وبرهانه .

لقد كانت خطب الجهاد عند الإمام علي (عليه السلام) بمثابة البؤرة الأولى للحجاج في صدر الإسلام ، إذ أتكأ عليه الإمام بقصد واضح وجلي لأجل التأثير في المقابل ، لذلك فأن الحجاج في النثر العربي قد أنطلق من رحم الخطابة العربية ، ولهذا

جاءت خطب الجهاد عبارة عن حجج متتالية لتحقيق الإقناع والتأثير فهي أسباب ونتائج ، فالجهاد من أسباب دخول الجنة ، ومن نتائج تركه الذل والعار في الدنيا والآخرة ، لذلك دعا الإمام علي (عليه السلام) أنصاره وأصحابه إلى القتال والدفاع عن النفس والدين تارة وأخرى من خلال الخطاب الجهادي المشتمل على أساليب وآليات حجاجية إقناعية ، فضلا عن ذلك ما تحمله تلك الخطب من مضامين معرفية قادرة على شحذ الهمم والدعوة إلى الجهاد في سبيل الله .

أما أهم الأسباب التي دعت الباحث إلى اختيار موضوع (خطب الجهاد عند الإمام علي (عليه السلام) دراسة حجاجية) موضع الدرس ما يلي :

- حب الدراسة والخوض في نتاج أهل البيت (عليهم السلام) .
- معرفة ما تحمله تلك الخطب من كنوز معرفية عظيمة .
- كثرة الأساليب الحجاجية والإقناعية المتضمنة في خطب الجهاد .
- وحدة الموضوع في جميع خطب الجهاد من خلال الدعوة إلى الجهاد في سبيل الله وعدم التقاعس عنه .
- تمتع خطب الجهاد بالخصائص الحجاجية المتنوعة .
- التمكن من دراسة الحجاج باعتباره دخل حديثا إلى الدراسات الأكاديمية .
- عدم توافر دراسة حجاجية تجمع خطب الجهاد عند الإمام علي (عليه السلام) عسى أن يكون لي السبق في ذلك .

تشمل هذه الدراسة عرضًا لأهم آليات نظرية الحجاج (الإيقاعية ، واللغوية ، والبلاغية) في خطب الجهاد عند الإمام علي (عليه السلام) ، بالاعتماد على دراسة مجموعة من الشواهد الحجاجية المتضمنة في تلك الخطب لغرض الدعوة الى الجهاد ، وأساليب إقناعية مميزة قادرة على التأثير في المتلقي بتنوع استراتيجيات الحجاج التي اعتمدها المتكلم لتحقيق غرضه من الخطاب .

ووفق هذه الدراسة اقتضت طبيعة البحث أن يقوم بثلاثة فصول تسبقها مقدمة وتمهيد وتتبعها خاتمة بأهم النتائج ، إما التمهيد فقد أشتمل على خمسة مطالب تكون مدخلاً لدراسة البحث ، وهي ما يلي :

الأول : تناول فيه الباحث مفهوم الخطابة بالمعنى اللغوي والاصطلاحي ، أما الثاني : فقد اختص بالحديث عن مفهوم خطب الجهاد والمناسبات التي قيلت فيها ، أما المطلب الثالث : فقد كان للتعريف بمفهوم الحجاج لغة واصطلاحا ، والمطلب الرابع : كان في بيان الخطاب الحجاجي وتأثيره على المتلقي ، أما المطلب الخامس : فقد تعرض لبيان خصوصية الخطاب الحجاجي في خطب الجهاد .

أما فصول الدراسة فقد اختص الفصل الأول بدراسة(الحجاج الإيقاعي في خطب الجهاد عند الإمام علي (عليه السلام)) وبيان ما له من أثر في تحقيق الإقناع في الخطاب عن طريق موسيقى الإيقاع وما تحدثه في النفس من ميل وجذب لها والتي تعمل على التأثير في المتلقي من عناصر الإيقاع المتوافرة في خطب الجهاد ومنها (السجع ، والجناس ، والتكرار ، والازدواج ، والتوازي) ومعرفة دور كل عنصر منها في إقناع المتلقي .

وتناول الفصل الثاني (الحجاج اللغوي في خطب الجهاد) إذ تم من خلاله بيان أن وظيفة اللغة الحجاجية هي أشمل من الوظيفة الإخبارية وأنها علامات توظف للإستعمال والتواصل فقط ، إذ اشتملت مباحث هذا الفصل على (العوامل الحجاجية ، والروابط الحجاجية) وبيان ما لها من أثر في ربط النصوص وإضفاء سمة حجاجية إقناعية على الخطاب بالاعتماد على معطيات وحجج ليصل الخطاب الى غايته المنشودة ، ومن ثم ختم الفصل ب (السلالم الحجاجية) التي تعمل على تدرج الحجج في السلم الحجاجي من القوية إلى الضعيفة أو العكس لكي تصل إلى النتيجة المقصودة تصاعديا أو تنازليا أو من خلال تراكم الحجج في السلم الحجاجي لتحقيق التأثير والإقناع .

أما الفصل الثالث فقد اختص ب (الحجاج البلاغي في خطب الجهاد) فهو مكمل للفصلين السابقين بإعتبار البلاغة متداخلة مع نظرية الحجاج ، من خلال بيان أثر الصور البلاغية والبيانية في عملية الإقناع ، اعتمادا على الصور البلاغية التي توافرت في خطب الجهاد ومنها (التشبيه الحجاجي ، والاستعارة الحجاجية ، والكناية الحجاجية) مبينا الجانب الجمالي والحجاجي الذي حققته هذه الصور في الخطاب الجهادي ، وقد ختم الفصل بمبحث (الإقتباس القرآني الحجاجي) بإعتبار الشاهد القرآني من أسس بلاغة الخطاب لأنه يعد حجة بالغة وسلطة دينية عليا ، فقد أسهم بتقوية حجة الخطاب من خلال الإستشهاد به في مجرى الخطب .

وأعقَب تلك الفصول ، خاتمة لأهم النتائج التي خرج بها البحث عبر فصوله الثلاثة ، وأردفت بفهرس المصادر والمراجع التي اعتمد عليها البحث .

أما المنهج المتبع في هذه الدراسة فهو المنهج الوصفي الذي يقوم على وصف مجموعة من الشواهد والقضايا التي تدخل ضمن إطار هذه الدراسة ، ومن ثم أخذها بالتحليل والمناقشة لكي يصل الخطاب إلى النتيجة التي أراد تحقيقها لدى المتلقي ، وبيان المسائل المهمة التي طرحها المنهج الحجاجي .

أما أهم المصادر والمراجع التي اعتُمِدت لإنجاز هذا البحث ، ومنها (كتاب بلاغة الخطاب الإقناعي) لمحمد العمري ، وكتب (الحجاج في اللغة ، والحجاج والمعنى الحجاجي) لأبي بكر العزاوي ،كذلك (أطروحة دكتوراه الموسومة بآليات الحجاج في الخطاب السياسي ، الرسائل السياسية للأمير عبد القادر نموذجًا ، للباحثة نورية عرباوي ، جامعة وهران ،كلية الآداب والفنون ، الجزائر ، سنة ٢٠١٨م) و الكتب الأخرى التي تشتمل على علوم البلاغة العربية والمصادر الحجاجية المختلفة ، وغيرها الكثير .

وختاما بعد شكر الله سبحانه وتعالى الذي تعجز عنه الكلمات ، أتقدم بالشكر الجزيل والثناء الجميل لأستاذتي المشرفة الأستاذ المساعد الدكتورة (تغريد الخفاجي) لكل

ما قدمته لي من نصح وتوجيهات مستمرة خلال فترة البحث ، فأسأل الله أن يعقبها بذلك خيراً كثيراً .

وأخيرا ، لست أدعي الكمال والتمام لعملي هذا ، أو إني قد وفيت هذه الدراسة حقها بالتقصي والتحليل ، لكنني أرجو من الله التوفيق والسداد من خلال هذا الجهد اليسير.

الباحث

التمهيد

خطب الجهاد والحجاج (المصطلح والاشتغال المعرفي)

المطلب الاول : الخطابة لغة واصطلاحا

المطلب الثاني : خطب الجهاد (المفهوم والمناسبة)

المطلب الثالث : الحجاج لغة واصطلاحا

المطلب الرابع : الخطاب الحجاجي وتأثيره

المطلب الخامس : خصوصية الخطاب الحجاجي في خطب الجهاد

المطلب الاول : الخطابة لغة واصطلاحا :

الخطابة لغة :

عرَّف الزمخشري(٥٢٨هـ) المعنى اللغوي للخطابة في قوله : " خاطبه احسن خطاب وهو المواجهة بالكلام ، وخطب الخطيب خطبة حسنة ، واختطب القوم فلانا ، دعوه أن يخطب اليهم ....." .[١] إما ابن منظور(٧١١هـ) فيقول في لسان العرب : " خطب فلان على المنبر خطبة (بضم الخاء) ، وخطب بفتح الخاء ، يخطب ، خطبة " .[٢] وهي مصدر من الفعل (خطب) ، اي صار خطيبا ، وخطب الخاطب على المنبر خطابه ، وقرأ الخطبة على من حضروا بكلام الله ووعظ الناس ، وخطب الرجل خطابه صار خطيبا .[٣] إذن : الخطابة عند أبن منظور في لسان العرب تعني : " الكلام المنثور المسجع ونحوه ، رجل خطيب : حسنُ الخطبة ".[٤]

الخطابة اصطلاحا :

تعددت تعريفات الخطابة بالمعنى الاصطلاحي بحسب استخدامها ووجهة نظر مستعمليها ومنها :

يقول أرسطو في الخطابة : " الخطابة هي القدرة على النظر في كل ما يفصل في الإقناع من أي مسألة من المسائل " .[٥]

أي هي فن القول بغية الإقناع والتأثير ، أو هي فن مشافهة الجمهور لأجل استمالته والتأثير فيه .

---

[١]. أساس البلاغة ، لجار الله ابي القاسم الزمخشري ، دار بيروت ، بيروت : ١٦٧-١٦٨.
[٢]. لسان العرب ، : ابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري (ت ٧١١ه) ،دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط١ : مادة (خطب) .
[٣]. القاموس المحيط : مادة (خطب) .
[٤]. لسان العرب : مادة (خطب) .
[٥]. الخطابة ، ارسطو طالس ، ترجمة امين سلامة : ٩.

وأيضا عرفها الفارابي(٢٦٠هـ) بقوله :" الخطابة صناعة قياسية ، غرضها الإقناع في جميع الأجناس العشرة ".[١]

ويقول أبن رشد(٥٩٥هـ) : " الخطابة هي قوة تكلف الإقناع الممكن في كل واحد من الأشياء المفردة " .[٢]

كذلك عرفت الخطابة بأنها : " مجموعة قوانين تعرف الدارس طرائق التأثير بالكلام ، وحسن الإقناع بالخطاب ، فهو يعنى بدراسة طرائق التأثير ووسائل الإقناع ".[٣]

وهي بهذا التعريف تكاد تتفق مع تعريف الحجاج لأن كلاهما قائم على التأثير والإقناع .

فنلحظ من خلال التعاريف السابقة إن مفهوم الخطابة يدور حول قدرة المُخاطِب على الإقناع والتأثير في المقابل من خلال دعم الخطبة بأساليب الإقناع المتنوعة وقدرة الخطبة على استمالة المخاطب لما يعرض عليه من أفكار وأطروحات .

تتأثر الخطابة بالأساليب والآليات المستعملة فيها ، فكل خطاب يتبع الأساليب الإقناعية التي تسهم في إيصال الأفكار والأطروحات المراد إقناع المتلقي بها .

إذن فالخطابة هي فن الإقناع والاستمالة ، أو هي التفاعل بين الباث والمتلقي عبر آليات وأساليب خطابية تعمل على إسناد الخطيب وإنجاح خطبته والتأثير في المتلقين ، وهذه الآليات الخطابية تتنوع وتختلف بحسب الموقف والحدث ، أو بعبارة أخرى هي فن ألقاء الكلام أو المواجهة مع الطرف الأخر من خلال خطاب لغوي تحكمه بنية لغوية معينة ، قادرة على التأثير في الطرف الأخر .

---

[١]. فن الخطابة ، إبراهيم البدوي ، دار القول الثابت للنشر ، ط٣، ٢٠٠٨م: ٢٠.
[٢]. تلخيص الخطابة ، ابن رشد ، وكالة المطبوعات ، الكويت : ١٥.
[٣]. الخطابة ، محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربي ، القاهرة : ٧.

المطلب الثاني : خطب الجهاد (المفهوم والمناسبة) :

خطب الجهاد هي خطاب لغوي موجه لقوم أو أقوام بعينهم تحكمه بنية لغوية معينة لأجل دعوة الناس إلى القتال والجهاد في سبيل الله بواسطة أدلة وحجج وبراهين إقناعية مضمرة أو ظاهرة داخل السياق اللغوي ، أو هي الخطب التي قيلت في الحروب والمعارك في الدعوة الى الجهاد في سبيل الله ولرفع معنوية الجيش وشد عزيمتهم ، وتأتي لتبليغ الناس بضرورة الجهاد لأجل الدفاع عن الإسلام والعقيدة والأهل ، وتبليغهم بعواقب ترك الجهاد وما سيؤول إليه أمرهم إذا تقاعسوا وتخاذلوا عن الجهاد .

إن الغاية المرجوة من الخطب الجهادية هي الدعوة الى القتال والاستعداد له من الأمور المادية والمعنوية وتنظيمه ، وبث الروح الجهادية بين المسلمين ، والحث على القتال ، إذ كان من أكبر أسباب انتشار الإسلام وارتفاع رايته هو الجهاد في سبيل الله وهو من أعظم القربات إلى الله تعالى .

فهي خطاب حجاجي موجه الى فرد او مجموعة من الناس تحكمه بنية لغوية مدعومة بالأساليب والآليات الإقناعية التي تعمل على استمالة المتلقي لما يعرض عليه من أفكار وأطروحات والتأثير فيه بواسطة الخطاب الجهادي الحجاجي .

وبناءً على ذلك فإن كل خطاب أو قول يشجع الناس على الجهاد ويثبت القلوب عليه ، وكل قول يؤدي إلى الاستعداد والاستبسال للقتال في سبيل الله ، يدخل في باب الخطاب الجهادي لأنه دعوة إلى الحرب قبل أن تقع وأيضا يدخل تحت مسمى الدعوة الدينية .

تُعد خطب الجهاد من الموضوعات الأم التي ارتكزت عليها الخطابة بصورة عامة منذ بداية الإسلام ، وتفرعت من خلالها موضوعات وخطب أخرى كانت في مسار الخطب الجهادية ، ومنها وعظ الناس والدعوة إلى الزهد في الدنيا والالتزام بمبادئ الدين الحنيف ، والدعوة إلى حقن الدماء بين المسلمين و الطوائف الأخرى .

وهذه الخطب الجهادية مستندة إلى أدلة وبراهين وحجج قوية ومؤثرة إذ تبلغ مداها من الإقناع عند المقابل ، ومن وسائل الإقناع في هذه الخطب : إيراد مثل من الأمثال أو حكمة أو ذكر موقف تاريخي مؤثر ، أو الاستشهاد غالبا بآيات من القرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف ، كذلك تحمل خطب الجهاد في طياتها معاني وكلمات مثيرة تلهب الحماس وتثير العواطف ما يبعث في نفوس المقاتلين من الاستعداد والتأهب للقاء العدو .

ومن المناسبات التي قيلت فيها الخطب الجهادية و العسكرية :

- الدعوة إلى الجهاد في سبيل الله .
- رفع الروح المعنوية وشد عزيمة المقاتلين .
- التوجيهات العسكرية والقتالية للمقاتلين .
- الدعوة إلى حقن الدماء بين المسلمين .
- الدعوة إلى دفع الخطر عن الأهل والدين والعقيدة عند مواجهة أي عدو .
- الوعظ والإرشاد والدعوة إلى الالتزام بمبادئ الإسلام وما جاء به الرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم) .
- توبيخ وزجر المتخاذلين والقاعدين عن الجهاد والتذكير بضرورة الجهاد وعواقب تركه .

المطلب الثالث : الحجاج لغة واصطلاحا :

الحجاج لغة : يمكن معرفة الأصل اللغوي للحجاج بالرجوع إلى المعاجم اللغوية والتي يمكن من خلالها معرفة هذا النشاط الإنساني الذي استعملت فيه اللغة وسيلة من وسائل التواصل بين الجماعات؛ إذ ورد في معجم لسان العرب لابن منظور(ت٧١١هـ) قوله في ماده (حجج) : " حاججته : أي غلبته بالحجج التي أدليت بها ، والحجة هي البرهان أو ما دوفع به الخصم وتجمع الحجة على حجج ، ويقال حاجه محاجة وحجاجا ؛ أي نازعه الحجة ، والتحاج هو التخاصم ، والرجل المحاج هو الرجل الجدل ، والاحتجاج : من احتج بالشيء أي اتخذه حجة ، ويقال أنا حاججته ، فأنا محاجه وحجيجه أي مغالبه بإظهار الحجة التي تعني الدليل والبرهان " .[١]

كذلك ورد مفهوم الحجاج اللغوي في مختار الصحاح أن : " الحجة هي البرهان ، وحاجه فحجه من باب رد ؛ أي غلبه بالحجة ، وفي مثل لج فحج فهو رجل محجاج بالكسر أي جدل والتحاج التخاصم ، والمحجة بفتحتين جادة الطريق " .[٢]

فنلحظ من خلال التعريف اللغوي والمعجمي لمصطلح الحجاج أنه : جمع حجة ، ومصدر من (حاجج) ويكون على وزن (فاعل) أي دال على المشاركة بين أثنين أو أكثر من ذلك ، فنلحظ أن مصدر هذا الفعل يدل على النزاع والمغالبة من أجل كسب الأخر للنتيجة المرجوة ، وهو مرادف للجدل .

الحجاج اصطلاحا :

لقد تعددت تعريفات الحجاج بحسب استخدامه ووجهة نظر الباحثين ومنها :

أما الحجة في تعريف الشريف الجرجاني (ت٨١٦) : " الحجة ما دل به على صحة الدعوى وقيل الحجة والدليل واحد " .[١]

---

[١]. لسان العرب ، لابن منظور الافريقي : مادة (حجج) .
[٢]. مختار الصحاح ، للرازي ، ط١ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٩٦٧، مادة حجج : ١٢٢-١٢٣.

من المفكرين العرب المحدثين الذين درسوا موضوع الحجاج طه عبد الرحمن بوصفه من أبرز الآليات اللغوية التي يستخدمها المرسل لإقناع المقابل ، فقد عرف الحجاج بأنه : " هو كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوة مخصوصة يحق له الاعتراض عليها "[٢] .

وإما الحجاج عند الغربيين فقد عرفه بيرلمان بأنه : دراسة تقنيات الخطاب التي تؤدي بالذهن إلى التسليم لما يعرض عليه ، أي إن وظيفته هي محاولة جعل العقل يسلم لما يعرض عليه من أفكار وأطروحات وقد يزيد في درجة ذلك التسليم ، سواء كان المتلقي فرد أم مجموعة .[٣] وهذا التعريف هو المتبع في دراسة وتحليل خطب الجهاد في هذه الرسالة .

إذن فاللغة هي الوسيلة التي يستخدمها المحاجج لإحداث التأثير والإقناع واستمالة المخاطب.

ويعرف الحجاج بأنه : " تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة ، وهو يتمثل في إنجاز متواليات من الأقوال بعضها بمثابة الحجج اللغوية ، وبعضها الأخر هو بمثابة النتائج التي تستنتج منها " [٤]، إذن فإن الكلام السابق يؤيد بأن الحجاج هو عبارة عن حجج تؤدي إلى نتائج مرتبطة بها .

أما وظيفة الحجاج فهي : " ترتد إلى طرح الحجج التي تضمن النفاذية للخطاب ، وبالنتيجة حصول الاقتناع الفعلي بالقضية المطروحة ، وهذا يعني توظيف الآليات التي تجتاز الاعتقاد الأولي نحو التغيير وبناء موقف مغاير "[٥] . فالعملية الحجاجية لا يمكن أن تتم دون أن تكون هناك أدوات ناقلة للحجج ،وهي

---

[١]. التعريفات ، علي بن محمد بن علي الشريف الجرجاني ، تح : ابراهيم الانباري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط١، ١٤٠٥هـ: ١١٢.

[٢]. اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، طه عبد الرحمن ،المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط١، ١٩٩٨: ٢٢٦.

[٣]. ينظر : علم النص ، مدخل متداخل الاختصاصات ، تون فان ديك ، ترجمة سعيد حسن بحيري : ٢٣٤.

[٤]. الحجاج في اللغة ، د. ابو بكر العزاوي ، بحث ضمن كتاب (الحجاج مفهومه ومجالاته) : ٥٧/١.

[٥]. البيان الحجاجي واعجاز القرآن الكريم ، سورة الانبياء نموذجا، عبد الحليم بن عيسى ، مجلة التراث العربي ، العدد ١٠٢، ٢٠٠٦، دمشق : ٣٧.

بمثابة مقدمات تنقل بواسطتها الحجج نحو الظروف المحيطة بالنص وتحويل الخطاب إلى واقع .

وتأسيسًا على ما سبق فإن الحجاج يمثل مصطلحًا لغويًا حديثًا متداخلًا مع مجموعة من العلوم بوساطة بنية لغوية خطابية تحمل مجموعة من الأساليب والآليات الإقناعية التي تعمل على استمالة المخاطب لما يعرض عليه من أفكار وأطروحات بوساطة أدلة وبراهين ظاهرة ومضمرة داخل السياق اللغوي لأجل جذب الانتباه والتأثير في المتلقي .

المطلب الرابع : الخطاب الحجاجي وتأثيره :

الخطاب الحجاجي هو خطاب لغوي تحكمه بنى لغوية معينة يشتمل على عدد من الأساليب والآليات الإقناعية والتي بدورها تجعل الخطاب حجاجيًا ومؤثرًا أكثر من غيره .

إن التواصل الانساني يُعدّ إساس الوجود إذ يسعى الانسان دائما في التواصل مع الآخر الى التأثير في أفكاره ومواقفه من خلال توظيف آليات وأساليب مختلفة قادرة على استمالته وهذا ما أصطلح عليه الباحثون بالخطاب الحجاجي ، فهناك عوامل واليات كثيرة ومتعددة تعمل على جعل الخطاب حجاجيا إقناعيا من خلال إيرادها داخل سياق الخطاب ، ومن هذه العوامل الجانب الإيقاعي إذ يعمل الإيقاع من خلال موسيقى الخطاب الى جذب انتباه المخاطب والتأثير فيه بوساطة صور الإيقاع المختلفة من الجناس والطباق والسجع والتوازي والتقابل إذ يضفي الإيقاع على الخطاب سمة موسيقية تجذب النفوس وترن في الإسماع وتتلقاها بالقبول والإقناع .

وأيضا الجانب البلاغي والبياني الذي يعد من الآليات الحجاجية ذات الأثر الكبير في جعل الخطاب حجاجيا إقناعيًا من خلال الصور البلاغية والبيانية المتباينة مثل التشبيه والاستعارة والكناية والتمثيل وغيرها؛ وذلك بتحويل المعاني والصور المجردة إلى صور ومعانٍ حسية واقعية تعمل على تجسيد وتثبيت المعنى في النفس

بصورة جميلة ولطيفة . فضلا عن ذلك الجانب اللغوي الذي يعد من الأساسات التي بني عليها الخطاب الحجاجي بوساطة جميع العوامل اللغوية ومنها: العوامل الحجاجية والروابط والسلالم ، إذ إنَ كل هذه الأساليب أسهمت في جعل الخطاب حجاجيا إقناعيا قادرًا على استمالة المخاطب والتأثير فيه وتغيير أفكاره بوساطة الأدلة والبراهين .

إن غاية العملية الحجاجية مقرونة بالإقناع من خلال الأثر الذي يتركه المتكلم في المتلقي والذي يدفعه إلى الرفض أو القبول .

وبناء على ما سبق يمكن القول إن الخطاب الحجاجي يمتلك وظائف عدة من بينها[1] :

- وظيفة إقناعية : وذلك حين يجتهد المتكلم في إقناع مخاطبه ليشاركه وجهة نظره او فكرته المراد إقناعه بها ، فيستنجد بأحاسيسه وعقله وفي الوقت نفسه يدحض حجج أطروحة المقابل بإظهار نواقصها في الحجة او ضعفها.
- وظيفة سجالية : وذلك حين يجعل المحاج هدفه الأساس السخرية من الذين لا يشاطرهم الرأي ، ويمكن القول أنه يسعى إلى حبس أطروحة الخصم وفكرته وجعلها في مأزق .
- وظيفة الدحض والنقض : دحض ما يعده المحاج مزاعم أتى بها خصمه فيعمل على دحضها وكشف ضعف منطقها التداولي . .
- وظيفة دلالية : من وظائف الخطاب الحجاجي انه يكون قادرا على توليد دلالة النصوص وتكوين معانيها لدى المتلقي نتيجة تأثير الصورة فيه من خلال الأساليب والآليات الإقناعية التي يحملها الخطاب .

وتأسيسًا على ذلك تبين أن الخطاب الحجاجي قادرٌ على الإقناع ومؤثرٌ أكثر من غيره عن طريق استمالة المخاطب وجذب تفكيره بوساطة أدلة وبراهين إقناعية .

---

[1]. ينظر : أليات الحجاج في الخطاب السياسي للأمير عبد القادر نموذجًا ، أطروحة دكتوراه للطالبة نورية لعرباوي ، جامعة وهران الجزائر ، ٢٠١٧،: ١٣.

المطلب الخامس : خصوصية الخطاب الحجاجي في خطب الجهاد

للخطاب الحجاجي خصوصية كبيرة في خطب الجهاد ؛لأنه الأساس الذي بنيت عليه هذه الخطب ، فمن غير الخطاب الحجاجي تفقد خطب الجهاد قيمتها في الدعوة الى الجهاد واستماله المتلقين؛ وذلك إن الخطاب عندما يكون خاليا من أساليب واليات إقناعية حجاجية صريحة أو ضمنية يصبح خطابا عابرا لا يقف عنده احد ولا يجذب السامع بقدر الخطاب الحجاجي الذي يكون ذا وقع كبير في نفوس السامعين وقادرًا على استمالتهم للأفكار والأطروحات المراد إقناعهم بها .

إن الجمهور بعد ظهور الإسلام وبزوغ فجره ليس جمهورًا عاديًا فهو قادر على التمييز بين الخطاب العادي والخطاب الحجاجي ويمتلك أحكامًا نقدية قادرة على دحض ونقض اي خطاب أو قبوله ؛ ولذلك دعت التداولية للاهتمام به سامعا وقارئا ومناقشا ، ولهذا كان يتطلب من الباث للخطاب أن يكون واعيًا لجميع الآليات والأساليب الحجاجية الإقناعية التي تكون قادرة على تفعيل الوظيفة الحجاجية في الخطاب؛ لان محور الوظيفة الحجاجية هو المتلقي ولهذا أصبح الخطاب الحجاجي بما يحمله من أدوات إقناعية وأدلة وبراهين أساسا في بناء الخطبة الحجاجية .

من خصائص الخطاب الحجاجي في الخطب الجهادية هي خاصية البناء أي بناء الخطبة تدريجيا من خلال مجموعة من العناصر والقواعد والأسس المرتبطة باللغة وعلاقتها بالمجتمع عبر آليات وأفكار وأساليب إقناعية تجعل من خطب الجهاد خطابًا حجاجيًا قادرًا على التأثير والإقناع واستمالة المتلقي له ، ومما يزيد من درجه فعالية الخطاب الحجاجي هو الإيجاز في سرد الحجج فعندما تكثر الحجج والأدلة في الخطاب فانه يفقد فعاليته ، وفي المقابل عندما يوجد هناك إنكار لدى المتلقي فإن تكثيف الحجج يسهم في تقوية حجة الخطاب .

وقد أثبتت دراسة للساني (سيموني) أن عقل السامع لا يستطيع الحصول إلا بنسبة عشرة % مما يسمعه لذلك ينبغي التركيز على الحجاج بما يتلائم و حاجات المتلقي، فلا يمكن تصور قيمة الحجة بمعزل عن الشخص الموجهة إليه؛ إذ لا

وجود لحجج وأدلة تطابق مستمع جاهز بواسطة معيار خاص ، وإنما هناك مخاطبون لهم حاجات وإنتظارات خاصة تحدد خصائص الخطاب الحجاجي .[1]

وأيضا من خصائص الخطاب الحجاجي خاصية التفاعل بين المتكلم والمخاطب الذي تنتجه الآليات الحجاجية والأساليب الإقناعية التي ترد في الخطاب الحجاجي ، ويعمل التفاعل على زيادة قوة الإقناع والتأثير في الخطاب وخاصة في الخطاب الجهادي فإنه يحتاج إلى تفاعل كبير بين المتكلم والمخاطب والى آليات وأساليب حجاجية متنوعة لإقناع المخاطب بضرورة الجهاد في سبيل الله وعواقب تركه من خلال صور مؤثرة تزيد في قوة ذلك التفاعل .

ولا ننسى خاصية تصحيح المسار أي قدرة الخطاب الحجاجي بما يحمله من أدوات إقناعية حجاجية على نقض رأي أو تغيير فكرة أو مزاعم يظنها المتلقي صحيحة ، فيعمل الخطاب الحجاجي على تصحيح الآراء ورد المزاعم الخاطئة فيحصل التأثير والإقناع في الخطاب، ومن ذلك في خطب الجهاد فقد يحمل الفرد فكرة أو رأي يحجبه عن المشاركة في الجهاد ، أو قد تشيع فكرة خاطئة بين الجيش تعمل على تقليل عزيمته وتقعده عن المشاركة في الحرب ، فيكون للخطاب الحجاجي قدرة على تصحيح الأفكار والآراء المتناقضة .

وبناء على ما سبق تبين إن للخطاب الحجاجي في خطب الجهاد اثرًا كبيرًا في إقناع المتلقين وإضفاء سمة حجاجية إقناعية على الخطبة الجهادية بما يحمله الخطاب الحجاجي من آليات وأساليب إقناعية قادرة على استمالة المتلقي لما يعرض عليه من أفكار وأطروحات قادرة على جذب العقول والنفوس من خلال صور جميلة ومؤثرة تعمل على تقوية التفاعل بين المتكلم والمخاطب ، وهذه هي غاية الخطاب الحجاجي

[1]. ينظر : الخطاب الحجاجي وصلاته الاجتماعية ، مقاربة سوسيولسانية ، د. نعمة الطائي ، جامعة بغداد ، مجلة الاستاذ ، العدد ٢٢٠، لسنة ٢٠١٧: ١٥٤-١٥٥.

الفصل الأول:

الحجاج الإيقاعي في خطب الجهاد

توطئة :

- المبحث الاول : حجاجية السجع
- المبحث الثاني : حجاجية الجناس
- المبحث الثالث : حجاجية التكرار
- المبحث الرابع : حجاجية الإزدواج
- المبحث الخامس : حجاجية التوازي

توطئة:

الإيقاع له صلة وثيقة بالموسيقى ، و لو رجعنا إلى المعاجم العربية وعلى رأسها لسان العرب لوجدنا الإيقاع لغة مأخوذ من مادة "وقع" في قول ابن منظور: " والإيقاع من إيقاع اللحن والغناء وهو أن يوقع الألحان ويبنيها".[١]

يتشكل الإيقاع من أصوات وألحان متجانسة ومنسجمة تنبني على إيقاع جميل، وهذا الإيقاع مضبوط بلحن ونغم ويرتبط بتراكيب موسيقية ، وهذا ما يراه محمد رشاد الحمزاوي.والإيقاع يرجع في أصله إلى الطبيعة الإنسانية التي تميل لهذا الإيقاع الذي يؤثر فيها كما يتواجد في الآلات الموسيقية، وتظهر ملامحه في النص الشعري والنثري.[٢]

يعتمد الإيقاع بالدرجة الأولى على مجموعة من الأصوات المتشابهة والتي تخضع للتوازن الزمني، وقد تتجسد في لغة مكتوبة أو خطاب مقروء.

إن الإنسان مفطور على حب الإيقاع، وقد ابتدأ هذا الهاجس مع الطبيعة التي كانت تمتعه بهذا الإيقاع الطبيعي ودفعته إلى استلهام هذا الأمر والبحث عنه في مخزون وتراث الأجداد من شعر و نثر و حكمة ومثل ليتوجه بعد ذلك إلى الكشف عنه في التراث الديني المتمثل في الخطاب القرآني و حديث الرسول(صل الله عليه وآله وسلم) الشريف . وأخيراً وهذا محض دراستنا وهي خطب الجهاد عند الإمام علي (عليه السلام) .

يبنى الإيقاع وفق زمن يؤطره ويسير وفقه ؛ من أجل تحقيق المتعة والتأثير في المتلقي إذ يأخذ الإيقاع صفة الطول والقصر بحسب المدة الزمنية المختارة لذا يعد الإيقاع خاصية أسلوبية جمالية وظيفتها هي إظهار مقومات الانسجام والتلاؤم بين الملفوظات والمسموعات الماضية ؛ بعد إذ تتحقق لها الغايات التركيبية الملتذة إلى ابتداع البلاغة والبيان.[٣]

---

[١].لسان العرب ،ابن منظور ، مادة (وقع).

[٢].ينظر: المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية ،محمد رشاد الحمزاوي، المنظمة العربية للتربية والثقافة :٢٠٤.

[٣].ينظر: خصائص الايقاع الشعري ،عميش العربي ،دار الاديب للنشر ،وهران ،٢٠٠٥ :١٣.

أما الإيقاع عند عبد الرحمن تبرماسين هو: " انسجام الصورة مع الصوت الذي يحدث في النفس اهتزازات و شعوراً بالمتعة، هذا الانسجام تحدثه العلاقة المتعدية بين الصوت و الصورة، فالجذب من قبل النظر للصورة يقابله الوقع في السمع من قبل الكلمة، و نقطة التقاطع بينهما هي إحداث الأثر في النفس و الإحساس بحركة الجمال التي يحدثها الإيقاع، فتحدث المتعة التي تمزج بين الصورة والسمع ويصيران كلاً واحداً" [١]

أما رجاء عيد فتعرف الإيقاع على أنه: " مجموعة متكاملة أو عدد متداخل من السمات المميزة تتشكل بوساطة التناسق الصوتي بين الأحرف الساكنة و المتحركة، إضافة إلى ما يتصل بتناسق الطبقات الصوتية داخل منظومة التركيب اللغوي من حدة أو رقة، أو ارتفاع أو انخفاض أو من مدة طويلة، أو قصيرة"[٢]

الإيقاع إذن ناتج عن انسجام و تآلف الحروف التي يتكون منها اللفظ فيحدث أثراً في النفس جراء الإحساس بهذا الوقع للكلمة.

ولعل من أهم التساؤلات التي تخطر على البال هي إمكانية أن يكون للإيقاع الصوتي الذي اعتمده الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في الكلمة و أثناء خطاباته دور في عملية الإقناع؟

وهذا ما سأوضحه من خلال البحث ،لاسيما حجاجية الإيقاع في خطب الجهاد لأمير المؤمنين.

إذ يمكن أن تعد الموسيقى رافداً من روافد الحجاج من جهة استيلاء ما وقع على النفوس وامتلاك الأنغام للأسماع .و ما كان أملك للسمع كان أفعل باللب وبالنفس، فانسجام الحروف في الكلمة له أثر في النفس عند ائتلافها في التركيب إذا ما وفق قائلها في اختيارها و حسن ترتيبها، وهذه الأصوات قادرة على إثارة المشاعر و استجاشة الانفعالات التي يتولد عنها نوع من الاستجابة السلوكية أو العقلية أو الانفعالية ،وإذا كانت الموسيقى المنبثقة من أصوات الحروف تثير الخيال فالخيال

---

[١]. البنية الايقاعية لقصيدة المعاصرة في الجزائر، عبد الرحمن تبرماسين،م١: ٩٤.

[٢].نظرية ايقاع الشعر العربي، محمد العياشي :٤٢.

لا يتعارض مع الحجاج، بل على العكس فهو يقتضيه اقتضاءً، وذلك أنه لو كانت الموسيقى رافداً للتخييل فهي بالتالي عنصرًا مساعدًا في إنجاز عملية الإقناع .

ومن هنا نقول : إن الأصوات اللغوية تدخل في عملية التأثير، ومصطلح الإيقاع الصوتي يكتسي أهمية بالغة في تأثيره على المتلقي.

أشار ابن الأثير ايضاً إلى ما تحدثه الألفاظ في النفس فخير الكلام ما دخل الأذن بغير إذن، يقول: "فاعلم أن الألفاظ الجزلة تتخيل في السمع كأشخاص عليها مهابة ووقار، والألفاظ الرقيقة تتخيل كأشخاص ذوي دماثة، و لين أخلاق، و لطافة مزاج"[1]

فالإيقاع بالمعنى العميق لغة ثانية لا تفهمها الأذن وحدها، وإنما يفهمها قبل الأذن والحواس؛ الوعي الحاضر للمخاطب وهذا يعني أن الإيقاع ليس مجرد تكرار لأصوات وأوزان تكراراً يتناوب تناوبا معيناً، وليس عدداً من المقاطع المزدوجة أو المفردة، وليس قوافٍ تتكرر بعد مسافات صوتية معينة لتشكل قراراً، فهذه كلها عناصر إيقاعية، ولكنها جزء من كل واسع ملون متنوع فهو طاقة غامضة، تطرب النفس وتحزنها، تحركها وتسكنها، تبكيها وتضحكها، بأدوات متنوعة سمعية وبصرية، معنوية وفكرية تعمل على كسر الحواجز بين المبدع والمتلقي ليكون الاثنان في عالم شعوري واحد، وهو بذلك يؤدي أحد وظائفه الدلالية والاتصالية.

إذًا فالألفاظ يمكنها أن ترتسم و تتجسد في الخيال من خلال وقع أصواتها، فقد تدل على اللين و اللطف و المؤانسة و قد تدل على القوة و الحزم، فالصوت يمكن المتلقي من مشاهدة ما يريد المتكلم أن يشاهده، مما يؤدي به إلى تحريك خياله و التأثير فيه.

[1].المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر ،ضياء الدين ابن الاثير :١٩٥.

و الجانب الصوتي للكلمة " بما له من جرس و إيقاع في الأذن يترك أثره في النفس ترغيباً و ترهيباً أو خلافهما، دون أن ينفك عن الجانب الدلالي و المعنوي للكلمة، وبذلك يلتقي الجانبان في أداء غرض التأثير ، و تحقيق الإقناع المنشود"[١]

وخطب الجهاد عند أمير المؤمنين (عليه السلام) تزخر بالكثير من هذه الخصائص المميزة ، إذ نجد أن كل لفظة اختيرت بعناية فائقة.

إن التأثير الذي يحدثه ذلك الانسجام و التنوع الصوتي في الكلمات من خلال الإيقاع له دور أساسي في عملية الحجاج و الإقناع، و ذلك لأن أصوات الحروف و مخارجها و تتابع الأصوات على نسب معينة بين مخارج الأحرف المختلفة تعطي لحناً موسيقياً "و التي أكثر ما تنتهي بالنون و الميم و هما الحرفان الطبيعيان في الموسيقى نفسها ، أو بالمد فإن لم تنتهي بواحدة من هذه، كأن انتهت بالسكون أو حرف من الحروف الأخرى، كان ذلك متابعة لصوت الجملة و تقطيع كلماتها، ومناسبة للون المنطق بها هو أشبه وأليق بموضعه، و على أن ذلك لا يكون أكثر ما أنت واجده إلا في الجمل القصار ، و لا يكون إلا بحرف قوي يستتبع القلقلة أو الصفير أو نحوهما أو ضروب أخرى من النظم الموسيقي" [٢]

ولعل من الواضح في خطب الإمام (عليه السلام) خلوها من التنافر الصوتي ، وهذا سر روعة الخطاب و أساس جمال الإيقاع الذي " يعتمد في مستواه الخارجي على الجانب الصوتي المتولد من تناسق الحروف ، مخرجاً و صفة و حركة، ومن أوزان الكلمات، و ضروب البديع، و التوازن بين الجمل والعبارات.... أما الإيقاع الداخلي فهو حركة موقعة أو منتظمة في بناء النص كله، تحكم نسيجه، وتميز معالمه، وصفاته عن باقي النصوص الأخرى . و هذه الداخلية لا يتم إدراكها من خلال حاسة السمع، لأنها حركة غير صوتية، و إنما تدرك من خلال فهم متكامل لنمو الحركة الإيقاعية داخل البناء الكلي للنص الواحد"[٣]

---

[١].الحجاج في الحديث الشريف ،امال يوسف الغامسي :١٧٤.
[٢]اعجاز القران والبلاغة النبوية ،مصطفى صادق الرافعي ،٢١٤.
[٣]. م . ن :٢١٥.

والقارئ لخطب الإمام علي (عليه السلام) يلحظ ذلك التآلف في الألفاظ و الأصوات، و تلك المراعاة لترتيب مخارج الحروف الصوتية وهذا ما يسمى (بالتناسب الموسيقي) بين الحروف المتقاربة فهي متناسبة في مخرجها و شكلها و نسقها.

المبحث الأول : حجاجية السجع :

السجع لغة عند ابن فارس اللغوي (ت٣٩٥هـ)في معجم مقاييس اللغة هو أن :" السين والجيم والعين أصل يدل على صوت متوازن " [١].

أما عند أبن سيدة (ت٤٥٨هـ) في المعنى اللغوي للسجع في معجمه (المحكم والمحيط الأعظم) : " سجع يسجع سجعا : استقام وأستوى ، وأشبه بعضه بعضاً" [٢].

أما السجع في اللغة حسب رأي ابن منظور (ت ٧١١ هـ) " هو صوت القمري، أو انين الجمل"[٣] .

أذن فنلحظ من خلال المفاهيم اللغوية السابقة التي طرحها اللغويين إن جميعها تلمح الى خاصية التوازن الصوتي والإنسجام الإيقاعي في النغمة المتكررة التي يسببها التناسب في الإيقاع المسجوع .

أما مفهوم السجع في المعنى الإصطلاحي فهو عند ابن الاثير (ت ٦٣٧هـ) " تواطؤ الفواصل في الكلام المنثور على حرف واحد "[٤].

كذلك مفهوم السجع عند السكاكي (ت٦٢٦هـ) " ومن جهات الحُسن الأسجاع، وهي في النثر كما القوافي في الشعر، ومن جهاته الفواصل القرآنية" [٥]. إذن فإن المعنى الاصطلاحي للسجع يؤكد على اتحاد الفواصل في الكلام المنثور على قافية ووزن واحد بحيث يكون هناك تناسب وانسجام في النغمة الإيقاعية للعبارات .

---

[١]. مقاييس اللغة ، ابن فارس اللغوي ، تحقيق : عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٨١، مادة (سجع) ج٣، ص ١٣٥.

[٢]. المحكم والمحيط الأعظم في اللغة ، علي بن اسماعيل بن سيدة ، تحقيق : مصطفى السقا وحسين نصار ، مكتبة مصطفى البابي ، القاهرة ، ط١، د.ت . مادة (سجع) ، ج١، ص ١٧٨.

[٣]. لسان العرب ، لابن منظور الأفريقي : مادة سجع .

[٤]. المثل السائر ، لأبن الأثير ، ج١: ٢٧٥.

[٥].مفتاح العلوم ،للسكاكي ،شرح نعيم زرزور:٤٣٢.

ويعد السجع من العناصر المهمة والبناءة للإيقاع، لاسيما في خطب نهج البلاغة للإمام علي (عليه السلام)، وهذا لا يعني أن خطب أمير المؤمنين (عليه السلام) كلها مسجوعة، بل إنه يأتي بالسجع ملائماً للمعنى الذي سيق من أجله .

وعلى هذا فإن السجع خاص بالنثر بمختلف فنونه، وهذا ما نلمسه جلياً كما سبق الذكر في خطب الإمام (عليه السلام) الجهادية إذ نوع باستخدام السجع بأقسامه الثلاثة (المطرف والمتوازي والمرصع) بحسب ما تقتضيه الخطبة.

أما من حيث انتقاء الأسلوب في الخطاب المسجوع" فمن الطبيعي أنه قد يختلف انتقاء الأسلوب عند الخطيب الواحد نفسه بين لحظة و لحظة، وبين أرض وأرض، وبين أحداث وأحداث، ذلك لأنه لا يعمل في صومعة مغلقة ، فهو كائن حي متصل بالحياة...." [١] فكان لهذا السجع إيقاع أكبر من سابقه ليلامس به نفوس المخاطبين النائمين عن الجهاد ويثيرهم على النهوض والإستبسال، فالسجع عند أمير المؤمنين (عليه السلام) يحتل أرفع مراتب الكلام و أعلاها، و أجل علوم البلاغة و أسناها .

فكان تعريف السجع المطرف وهو اتفاق الفواصل في قافية الحرف والاختلاف في الوزن، كقوله تعالى: **" مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا "**[٢]

اما السجع المتوازي :فهو ان تتفق العبارات في الوزن والقافية ،نحو قوله تعالى " **فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ "**[٣] .

اما السجع المرصع :هو ان تتفق العبارات كلها وزنا وقافية ،ويكون ما في الاولى مقابلا لما في الثانية ،نحو قوله تعالى " **إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ "**[٤]

ومن مصاديقه في كلام أمير المؤمنين (عليه السلام)عندما حرض المجاهدين بعد أن عادت ميمنته إلى موقعها ومصافها وكشف من بإزائها حتى ضاربوهم في مواقفهم ومراكزهم، فقال:

" ولقد هون علي بعض وجدي ، وشفي بعض أحاح[١] نفسي أني رأيتكم بآخرة حزتموهم كما حازوكم، وأزلتموهم من مصافهم كما أزالوكم ، تحوزونهم بالسيوف

---

[١]. الأسلوب والأسلوبية ، بين العلمانية والأدب الملتزم بالإسلام، عدنان علي رضا النحوي :١٨٨.
[٢]. سورة نوح : آية ١٣.
[٣]. سورة الغاشية : آية ١٣-١٤.
[٤]. سورة الغاشية : آية ٢٥.

ليركب أولهم آخرهم، كالإبل المطردة الهيم[٢] **"** [٣] لقد توشحت خطبة الإمام (عليه السلام) بتوافق الفواصل في قافية الحرف واختلاف في الوزن (حازوكم، أزالوكم). فقد بَدت مُحكمة الأداء متوازية الإيقاع يتضاعف وقعها في نفوس العائدين من ميمنته مما يزيد من تحريضهم على القتال وتشجيعهم على الثبات في صفوفهم.

فالسجع ليس زخرفة لفظية، وزينة تركيبية، بل مما يتّطلبه المعنى ويستدعيه، سيما إذا جاء على السجية، بلا مشقة أو كلفة، فلا يخلو من الأبعاد الحجاجية، لأن " الإقناع لا غنى له عن الجمال، فالجمال يرفد العملية الإقناعية، وييسر على المتكلم ما يرونه من نفاذ إلى عوالم المتلقي الفكرية و الشعورية" [٤]وظاهر الإيقاع "يبدو لنا في ضبط حدود العبارة بجمل يختم بعضها بسجعة أو ما يعاد لها أو يطلق من دونها. إلا أنها تتواكب جميعاً، لتغمر المقطوعة كلها بالنغم الصاخب في موضع الصخب، والنغم اللين في موضع اللين" .[٥]

وكذلك قال الامام علي (عليه السلام) في تحريض أصحابه على القتال في موضع آخر: **"إن هؤلاء القوم لن يزولوا عن موقفهم دون طعنٍ دراك يخرجُ منه النسيم، وضربٍ يفلقُ الهام، ويطيح العظام، وتَسقطُ منه المعاصمُ والأكف، حتى تَصدعُ جباههم وتنثر حواجبهم على الصدور والأذقان"**[٦]

فكان السجع هنا في (الهام، العظام) ذو تناغم إيقاعي ليضرب في آذان السامعين ضربا يوحي لهم بعِظم القتال ومدى ضرورته ، هذا ما يحفزهم ويزيد من إصرارهم وإرادتهم على المواجهة في وجه أعدائهم .

ونلاحظ بأن الفاصل بين لفظتي السجع قصير، إذ كلما قلت الألفاظ كان أحسن لقرب الفواصل المسجوعة من سَمع السامع وهذا النوع من السجع أوعره مذهباً لأن المعنى إذا صيغ بألفاظ قصيرة كان أسرع بالوصول إلى ذهن السامع وأكثر إقناعا له .

---

(١).الاحاح :بالضم :اشتداد الحزن والغيظ (لسان العرب ، ج٢/٤٠٤).
(٢).الهيم : العطاش (لسان العرب ، ج١٢/ ٦٢٧).
(٣).وقعة صفين ،لنصر بن مزاحم المنقري ت (٢١٢ه) ،تح :عبد السلام هارون ،ط٢ ،١٣٨٢م :٢٥٦.
(٤).الحجاج في الشعر العربي القديم ،سامية الدريدي ،عالم الكتب الحديث ،اربد ،ط١ ،٢٠٠٨م:١٢٠.
(٥).فن الخطابة وتطوره عند العرب ،ايليا الحاوي ،دار الثقافة ،بيروت :١٥٧.
(٦).وقعة صفين :٣٩٢.

كما خاطب أمير المؤمنين(عليه السلام) أتباعه بالربذة[1] لما أتاه الخبر -وهو بالمدينة- بأمر عائشة وطلحة والزبير أنهم قد توجهوا نحو العراق، خرج مبادر وهو يرجو أن يدركهم و يردهم فلما انتهى إلى الربذة أتاه عنهم أنهم قد مضوا، فأقام أياماً وبقي بها يتهيأ وأرسل إلى المدينة، فلحقه ما أراد من دابة وسلاح وخاطبهم: **"ألا وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة، شرها فرقة تنتحلني و لا تعمل بعملي، فقد أدركتم ورأيتم، فالزموا دينكم واهدوا بهدي نبيكم (صلى الله عليه واله وسلم) واتبعوا سنته، واعرضوا ما أشكل عليكم على القرآن، فما عرفه القرآن فالزموه، وما أنكره فردوه، وارضوا بالله عز وجل ربا، وبالإسلام دينا ، وبمحمد (صلى الله عليه واله وسلم)نبياً وبالقرآن حكما وأماماً "**[2]

قد احتوى خطابه على السجع المطرف ليثبت قلوبهم بعد أن لبوا نداءه واستغاثته ولحقوا به إلى الربذة مرشداً لهم بإتباع تعاليم القرآن الكريم وهذه حجة الإمام(عليه السلام) ليظهر حقه في لفظتي(ألزموه، ردوه) إذ جاء السجع عندما تحدث بما تضمنه كتاب الله من إرشادات وتعاليم وأخلاقيات القتال، فقد طلب الإمام علي (عليه السلام) إن يلتزموا بكل ما جاء به القرآن الكريم ويتجنبوا كل ما حرمه الله وهذه كما ذكرنا حججًا إيقاعيةً منبثقة من حجة إلهية ومعتمدة عليها في إثبات نفوس الموالين على الحق. وللسجع دور في تقوية حجاجية الكلام، فأصبح قادراً على الإقناع، ويحمل السجع في هذا الموضع دلالات حجاجية ذات أبعاد ثلاثة فهو يضفي الرونق والجمال والسحر على القول، وهذا يؤدي إلى تحقيق استمالة المتلقي، وكذلك يمرر رأيه (عليه السلام) لتحقيق غرضه الإقناعي وتوجيه سلوك المتلقي لما يريده ويهدف إليه، ومن ثمَّ هو أبعد إنجاز تداولي، وبذلك يقود المتلقي إلى الفعل، ومن ثمَّ تحقيق القوة الإيمانية للقول وغرضها المنوط بها ليفعل إلى ما يريده المتكلم على أرض الواقع بعد إقناعه .

وكذلك استعمل الإمام علي (عليه السلام) في خطبه المسجوعة نوعاً ثانياً وهو السجع المتوازي الذي تكون فيه آخر كلمة في الفقرتين متوافقتين في الوزن

---

(1). الربذة : وهي منطقة في مكة ويقال انها أسم لجبل (معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، ج٥ ، ١٩٧٩، ص : ٢٩٥).
(2). تاريخ الطبري ،م ١٨٥/٥.

العروضي والقافية ،ومن مصاديقه في القرآن الكريم قوله تعالى: "فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة"[١] ومن أقواله (عليه السلام) مستخدماً هذا النوع خطابه في ما كان من تحريض أتباعه على معاوية وعمرو **"فإن الخيلاء من التجبر، وإن النخوة من التكبر وإن الشيطان عدو حاضر، يعدكم الباطل، ألا إن المسلم أخو المسلم، فلا تنابذوا، و لا تخاذلوا"**[٢]

فنرى اتفاق الفواصل في الوزن والقافية (التجبر، التكبر)إذ جاءت الفاصلتين على وزن (التفعل) وقافيتهما (0//0/) وأيضا بين الفقرتين (تنابذوا ، تخاذلوا) وفي ذلك إيقاع موسيقي أكثر تنبيها في نفوس المقاتلين، فقد حاججهم الإمام (عليه السلام) بذكر المرادفات المتراكبة ؛ فجعل الخيلاء من القوة والجبروت وأما المروءة والشجاعة من الكبرياء والشموخ، وهذه حجته في حضهم على منازلة معاوية وعمرو وظلمهم الشديد وبعدهم عن الحق، كما أن البناء أو القالب الذي صبت فيه هذه الكلمات هو الذي يعطيها صورتها وشكلها، ويجعل لها جرسا ووزنا معيناً .

والكلمات التي تكون على بنية واحدة تجمعها رابطة الجرس والنغمة وتميزها في الكلام المسموع من غيرها من الألفاظ كما تجمعها أو تكاد تناظر التزيين في الكلام المكتوب، وإن كانت الأولى أوضح وأقوى لذلك كانت أبنية الألفاظ و أوزان الكلم العربي وحدات موسيقية ترجع إليها جميع ألفاظ اللغة العربية، وكان الكلام في حال تركيبه سواء أكان شعراً أم نثراً مجموعة من التراكيب والوحدات الموسيقية، إذا أحكم تركيبها و تلونها بيد صَناع وحِس مُرهف وفكر ناقد كانت إلى جانب أدائها للمعنى قطعة فنية موسيقية تسابق المعنى إلى القلب عن طريق الحس السمع...، وهذا هو سر موسيقية اللغة العربية وجمال إيقاعاتها وحلاوة نغماتها، سيما إذا وقع صائغ الكلام على أنواع موفقة من التأليف بين الألفاظ .[٣]

كذلك استخدام السجع المتوازي في خطبة له قالها عندما وجه معاوية سفيان بن عوف الغامدي في جيش فأغاروا على الأنبار وقتلوا عامل الإمام علي (عليه

---

[١]. سورة الغاشية : ١١.
[٢].وقعة صفين :٢٢٣.
[٣].ينظر: فقه اللغة وخصائص العربية ،محمد المبارك ،دار الفكر بيروت ،ط٦ :١٢٥.

السلام)عليها حسان بن حسان البكري، واحتملوا ما كان فيها من الأموال ، وانتهى الخبر إلى الإمام علي(عليه السلام)، فخرج مغضبا حتى أتى النخيلة، وأتبعه الناس، فرقي ربوة من الأرض وقال مخاطباً:**" يا أشباه الرجال ولا رجال، و يا طغام الأحلام! و يا عقول ربات الحجال، لوددت أني لم أركم و لم أعرفكم، معرفة والله جرت ندمًا، وأعقبت سدمًا[١] ! قاتلكم الله!"** [٢].

ففي خطابه (عليه السلام) المسجوع (ندما، سدما) ترسيخ وتأكيد على حزنه وألمه الشديد لما حل في الأنبار من قتل ونهب، فكان ما أصابه من هم وغيظ سببًا يبرهن به ندمه لمعرفة أولئك الناس المتقاعسين عن نصرة إخوانهم في الأنبار، وهي حجة أخرى لإيثارهم على القتال،وكذلك فإن النص يركز على عنصر الإيقاع السجعي المتمثل باعتدال عدد كلمات الفِقار ، وهذا يدل على أن الإيقاع عنصر جوهري لا يمكن التضحية به بأي حال من الأحوال، إذ أريد منه إسباغ حال من الترقب والتأمل والاستعداد لتلقي فكرة مهمة أو وصية معبرة .

وكذلك نلاحظ استخدام أكثر من نوع من أنواع السجع في خطب الإمام علي (عليه السلام) وخاصة الجهادية منها فوسم السجع المرصع وهو الذي تكون فيه الألفاظ في فقرتين أو أكثر على توافق في الوزن العروضي والقافية، فقد كان يعمد إليه لتحقيق الإيقاع وتقديم الحجج للناس ولأنصاره، سيما الحجج الإلهية إذ أكثر من توافق القافية والوزن العروضي في أكثر من فقرتين، وقد ذكر هذا النوع في قوله تعالى: " إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم"[٣].

أما الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)فقد اعتمد عليه بخطابه عند ذكر الله والتوحيد، والتذكير بأمور الثواب والعقاب والآخرة والابتلاء، خير مثال خطابه في تحريض الناس بعد أن هُزموا في عقر دارهم وضاربوهم الأعداء في مواقفهم **"فالآن اصبروا، أنزلت عليكم السكينة، وثبتكم الله باليقين، وليعلم المنهزم أنه**

---

[١].السدم :الهم مع الندم (لسان العرب ج١٢،ص ٢٨٣).
[٢].نهج البلاغة ،للشريف الرضي ، شرحه محمد عبدة ، دار نشر لقاء ، قم-ايران ، ط١، ٢٠٠٤م،ج١ :٩٢.
[٣]. سورة الغاشية : ٢٥.

مُسخط لربه، وموبق لنفسه؛ وفي الفرار موجدة الله عليه، والذل ألزم له والعار الباقي، واعتصار الفيء من يده، وفساد العيش"[1]

كان السجع في الفاظ (لربه، لنفسه) بوزن (لفعله) وتقطيعه العروضي (//0//0) وتكرار حرف الهاء أكسب الكلام إيقاعا وأثراه قصر الجمل فيها، إذ عبر عن غضبه الشديد من هزيمتهم فحاججهم بغضب الله ليدب في قلوبهم الخشية ويثير عندهم حفيظة الرغبة في القتال ابتغاء وجه الله والعودة لصفوفهم بأكثر رسوخ ، وفي ذكره (عليه السلام) السجع أعطى " الإيقاع نوعاً من كسر النمط" [2] ذلك أن كسر النمط قد يكون أبلغ و أدخل في شرف النظم ، فهو يمثل تخلصا من الرتابة ، وهو يولد إيقاعا غير متوقع عند المتلقي، ويعد من المثيرات الأسلوبية الحجاجية .

وهناك خطبة أخرى للإمام علي (عليه السلام)يحرض الناس فيها على القتال والجهاد:

"وايمَ الله لئن فررتم من سيف العاجلة، لا تسلمون من سيف الآخرة استعينوا بالصدق والصبر؛ فإنه بعد الصبر ينزل النصر"[3]

إن أي مُتلقٍ لا يمكن تغيير وجهة نظره دون البلاغة وبخاصة السجع أي دون اللجوء إلى الإثارة، والتهيج بقدر لجوئنا إلى العقل ، فالسجع المرصع في خطاب أمير المؤمنين (عليه السلام) بتكرار (سيف) ووزن الفاعلة في لفظتي (العاجلة، الآخرة) التي قافيتها (/0//0) أضفت على النص حجة إيقاعية تنبه المتقاعسين وتذكرهم بالآخرة إذ لا مفر لهم من الحساب والمواجهة، فكانت حجته متمثلة بتذكيرهم بالموت والعقاب والثواب يوم الحساب وحضهم على مبارزة الأعداء، فالجمل- المسجوعة في النص المتقدم-تطرب المتلقي بنبراتها الموسيقية الجلية، وتحفزه على الانتباه و الإصغاء .

ومن ثَمَّ فإن هذه الأسجاع " تضفي نوعاً من التخفيف في استشفاف الحجاج، و تواتر الحجج الواحدة تلو الأخرى ؛ ليزيد معناها قوة و ثباتاً و جمالا أمام المتلقي"[1]

---

[1]. وقعة صفين :٢٥٦.
[2]. الخطيئة والتكفير ،عبد الله الغذامي ،المركز الثقافي العربي ،المغرب ،ط١ ،٢٠٠٦ :٢١٦.
[3]. وقعة صفين :٢٣٥-٢٣٦.

وعلاوة على أن هذه الجمل المسجوعة قد حققت المتعة النفسية، فهي ذات غرض إقناعي للمتلقي، فالسجع بالمجمل يبهج النفس ويصل بها إلى حالة من الانبساط ويهيئها لتقبل النص و مضمونه الفكري .

وفي خطاب آخر لأمير المؤمنين (عليه السلام)يحرض أصحابه على القتال والجهاد ؛ إذ يقول :

" اللهم فإنهم قد ردوا الحق فأفضض جمعهم، وشتت كلمتهم وأبسلهم بخطاياهم ،فإنه لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت"[٢]

كان السجع المرصع الذي تتساوى فيه الفقرات في الوزن والقافية بين فقرتين (لا يذل من واليت ،ولا يعزمن عاديت) على وزن (يفعل) في (يذل ،يعز)وبقافية (0/0/) وبلفظتي (واليت، عاديت) على وزن (فعلت) وبقافية (0/0/) قد أثرى موسيقى الخطاب بإيقاع عذب من خلال إيراد الفواصل الموزونة على كلمتين إثراء لا يخفى جماله، واعتمد الإمام في خطابه على تأكيد مكانته السامية والرفيعة عند الله مستمدا حجته في إظهار منزلته من كلمات الرسول(صل الله عليه واله) في خطبة الغدير المعروفة بالإقرار للإمام علي (عليه السلام) بالولاية ،إذ أمر الله (عز وجل) رسوله الكريم في ذلك اليوم بتبليغ رسالته للناس في قوله تعالى بالآية التي نزلت يوم الغدير **{اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا} سورة المائدة :آية ٣** ،اي ان كمال الدين وتمام النعمة بولاية علي ابن أبي طالب (عليه السلام) ولا يُقبل إيمانُ عبدٍ بغير ولايتهِ .

وكان وقع هذا الإيضاح كبير الأثر في تحفيزهم، ويبرز هذا التأثير خاصة عندما يكون السجع غير متكلف، فتكون ألفاظه حينئذ حسنة صافية على السمع، حلوة طيبة رنانة، تشتاق إلى سماعها الأنفس، و تَلتذ الأذان بسماعها . والسجع في هذا الخطاب يكون أكثر تأثيراً رغم وعورة مسلكه ، وأخف على القلب " لأن الألفاظ إذا

---

[١].البعد الحجاجي في الاعمدة الادبية ،جليلة بنت سعيد القاسمي ،رسالة ماجستير ،جامعة نزوى ،عمان ،٢٠١٦م:١٥٧.

[٢].وقعة صفين :٣٩١.

كانت قليلة، فهي أحسن و أرق، و إذا كانت العبارات متقاربة لذت على الآذان لقرب فواصلها، ولين معاطفها"[١]

و قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في خطبة له موجهة لأنصاره محفزاً إياهم على قتال معاوية وعمرو:

"فإن شرائع الدين واحدة، وسُبلهِ قاصدة، من أخذ بها لحق، ومن تركها مرق ومن فارقها محق، ليس المسلم بالخائن إذا اؤتمن، و لا بالمخلف إذا وعد، و لا بالكذاب إذا نطق"

فالإيقاع الموسيقي في هذه الصور متحقق من السجع بين أكثر من فقرتين (لحق، مرق، محق) الذي جاء على وزن (فعل) بقافية (/0///0) فضلاً عن قصر الجمل، وتسريع الإيقاع الموسيقي هذا خير دليل وبرهان على قصر المدة الزمنية المتاحة لمواجهة معاوية وعمرو قبل أن يتمكنا مع أنصارهما من الإغارة وإلحاق الأذى في أنصار الامام علي(عليه السلام) بالأنبار.

وفي الوقت نفسه فإن التماثل الموسيقي الذي يجمع بين فواصل الكلام يحقق تأثيراً على المخاطب ويجعله " متحدرًا كتَحدر الماء المنسجم، بسهولة سبك و عذوبة ألفاظ، وسلامة تأليف حتى يكون للجملة من المنثور....تأثير في القلوب ما ليس لغيره" .[٢]

وكذلك كانت خطبة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في تخويف أهل النهروان حين قال:

"أصابكم حاصب، ولا بقي منكم وابر، أبعد إيماني برسول الله (صل الله عليه واله وسلم)، وهجرتي معه، وجهادي في سبيل الله، أشهد على نفسي بالكفر؟ لقد ضللت إذن وما أنا من المهتدين، فأبوا شر مآب، وأرجعوا على أثر الأعقاب"[٣]

---

[١].الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم دقائق الاعجاز ،يحيى بن حمزة العلوي ت(٧٤٩هـ) مطبعة المقتطف ،مصر،١٩١٤: ٢١.

[٢].بديع القران ،ابن ابي الاصبع عبد العظيم المصري ،تح: د. حفني محمد شرف ،دار نهضة مصر ،ط٢ :١٦٦.

[٣].تاريخ الطبري ،لابي جعفر محمد بن جرير الطبري ، تحقيق : أياد عبد اللطيف القيسي ، دار أبن حزم ،م٦ :٤٤.

إن استخدم السجع في لفظتي (مآب، أعقاب) كان له جرس يدق ناقوس التخويف والتهويل في نفوسهم من أثر العصيان وما سيواجهون من عقاب على ذلك، مما يدل على قوة السجع الحجاجية في النص .

وفي استكمال خطبته (عليه السلام) لتخويف أهل النهروان وردعهم عن الإثم والعدوان ؛ قال:

"أما إنكم ستلقون بعدي ذلاً شاملاً، وسيفاً قاطعاً ، وأثرة يتخذها الظالمون فيكم سنة"[1]

إن استخدام السجع المتمثل بلفظتي بلفظتي (شاملاً، قاطعاً) وبقافية (/0//0) وعلى وزن (فاعلاً) أضاف تأثيراً بالغاً على نفوس أهل النهروان، كما دب الخوف والرعب في قلوبهم لما ستؤول إليهم أمورهم وما سيحصل لهم بعد تخليهم عن الإمام (عليه السلام)، فكان وقع السجع الإيقاعي وجماليته الخطابية موازي الأثر لوقعه النفسي إذ جاء مناسبا لمقتضى الخطاب.

فالكلام في خطب الإمام علي (عليه السلام) مستساغ السمع ، ولكنه إذا كان مسجوعاً لذ لسامعه فحفظه، فإذا حفظه كان جديراً باستعماله، وإذا لم يكن مسجوعاً لم يأنس به أنسه في حال السجع ، على إن حفظ الكلام و إن كان هدفاً مقصوداً فإنه تكمن وراءه أهداف حجاجية أخرى كالفهم والتدبر و الدفع إلى الفعل، فالنفس إذا حفظت الكلام فهمته، وإن فهمه ليجعل السامع يفضي إلى حقيقته ويقنع بما أملي عليه من حجج.....لأن مدار الأمر والغاية التي يرمي إليها القائل والسامع إنما هو الفهم والإدراك ، فحفظ النفس للكلام مدعاة لجعله قريباً من القلب والعقل معا، وكلما كان قريباً منهما كان مدعاة للفهم والتأمل والتدبر والعمل بمحتواه، و الإمتثال لما يأمر به، واجتناب ما ينهى عنه وكأن لسان حالها يقول " إن كلاماً بهذا الإيقاع والنغم لا يمكن إلا أن يكون صادقاً"[2] . وبذلك إن لم تحفظه لم تطالب أنفسها باستعمال ما وضع له وجيء به من أجله .

---

[1]. تاريخ الطبري : ٤٤.

[2].بلاغة الخطاب الإقناعي ،محمد العمري ،افريقيا الشرق ،ط٢، ٢٠٠٢: ١١٦.

وفي خطبة الإمام علي (عليه السلام) التي ألقاها بعد أن أغار النعمان بن بشير على عين التمر، وكتب له عامله يستمده، فأمر الناس أن ينهضوا له، فتثاقلوا، فوقف الإمام علي (عليه السلام) وقال : **"منيت بمن لا يطيع إذا أمرت، ولا يجيب إذا دعوت! لا أبا لكم ما تنتظرون بنصركم ربكم؟ أما دين يجمعكم، ولا حمية تُحمِشُكُم[1]"[2]**

إن السجع في عبارتي (لا يطيع اذا امرت ، لا يجيب اذا دعوت) هو سجع مرصع إذ تساوت فيه العبارات في الوزن والروي والتقطيع العروضي ، فمن خلال اللحن الموسيقي والعذوبة في الإيقاع المستمد من استخدام السجع المرصع عبر عن غضبه بسبب تكاسل وتثاقل الناس في تلبية ندائه وإغاثتهم له في مواجهة النعمان كما تناغمت ألفاظه مع المعنى السياقي واستخدامه السجع لتكون حجة أقوى على غضبه تزيد من حجة السجع حجة أخرى في بيان خذلانهم له .

كما أن السجع "يعد من الفنون الأسلوبية الفطرية التي تؤثر في النفوس تأثير السحر، وتلعب بالإفهام لعب الريح بالهشيم لما يحدثه من النغمة المؤثرة، والموسيقى القوية التي تطرب لها الآذان و تهش لها النفس، فتقبل على السماع من غير أن يدخلها ملل، ويخالطها فتور، ولذلك فهو يعد عنصراً حجاجيا مهما يساهم في إثارة عواطف المخاطب و استمالته" .[3]

وخلاصة الكلام: إن سجع الإمام علي (عليه السلام)في خطبه قد حقق الأبعاد الدلالية الحجاجية الثلاثة فقد أثرى كلامه بالموسيقى فأعطى الخطاب جمالاً و رونقاً قل نظيرهما، وتضمن إرشادات ونصائح لا تقدر بثمن، فضلًا عن تأثيره في نفوس المخاطبين وتغيير مواقفهم من اجل اقناعهم بفكرته التي يطرحها ويدعو اليها .

---

[1]. تحمشكم :تغضبكم.
[2]. نهج البلاغة ،ج١ :٤٦.
[3]. دراسات منهجية في علم البديع ،محمد الشحات ،ط١ ،١٩٩٤،:١١٠.

المبحث الثاني : حجاجية الجناس :

يعد الجناس فن من فنون البديع اللفظية، فقد وضح مفهومه الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٠هـ) ،إذ يقول: "الجنس لكل ضرب من الناس والطير والعروض والنحو، فمنه ما تكون الكلمة تجانس أخرى في تأليف حروفها ومعناها ويشتق منها مثل قول الشاعر: يوم خلجت على الخليج نفوسهم...."[١]

أما مفهومه عند عبدالله بن المعتز(٢٩٦هـ) ، فقد عده في كتابه البديع ثاني أبواب البديع الخمسة عنده وعرفه ومثل للحسن والمعيب منه بأمثلة شتى، وقد عرفه بقوله: "التجنيس أن تجيء الكلمة تجانس أخرى في بيت شعر وكلام، ومجانستها لها أن تشبهها في تأليف حروفها ".[٢]

وهكذا كان مفهوم الجناس عند الخليل بالأصالة وابن المعتز بالتبعية مفهوماً عاما يشمل الكلمات المتجانسة سواء تجانست معنى أم اختلفت.

وعرفه أبي هلال العسكري (٣٩٥هـ) ، بقوله: "هو أن يورد المتكلم في الكلام القصير نحو البيت من الشعر والجزء من الرسالة أو الخطبة كلمتين تجانس كل واحدة منهما صاحبتها في تأليف حروفها ".[٣]

أما السكاكي (٦٢٦هـ) فقد عرفه بقوله: "تشابه الكلمتين في اللفظ " .[٤]

ويُقسم الجناس الى قسمين رئيسين هما :[٥]

الجناس التام : وشرطه أن تتفق حروف اللفظين في عددها وترتيبها ونوعها وضبطها ، كقوله تعالى في كتابه العزيز :" **وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ** "[٦] .

---

[١].دراسات منهجية في علم البديع : ٢٠.

[٢].كتاب البديع ،أبو العباس عبد الله بن المعتز، تحقيق إغناطيوس كراتشقوفسكي(ت١٩٥١)، ط٣، دار المسيرة للنشر –الكويت، ١٩٨٢ :١٩.

[٣].كتاب الصناعتين ،ابي هلال العسكري ،تح :محمد ابو الفضل ابراهيم ،دار احياء الكتب العربية ،ط١، ١٩٥٢، :٣٣.

[٤].مفتاح العلوم ،للسكاكي ، شرح نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية –بيروت ، ١٩٨٣ :٤٢٩.

[٥] . في البلاغة العربية علم البديع ، دكتور أحمد حسن المراغي ، دار العلوم العربية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٩٩١م : ١١٠.

[٦]. سورة الروم : ٥٥.

أما القسم الثاني فهو الجناس غير التام أو الجناس الناقص فهو الذي يفقد بعض ما يشترط في الجناس التام ، كقوله تعالى : " **وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ** ۖ " [١].

الواقع أن الجناس من أكثر فنون البديع التي تصرف فيها العلماء من أرباب هذه الصناعة، فقد ألفوا فيه كتباً شتى وجعلوه أبواباً متعددة واختلفوا في ذلك، وأدخلوا بعض تلك الأبواب في بعض، ومن هؤلاء ابن المعتز، وقدامة بن جعفر الكاتب ، والقاضي الجرجاني، والحاتمي وغيرهم. وورد الجناس في مواضع متفرقة من خطب الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) وهو لا يقل شأناً عن غيره من فنون البديع، متأت من الطبع السليم والفطرة النقية التي تستجيب لمقتضى الحال، فالكلمات طوع إرادته تجري على لسانه منقادة للمعنى الذي يريده في يسر وسهولة، من غير قصد أو تكلف، فهو لا يتقصد لفظة للفظة أو معنى لمعنى، وإنما يتقصد فصاحة الكلام وجزالته، وبسط المعنى وإبرازه، وتلاحم الكلام بعضه ببعض، بما ينم عن ذوق رفيع وصحيح، وذهن ثاقب، وقريحة مطاوعة.

وفضلاً عن هذا الجمال والاتساق الذي يضفيه الجناس على الكلام ، فقد تنبه العرب منذ القدم للوظيفة الحجاجية للجناس ، إذ عده ابن حمزة العلوي من " ألطف مجاري الكلام ومن محاسن مداخله ، وهو من الكلام كالغرة في وجه الفرس "[٢] وبذلك يعد الجناس من الأساليب البديعية التي تجذب السامع وتؤثر في نفسه وتحدث فيها ميلا إلى الإصغاء لما يعرض عليها من أطروحات وأفكار ودفعها إلى القبول والتسليم .

إن الخطيب عندما يتكلم يحدث في مجرى الكلام إيقاعا قويا ورنانا تطرب له الأذان ،وتهتز له النفوس بفضل تجاوب الموسيقى الناجم عن تماثل الكلمات ، فإنه " يقصد اختلاب الأذهان ، وخداع الأفكار ، إذ يوهم إنه يعرض على السامع معنى مكررا أو لفظا مردداً لا يجني منه السامع غير التطويل والسآمة ،فإذا هو يروع ويعجب ، ويأتي بمعنى مستحدث يغاير ما سبقه كل المغايرة ، فتأخذ السامع الدهشة لتلك

---

[١] . الانعام : بعض الآية ٢٦.

[٢]. كتاب الطراز ، يحيى بن حمزة العلوي ، ج٢ ،:٣٥٥.

المفاجأة غير المتوقعة "[١] وذلك لان السامع قد اكتشف معنى جديدا لم يكن في الحسبان ، ووصل الى حقيقة لم تكن متوقعة .

ولا شك ان كل كلام جديد ومفاجئ وطريف " يفاجئ النفس ويباين ما كانت تنتظره ، تتنزى له وتتفتح وتستقبله بالبشر والفرح "[٢] ، ولذلك فإن أي معنى جديد أو فكرة تطرح على النفس بشكل مفاجئ وبأسلوب سهل جميل ومتسلسل وفق إيقاع متسق يحمل النفس على قبولها وتصديقها . وفي هذا يقول أرسطو :" إن معظم النكت البلاغية التي نلم بها في الصورة وفي النقل ، بلاغتها في المخاتلة التي يلجأ إليها الأديب ، فإذا انتظرنا من الأديب معنى فخاتلنا عليه ليأتي بمعنى آخر مضاد له ، تأثرنا به وتأثرنا بكلامه أكثر من غيره ، وكأننا من أثر هذه الدهشة وتلك المخاتلة نقول: ما أحق ما يقول ! وما أصدقه ! نحن الذين أخطأنا الفهم لا الأديب " [٣]

والجناس الذي ورد في خطب أمير المؤمنين (عليه السلام) الجهادية هو في غالبه جناس ناقص إذ ابتعد عن أنواع الجناس الأخرى وخاصة التام منها ؛ وذلك لمناسبة الألفاظ لمقتضى الحال، فلفهم المخاطب الجناس التام يحتاج إلى زمان طويل الإدراك والتمعن أما خطب الجهاد فهي خطب حماسية قصيرة الزمن ويلبيها الإيقاع اللغوي السريع .

وقد استعمل الإمام ألفاظاً متجانسة في كتابه إلى جرير[٤]بعد أن أبطأ عند معاوية حتى اتهمه الناس فقام الإمام علي (عليه السلام) وكتب له :**" أما بعد فإذا أتاك كتابي هذا فأحمل معاوية على الفصل، وخذه بالأمر الجزم، ثم خيره بين حرب مجلية، أو سلم محظية[٥]، فإن اختار الحرب فانبذ له، و إن اختار السلم فخذ بيعته"**[٦] كان الجناس غير التام بين لفظتي (مجلية، محظية) بسبب تشابه اللفظ والاختلاف

---

(١).البديع في ضوء اساليب القران ، عبد الفتاح لاشين ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٩٩، :١٦٩_١٧٠.
(٢). فن الجناس ، علي الجندي ، دار الفكر العربي ، القاهرة : ٣٠.
(٣).بلاغة ارسطو بين العرب واليونان ، ابراهيم سلامة ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ط٢ ،١٩٥٢م، :١٧٠.
(٤). جرير بن عبد الله البجلي اليمني صحابي مشهور (ت ٥١ه) شارك في عده معارك منها القادسية وكان سفير الامام علي (عليه السلام) لأخذ البيعة من معاوية .
(٥). محظية : مخزية ، مجلية : حرب تخرجكم من دياركم أو سلم تخزيكم وتذلكم (لسان العرب ، ج١٤، ص١٤٩).
(٦).وقعة صفين :٥٥.

بحرفين مع اختلاف المعنى بينهما اختلافاً كلياً ، فجاء ليوضح أثر الحرب و أثر السلم كذلك وترك الخيار في الأمر لمعاوية وكانت حجته على تأخير جرير عند معاوية ليذكره بأنه كان رسولاً له ، فالجناس معدود من العوامل المؤثرة في إثارة نفس المتلقي وشد انتباهه للخطاب؛ لأنه يحدث إيقاعا للألفاظ مما يكسب النص جمالاً وقدرة على التأثير ، وهذا لا يكون ما لم يكن المعنى هو الذي استدعاه و ساقه إليه .

وفي خطبة أخرى للإمام علي (عليه السلام) في التحريض على القتال قال: **" عباد الله، اتقوا الله عز وجل، وغضوا الأبصار، واخفضوا الأصوات، وأقلوا الكلام، ووطنوا أنفسكم على المنازلة والمجاولة، والمباراة والمعانقة والمكادمة، واثبتوا..... "**[1]

لقد كان تحريض الإمام علي عليه السلام في ثلاثة مواطن هي :(يوم الجمل ويوم النهروان ويوم صفين) فاستخدم الجناس المتمثل بين (المنازلة و المجاولة) وجميعها على وزن (المفاعلة) فكانت المنازلة والمجاولة حجته في تحريض الناس لأكثر من معركة، فالمنازلة تعني القتال أما المجاولة فهي المعركة التي تكون على جولات متعددة وبأزمنة مختلفة، فكان للجناس أثر في الحث والإقناع على الاستمرار ، ولقد أوصل تلك الفكرة في التحفيز واستمرار القتال بوصف المعارك المتتالية وصفا بارزاً بسبب استعمال تقنية الجناس لتتصل هذه التقنية بتقنيات أسلوبية متعددة جاءت لكشف المعنى وبيانه، فضلا عن أن المعنى هو الذي يطلبها .

ولما أخبر الإمام علي (عليه السلام) بخطبة معاوية وعمرو، وتحريضهما الناس عليه أمر الناس، فجمعوا، فقال: كأني أنظر إلى علي متوكئاً على قوسه، وقد جمع أصحاب رسول الله (صل الله عليه واله) عنده، فهم يلونه فقال: **"اسمعوا مقالتي وعوا كلامي؛ فإن الخيلاء من التجبر، وإن النخوة من التكبر، وإن الشيطان عدو حاضر ، يعدكم الباطل ألا وإن المسلم أخو المسلم، فلا تنابذوا، ولا تخاذلوا، فإن شرائع الدين واحدة وسيلة قاصدة، من أخذ بها لحق، ومن تركها مرق، ومن**

---

[1].وقعة صفين :٢٠٤.

فارقها محق، ليس المسلم بالخائن إذا اؤتمن، ولا بالمخلف إذا وعد، ولا بالكذاب إذا نطق، نحن أهل بيت الرحمة، وقولنا الصدق، ومن فعالنا القصد، ومنا خاتم النبيين"[1]

إن افتتاح الخطبة بالجناس بين (اسمعوا، وعوا) طلب بتجاوب موسيقي وإقناعي صادر من تماثل الكلمات إذ يطلب الإمام (عليه السلام) من جمهور الناس أن يسمعوا كلامه ويفهموه أحسن فهم بكل تمعن وإدراك وهذا التقارب الصوتي يوحي بالتقارب الدلالي ، وقد افتقدت اللفظة الثانية إلى صوتي (السين والميم) ، ولكن هذا النقص لا أجد له تأثيراً كبيراً مادام بين اللفظتين تشابه صوتي كبير، ويبدو أن سبب ذلك يرجع إلى الصوت الناقص في بداية الكلمة، فضلا عن أنه من الأصوات الساكنة المهموسة، وقد عوض صوت العين الجهوري الذي يعد بين الشديد والرخو و صوت الواو التكراري النقص الحاصل في الجناس، وفي هذا المثال يكون المنبه التعبيري أقوى تأثيراً نتيجة للهزة الدلالية التي يتلقاها المتلقي بمخالفة التوقع.

وتابع خطبته معتمدا على جناس آخر وتماثل بين كلمتي (التجبر و التكبر) تماثلًا تطرب له الأذن ويلامس النفس، فيحفزهم على الثورة والدفاع في وجه معاوية وأتباعه، فبدأ الإمام (عليه السلام) بشرح حجته في ذلك القتال بجناس يؤدي إلى إقناعهم في الجهاد، فكان الاختلاف بين اللفظتين المتجانستين في حرفي (الجيم والكاف) فالجيم حرف جهوري أما الكاف فجاء بصوت مهموس، ولكن التجانس بينهما كان بسبب تتالي حرف الباء الذي يحمل الصفة الانفجارية وهذا ما يخدم المعنى المراد وينقل لنا صورة الموقف، كما تخللت خطبته ذاتها جناس ناقص غير تام يسمى (جناس القلب)[2] ،مما يعطي الكلام إيقاعا وتأثيرا في نفس السامع ، وقد استخدمه بعد فاصل زمني إذ قال: **"وقولنا الصدق، ومن فعالنا القصد"** إن استخدام أمير المؤمنين (عليه السلام) جناس القلب في وسط خطبته التجلي في لفظتي (الصدق، القصد) حجة أخرى على إثبات حقه وحق أنصاره بذكر صفاتهم، فهم لا

---

[1] .وقعة صفين :٢٢٣.

[2] . جناس القلب : وهو اختلاف اللفظتين في ترتيب الحروف فقط ، بمعنى ان يتساوى اللفظان في نوع الحروف وعددها ويختلفان في ترتيبها (في البلاغة العربية علم البديع ، د. احمد المراغي : ١١٨).

ينطقون إلا الكلام الصادق، ولا تنم عنهم تصرفات وأعمال إلا وتنم عن أخلاق حميدة، وهذا ما يزيد من تحريضهم على قتال معاوية إذ أضفى أمير المؤمنين (عليه السلام) حجة تلو حجة حتى يصل إلى قلوب وعقول أتباعه فيناصروه بكل ما يملكون من قوة وبسالة، ومما يجدر ذكره أن التناوب في مخارج الأصوات بين (القاف)و(الصاد) أوجد انتظاما صوتيا مقدراً في إخراج النسق الصوتي الموسيقي المؤثر ، فضلاً عن القيمة الدلالية فالصدق يحمل معنى قول الحقيقة، والقصد يشير إلى الإصرار والعزيمة، وفي ذلك يتم الانتقال بالعمل من الداخل الى الخارج .

ويتابع الإمام علي (عليه السلام) خطابه ؛ فيقول: **"وقد علمتم أني لم أخالف رسول الله (صل الله عليه واله) قط، و لم أعصه في أمر قط. أقيه بنفسي في المواطن التي ينكص فيها الأبطال، وترعد فيها الفرائص نجدة أكرمني الله بها ؛ فله الحمد ولقد قبض رسول الله (صل الله عليه وآله) وإن رأسه لفي حجري، ولقد وليت غسله بيدي وحدي تقلبه الملائكة المقربون معي"**

ويكرر الإمام سلام الله عليه اعتماده للجناس في نهاية قوله: **"ولقد وليت غسله بيدي وحدي"** فكان الجناس بين لفظتي (بيدي ، وحدي) مقبولاً عندما اقتضاه المعنى وتطلبه المضمون، وتقبلته العقول، وابتعد فيه المخاطِب عن الزخرفة وجلب اللفظ أولاً ، فكانت اللفظتان المتجانستان حجة قوية لبيان منزلته المرموقة وقربه من الرسول الكريم إذ تولى (عليه السلام) غسل الرسول الكريم (عليه وعلى اله صلوات الله) وتكفين ذاك الجسد الطاهر بيديه النقيتين الطاهرتين من دون مساعدة أحد من البشر ، وفي هذه الحجة صورة واضحة على أن الإمام (عليه السلام) على حق بقتاله هو ومن والاه، فمن غير المنطقي أن من ينصبه الله تعالى لغسل جسد الرسول(صل الله عليه وآله) أن يكون ظالماً وآكلا لحقوق الآخرين ولا حتى طامعا في استلام الحكم أو ساعياً وراء ملذات الحياة، وفي ذلك كان التجنيس ملائماً فإن اللفظتين لا تتجانسان ولذلك كان التقارب الصوتي قد أوحى بالتقارب الدلالي " إلا

إذا كان موقع معنييهما من العقل موقعاً حميداً، ولم يكن مرمى الجامع بينهما مرمى بعيداً"[١]

ومما لاحظناه فإن وظيفة الجناس تتجلى في إحداث الأثر في السامع وجعله يتوقف عند هذا الاستعمال، إذ لا يمكن لهذا القارئ أن يهمل تلك العناصر من دون النظر في النص ومعانيه، وظلال المعاني التي أسبغها الجناس .

ومن ذلك خطبة الإمام علي(عليه السلام) في أيام صفين يُذكر فيها المقاتلين بصفات النبي الكريم (صل الله عليه واله)وأخلاقه لكي يتحلوا بها ، فوصفه ،قائلاً:

" أشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق، ارتضاه لذلك وكان أهله، واصطفاه على جميع العباد لتبليغ رسالته، وجعله رحمة منه على خلقه، فكان كعلمه رؤوفا رحيماً، أكرم خلق الله حسبا، وأجمله منظراً، وأسخاه نفسا، وأبره بوالد، وأوصله لرحم، و أفضله علما، وأثقله حلما، واوفاه بعهد، وآمنه على عقد، لم يتعلق عليه مسلم ولا كافر بمظلمة"[٢]

وهنا أيضاً كرر اعتماده على الجناس (علماً، حلماً) ثم أردفه مباشرة بجناس آخر (عهد، عقد) فالاختلاف الحاصل بين (العين) و(الحاء) ثم بشكل متتابع اختلاف ثان بين(الهاء)و(القاف). فالعين والحاء معا مخرجهما وسط الحلق ،وهما متشابهان في المخرج ، " فاللفظ المشترك إذا حمل على معنى ثم جاء والمراد به آخر لكان للنفس تَشَوقٌ إليه"[٣] أما مخرج الهاء فهو من أقصى الحلق ومخرج القاف من أقصى اللسان وهما متقاربان في المخرج، فخلق ذلك بنية موسيقية مؤثرة موزعة بتقنية عالية الأداء ، فهو يعدد للسامعين مناقب الرسول(صل الله عليه واله) وما تحلى به، وفي ذكره(عليه السلام)هذه الصفات الحميدة حجة له على الناس في تحفيزهم على التحلي بذات الأخلاق والمكارم النبيلة وإتخاذه عليه الصلاة والسلام وعلى آله قدوة لهم وحثهم على نصرة دين الحق دين الرسول (صل الله عليه وآله)

---

[١]. اسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني : ٧.
[٢].وقعة صفين :٣١٤.
[٣]. فن الجناس ، علي الجندي : ٢٩_٣٠.

والمحافظة عليه، ومن جانب آخر فإن اعتماده على الجناس كان لتقبل الخطاب والاقتناع بمضمونه و ليكسب النص الخطابي إيقاعا موسيقياً ويثير انتباه السامعين ويشوق نفوسهم .

وقد خطب الإمام علي (عليه السلام) بقومه بعد أن أغاروا على معاوية وأصابه مع جنوده القرح الشديد والوهن العظيم في صفوفهم، ولكنه تمكن من الفرار بعيداً، فأعاد الإمام علي(عليه السلام) طلب تشكيل جيشه لملاحقة فلول جنود معاوية" وركب علي (عليه السلام) فرسه الذي كان لرسول الله(صل الله عليه وآله) ، ثم تعصب بعمامة رسول الله (صل الله عليه واله)السوداء ثم نادى : ايها الناس ، من يَشرِ نفسه لله يربح . هذا يوم له ما بعده . ان عدوكم قد مسه القرح كما مسكم " [1] فانتدب له ما بين عشرة آلاف إلى اثني عشر ألفاً قد وضعوا سيوفهم على عواتقهم وتقدمهم الإمام علي (عليه السلام) ممتطيا بغلة الرسول(صل الله عليه واله) "الشهباء" وهو يقول:[2]

دبوا دبيب النمل لا تفوتوا وأصبحوا بحربكم وبيتوا

حتى تنالوا الثأر أو تموتوا أولا فإني طالما عصيت

قد قلتم لو جئتنا فجيت ليس لكم ما شئتم وشيت

بل ما يريد المحيي المميت

نلاحظ بأن الإمام (عليه السلام) اعتمد الجناس بشكل واضح لما له من أثر موسيقي تطرب له الآذان وتميل له القلوب والعقول، فكان الجناس متعددًا بين لفظتي (تفوتوا، تموتوا) إذ تشابها باللفظ واختلفا بحرفي (الفاء و الميم) ما أدى إلى اختلاف المعنى بينهما فالأولى جاءت بمعنى (تتركوا) والثانية بمعنى (تفنوا) ثم كرره بشكل متسارع في كل شطر شعري (عصيت، فجيت، وشيت، المميت) على وزن (فعيت) ولكن بمعان مختلفة.

إن في هذا التسارع حجة قوية لإقناعهم بواجب القتال وملاحقة معاوية وجنوده بعد تمكنهم من الهروب، فإن الجناس في مثل هذا الموضع أتى بمعنى مستحدث يغاير

---

[1]. وقعة صفين : ٤٠٣.

[2]. م ن :٤٠٣.

ما سبقه كل المغايرة ، فتأخذ السامع الدهشة لتلك المفاجأة غير المتوقعة، لاكتشافه معنى جديدا لم يكن في الحسبان والوصول إلى حقيقة لم تكن متوقعة ،إذ لم يترك الامام علي (عليه السلام)لأنصاره في ذكره هذه الأبيات حجج واهية لترددهم.

لم تأت خطب الإمام علي (عليه السلام)وحججه في استمرار القتال وتحريض أصحابه أي نتيجة ولم يكن لها أي صدى في نفوسهم، فأقر بقرار حكيم منه بتوقف النزال إلا أنه قام فيهم محذراً:

" إن هؤلاء القوم لم يفيئوا إلى الحق، ولا ليجيبوا إلى كلمة السواء حتى يرموا بالمناسر تتبعها العساكر، وحتى يرجموا بالكتائب تقفوها الجلائب، وحتى يدعو الخيل في نواحي أرضهم وبأنحاء مساربهم ومسارحهم"[1]

فأخذ الإمام علي (عليه السلام) في كلمته يصف عدوهم الذي أقروا بالصلح معه مستخدماً الجناس الناقص (الكتائب، الجلائب) واختلفا بعد استبداله (عليه السلام) حرف الكاف بالجيم فغير المعنى كلياً ثم ذكر (مساربهم، مسارحهم) واختلاف بسيط بين حرفي الباء والحاء لكنه أدى إلى تنبه السامعين وأدى المعنى المراد، فكان من ترديد تلك الأصوات المتشابهة تقوية في رنين اللفظ على أسماعهم علهم يعون مدى خطئهم في قرار الصلح.

إن هذه الانتقالات هي ما أعطى للجناس قوة حجاجية ، وجعله قادراً على إصابة مواقع العقل والقلب معا، فهو إذ يحدث في الكلام تشابها صوتيا واختلافاً دلاليا، فإنه يدفع بالمخاطب إلى القيام بالإنتقالات الحجاجية للكشف عن حقيقة هذا الاختلاف وإدراك دلالاته وأبعاده، فيكون هو من توصل بنفسه إلى هذا الاكتشاف، فيبلغ مرتبة الإقناع الشيء الذي يجعله بعد ذلك يجد صعوبة في دحض أو إبطال ما توصل إليه بنفسه، وهو ما يضمن وصول المتلقي إلى درجة من الإقناع والإمتثال لرأي المتكلم من خلال إيقاع الكلام .

ولما أتى الإمام علي(عليه السلام) الخبر - وهو بالمدينة - بأمر عائشة أنها قد جهزت جيشاً و توجهت نحو العراق لمقاتلة الإمام وكل من يواليه، فخرج الإمام

---

[1]. وقعة صفين :٥٢١.

علي(عليه السلام) يبادر، فلما انتهى بالربذة[١] قضى أياماً وأرسل إلى المدينة فلحقه ما أراد من دابة وسلاح، وقام في الناس فخاطبهم، قائلا: **"إن الله عز وجل أعزنا بالإسلام، ورفعنا به، وجعلنا به إخوانا بعد ذلة وقلة، وتباغض وتباعد فجرى الناس على ذلك، الإسلام دينهم، والحق فيهم، والكتاب إمامهم، حتى أصيب هذا الرجل بأيدي هؤلاء القوم الذين نزغهم الشيطان لينزغ بين هذه الأمة".**[٢]

كان الجناس بين (ذلة، قلة) وبين (تباغض، تباعد) مظهراً من مظاهر الموسيقى الناجمة عن المتلقي، والاختلاف بين الحرفين (الذال والقاف) فكانت (ذلة) بمعنى الهوان أما (قلة) بمعنى العدد القليلة أو المكانة المنخفضة ثم (الغين والعين) فجعل واحدة بمعنى الكره و الحقد و الثانية بمعنى البعد، وهذا ما صنع الجناس في اللفظتين و لو سقط هذان الحرفان لاختفت الموسيقى التي تكونت لتؤدي أثرا بالغ الأهمية في إنتاج الدلالة التجانسية، وذلك باستحضار حاسة التوقع عنده، و "هو توقع يقتضي أن ينتج التماثل السطحي تماثلا عميقاً، وهنا يخالف الناتج هذا التوقع، إذ يقود التماثل إلى التخالف، ولهذا تتكاثر المنبهات التعبيرية في الخطاب الإبداعي التي تؤكد شعرية الصياغة "[٣] ، التي تهدف في -الأعم الأغلب- إلى إحداث تأثير رمزي عن طريق الربط السببي بين المعنى والتعبير ،إذ إن هذا التقارب الصوتي يوحي بالتقارب الدلالي فتجعل القتال أمرا مقبولاً لديهم ، وهذه أمور لها وزنها في إثارة السامع والتأثير عليه وحضه على القتال وزيادة شجاعته في ساحة الوغى إذ كان الجناس توضيحاً راسخا لما كان بين صفوف المسلمين قبل الدعوة من حقد وكراهية لبعضهم.

---

[١]. الربذة : وهي منطقة في مكة ويقال انها أسم لجبل (معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، ج٥ ، ١٩٧٩، ص : ٢٩٥).

[٢]. تاريخ الطبري ، لابن جرير الطبري ، م٥ ، ١٨٥.

[٣]. ينظر: البلاغة العربية قراءة اخرى ، محمد عبد المطلب : ٢٧٣.

وعندما أراد الإمام علي (عليه السلام) السير إلى أهل الشام دخل عليه عبد الله بن المعتم العبسي[١] وحنظلة بن الربيع التميمي[٢] ، في رجال كثر من غطفان وبني تميم يثبطوه عن ذلك المسير، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال :

"أما بعد فإن الله وارث العباد والبلاد ، رب السماوات السبع والأرضين السبع ، وإليه ترجعون، يؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء" [٣]

إن استفتاح الإمام قوله بالجناس هو دليل على قوة الموقف والحجة الإيقاعية الشديدة التي تدل على أهمية ما سيقوله ولتنبيه مخاطبيه ، فللجناس دعامة قوية قادرة على تأكيد المعنى الذي يريد تثبيته في نفس السامع .

فكان الجناس في (العباد، البلاد) و هما موروثان من الله تعالى تشابها باللفظ واختلفا بحرف واحد فقد بدل العين بالباء ، والمقصود بالموروثين الناس والأوطان ، وفي ذلك نغم عذب على أوتار الزهد في الحياة الدنيا ولحن جميل يعبر عن إرادة الله تعالى وتحكمه بكل زمام الكون ليزيل ما دب في نفوسهم من تردد وتحفظ على المسير.

وفي خطبة للإمام علي (عليه السلام) بعد أن خرج جارية فعسكر، وخرج أبو الأسود[٤] فحشر الناس فاجتمع إلى جارية ألف وسبعمائة، ثم أقبل حتى وافاه الإمام علي بالنخيلة، فلم يزل بالنخيلة حتى وافاه هذان الجيشان من البصرة، فجمع إليه رؤوس أهل الكوفة ورؤوس الأسباع والقبائل ووجوه الناس، فحمد الله، وأثنى عليه ، ثم قال : **"يا أهل الكوفة، أنتم إخواني وأنصاري وأعواني على الحق، وصحابتي على جهاد عدوي المحلين، بكم أضرب المدبر، وأرجو تمام طاعة المقبل، وقد**

---

[١]. عبد الله بن مالك بن المعتم العبسي (ت٣٧ه) صحابي من المهاجرين الاولين ، اول من اسلم من قبيلة عبس وقائد من اشراف غطفان (الإصابة في تمييز الصحابة ، ابن حجر ، ج٤، ١٩١).

[٢]. حنظلة بن الربيع التميمي الكاتب ، وهو احد الصحابة الذين كتبوا لرسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) شهد القادسية ونزل الكوفة ، وتخلف عن علي بن ابي طالب (عليه السلام) يوم الجمل في قتال اهل البصرة ، وتوفي في خلافة معاوية بن ابي سفيان .

[٣]. جمهرة خطب العرب ، ١ /٣١٦.

[٤]. أبو الاسود النعمان بن بشير بن سعد الانصاري ، كان منحرفا عن الامام علي (عليه السلام) وعدوا له ، وخاض المعارك مع معاوية وابنه يزيد حتى قتل على حاله (الإكمال في اسماء الرجال ، الخطيب التبريزي ، ص ٢٢٤).

بعثت إلى أهل البصرة فاستنفرتهم إليكم، فلم يأتني منهم إلا ثلاثة الاف و مائتا رجل ، فأعينوني بمناصحة جلية خلية" [١]

فالجناس الناقص بين (جلية، خلية) جاء بلفظتين متعاقبتين متشابهتين بالإيقاع الصوتي لكنهما بمعنيين مختلفين متممين لبعضهما البعض ، فأكسب الخطبة جمالا وزاد المعنى المراد من تقديم النصيحة والرأي استقراراً في النفس وتأثيرا فيها إذ كانت حجة الإمام في إبراز ديمقراطيته وأخذه بعين الاعتبار لآراء كبار القوم ووجهاء أعوانه ، فقد تعاقبت الألفاظ على نحو منتظم ليشتد وقعها في النفوس ويتلاحق تأثيرها، ولا شك أن للجناس تأثير في انسجام النص وتماسكه مما يجعله يجري وفق سياق ايقاعي مختلف يفاجئ النفس ويباين ما تنتظره .

وفي خطبة أمير المؤمنين (عليه السلام) وبعد أن أغار النعمان بن بشير على عين التمر ، قال:

" يا أهل الكوفة كلما سمعتكم بمنسر[٢] من مناسر أهل الشام أظلكم، أنجحر[٣] كل امرئ منكم في بيته، وأغلق بابه، إنجحار الضب في جحره، والضبع في وجارها، المغرور من غررتموه، ولمن فاز بكم فاز بالسهم الأخيب، لا أحرار عند النداء، ولا إخوان ثقة عند النجاء"[٤]

في هذه الخطبة هيأ الإمام (عليه السلام) جواً موسيقياً توبيخياً لشدة تقاعسهم وتثاقلهم عند الحاجة إليهم مولداً من هذين اللفظتين المتجانستين (النداء، النجاء) ما يسهم في خلق أصداء وأنغام حماسية إضافية في نفوسهم الميتة المترددة عن الجهاد، فحجاجية الجناس هنا تعود إلى الدهشة والمفاجأة غير المتوقعة التي تحدث في النفس عند إدراكها للمعنى الجديد، ووقوفها على حقيقة الاختلاف الدلالي الخفي بين اللفظتين المتجانستين انطلاقاً من تشابههما الصوتي الظاهر ، إذ إن إدراك الرأي واكتشافه هو ما يجعل المخاطب يَقبل الكلام ويُقبل عليه، لأنه يكون هو من توصل إليه

---

[١]. تاريخ الطبري ، ابن جرير الطبري ، م٤ ، ٤٥.
[٢]. المنسر : قطعة من الجيش ما بين ثلاثين فارسا الى اربعين (لسان العرب ، ج١، ٦٩١).
[٣]. من انجحر الضب : أي دخل جحره الذي يأوي اليه (لسان العرب ، ج٥، ٢٨٠) .
[٤]. تاريخ الطبري ، م٦ ، ٧٧.

بنفسه، وعرف حقيقته ، ففي جناس هاتين اللفظتين شرارة توقد الثورة والنخوة في قلوبهم من جديد.

وفي خطبة الإمام علي (عليه السلام) بعد إن أغار الضحاك بن قيس على الحيرة وغنم أموال أهلها، وبلغه ذلك، فاستصرخ الناس، فتقاعدوا عنه، فقال ساخطاً منهم : **تقولون في المجالس كيت وكيت، فإذا جاء القتال قلتم حيدي حياد[١]، ما عزت دعوة من دعاكم، ولا استراح قلب من قاساكم، أعاليل بأضاليل[٢]، دفاع ذي الدين المطول، هيهات لا يمنع الضيم الذليل، ولا يدرك الحق إلا بالجد ....."[٣]**

فإنه (عليه السلام) قد وصف كل من تقاعس عن الجهاد بألفاظ متجانسة (أعاليل، أضاليل)، والباء في قوله :"بأضاليل" متعلقة ب "أعاليل" نفسها ، أي يتعللون بالأضاليل التي لا جدوى منها[٤] ، ولا ريب أن مثل هذه التغييرات الصوتية التي تجري على اللفظتين المتجانستين، وتظهر قوة بلاغة الخطاب ، فتكون أحسن وقعاً في السمع وهم بالأساس متقاعسين عن سماعه وطلبه، وأكثر تأثيراً في النفس فنرى كيف أسهم التجانس في الكلام الى تقوية حجة الخطاب من خلال التغير الصوتي بين الالفاظ ذات الإيقاع المتناغم الذي يطرائق السمع ويجذب الانتباه مما يزيد من حجاجية الخطاب وتأثيره .

وصفوة الكلام أن الجناس صورة من صور الإيقاع المتناغم الذي يكسي النص الذي يرد فيه جمالاً و يزيده قوة في الرنين، ولا تعرف قيمته إلا إذا جاء منقاداً للمعنى، وفي ذلك يكون الجناس قد بلغ غايته في التأثير والإثارة و الإقناع .

---

[١]. حيدي حياد : كلمة يقولها الهارب الفار ، أي ابعدي عني ايتها الحرب (لسان العرب ، ج٣/ ١٥٩).
[٢]. اضاليل : جمع اضلولة بالضم وهي الضلال (لسان العرب ، ج١١/٣٩٤).
[٣]. نهج البلاغة ، ج١ ، ٣٩.
[٤]. شرح نهج البلاغة ، لابن ابي الحديد المعتزلي ، تحقيق : محمد أبو الفضل أبراهيم ، م١، ج٢: ١١٢.

المبحث الثالث: حجاجية التكرار :

التكرار أحد علامات الجمال البارزة في الكلام وهو دال على المبالغة من (الكر) ويراد به التكثير في الأفعال، وهو بالمعنى العام (الإعادة)، فظاهرة تنظيم الكون والوجود والطبيعة وجسم الإنسان قبل أن تكون ظاهرة في الفنون المختلفة فهو في الكون ماثل بوضوح في تكرار دوران الأفلاك وظهور النجوم والكواكب واختفائها ،وأما في الطبيعة والوجود فالتكرار متمثل بشكل ثنائي في تناوب الليل والنهار بشروق الشمس وغروبها، وفي تكرار أوجه القمر، وفي تعاقب أوجه القمر مداً و جزرًا، وبشكل رباعي في تعاقب فصول السنة الأربعة، فالتكرار إذن في كل مكان و على جميع المستويات إذ تسلك الطبيعة مسلكا متموجا تعود من إذ بدأت في حلقات أو دورات تتشابه بدرجات متفاوتة.

اما مفهوم التكرار فيرى الجاحظ (ت٢٥٥هـ) أن التكرار " ليس فيه حد ينتهي إليه و لا يؤتى على وضعه وإنما ذلك على قدر المستمعين، ووظيفته عنده الإفهام" .[١]

ويعرف السلجماسي (ت٧٠٤هـ) التكرار بعد أن يعطي معناه بأنه: " إعادة اللفظ الواحد أو النوع، أو المعنى الواحد بالعدد أو النوع، في القول مرتين فصاعداً، وهي اسم لمحمول يشابه به شيء شيئاً في جوهره" [٢]

فالتكرار هو تناوب الألفاظ وإعادتها في سياق التعبير إذ تشكل نغماً موسيقياً يقصده الناظم في شعرهِ أو نثرهِ يسهم في انسجام النص .

يرتبط التكرار في بعض حالاته بتغيير سلوك المخاطب ، يقول ابن الاثير (ت٦٣٧هـ) :" اذا صدر الأمر من الآمر على المأمور بلفظ التكرير مجرداً من قرينة تخرجه عن وضعه ، ولم يكن مؤقتا بوقت معين ، كان ذلك حثا له على المبادرة إلى امتثال الأمر على الفور ، فأنك إذا قلت لمن تأمره بالقيام : قم ،قم، قم . فإنما تريد بهذا اللفظ المكرر أن يبادر إلى القيام في تلك الحال الحاضرة ".[٣]

---

[١]. البيان والتبيين ، الجاحظ ، ١٠٥.

[٢]. المنتزع البديع في تجنيس اساليب البديع ، لابي محمد القاسم السلجماسي ، تح: علال الغازي ، مكتبة العارف ، الرباط: ٤٧٦.

[٣]. المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر ، ابن الاثير ، ٣ / ٣.

ولذلك فإن تكرار الألفاظ له القدرة على انصياع المتلقي لما يريد المتكلم من خلال قرع السمع باللفظ أكثر من مرة مما يشتد وقعه في النفس ومن ثم يدفع الملل والضجر عن السامع لأجل تلقي الأفكار والأطروحات .

ولا نغفل الوظيفة الحجاجية والتداولية للتكرار في الخطاب ، إذ إن للتكرير تأثيراً كبيرا في عقول المستنيرين ، وتأثيرا اكبر في عقول الجماعات من باب أولى ، والعلة في ذلك كون المكرر ينطبع في تجاويف الملكات اللاشعورية التي تختمر فيها أفعال الإنسان ، فإذا انقضى شطر من الزمن نسي الواحد منا التكرار وانتهى بتصديق المكرر ، وهذا هو السر في تأثير الإعلانات العجيب ، يقرأ الواحد منا مائة مرة أن أحسن الحلوى هي من صنع فلان ، فيخيل إليه من التكرار انه سمع ذلك من مصادر شتى ، وينتهي بإعتقاد صحة الخبر.[١]

ويستفاد من وظيفة التكرار في الإقناع ، إذ يعمد المتكلم إلى التكرار كلما وجد إن المقام لا يحتاج إلى إيجاز ، والسبب هو أن التكرار أولى في مقام الإطناب ، وكذلك أولى في مقام الإيجاز ، ولذلك يجب أن يكون التكرار بعبارات وأساليب مختلفة ، وعلى هذا الأساس فإن التكرار يؤثر ويقنع ؛ لأنه من بواعث شد انتباه السامعين.

إن للتكرار قوة حجاجية يستعين الخطباء بها للإقناع ، "وذلك أن من طرائق عرض الخطاب عرضا حجاجيا اعتماد التكرار لإبراز شدة حضور الفكرة المقصود إيصالها للمتلقي والتأثير به "[٢]، كما يحتاج الخطباء إلى أدلة وبراهين خطابية لإقامة حججهم ، وكذلك يكونون في حاجة إلى تفنيد دعوة المشككين في كلامهم ، وفي كلا الحالتين يمكن أن يعتمد الخطيب على التكرار، " والخطيب الناجح يشرح الأدلة التي يسوقها شرحا وافيا يكثر فيه المترادفات ، ويعيد بعض الجمل ، ويلح على تركيز معاني خاصة وجزئيات وأمثلة توضح الفكرة ، وتثبتها في أذهان سامعيه "[٣]

---

[١]. ينظر : الخطابة العربية اصولها وتاريخها ، محمد ابو زهرة ، دار الفكر العربي ، القاهرة : ٦٦.
[٢].الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته، عبد الله صولة ، ٣١٨.
[٣]. الخطابة واعداد الخطيب ، عبد الجليل شلبي : ١٣.

وهناك عدة وسائل في استعمال التكرار : منها التكرار اللفظي حين يقوم المتكلم أو الخطيب بإعادة الكلمة أو الجملة نفسها أكثر من مرة وفي موقف واحد ، ومنها أيضا التكرار المعنوي "وهو التعبير عن المعنى الواحد بطرائق مختلفة ؛ ليتضح ويقوى تأثيره ، ولا عيب في هذا التكرار المعنوي إذا ما تغايرت عباراته ".[١]

ولعل خطب الإمام علي (عليه السلام) في الجهاد والتي صدرت من نبع صافي عذب إذ بيت الرسالة و إذ العلم و الإيمان و الحكمة والقول الفصل البلاغة الساطعة، فكانت هذه الخطب تمتلك من الإيقاع الجاذب والموسيقى الرائعة ما يستهوي الأنفس، وما كانت هذه لتحدث إلا بعد أن ضمن تراكيبه اللغوية أسلوباً نراه ظاهرة بارزة إلا أنها ظاهرة التكرار ، إذ نراها في خطبه (عليه السلام) بأنواعه المختلفة (الحروف - الكلمات - الجمل).

أ - الحروف:

والبداية في تكرار الحروف إذ تكرر حرفا الكاف والميم بصورة لافتةً للناظر ومسترعيةً للسامع في خطبة للإمام علي (عليه السلام) إذ دعا إليه كل من المهاجرين والأنصار يستشيرهم في المسير إلى أهل الشام، فقال:**" أما بعد فإنكم ميامين الرأي، مراجيح الحلم، مقاويل الحق، مباركو الفعل والأمر، وقد أردنا المسير إلى عدونا وعدوكم فأشيروا علينا برأيكم"** [٢]

وهنا كرر سلام الله عليه حرفي (الكاف والميم) معا في (إنكم، مباركو، عدوكم، برأيكم) إذ دمج في خطابه صوت الكاف المهموس مع صوت الميم المجهور المتوسط الشدة ، فهو واضح في السمع ما أعطى الخطاب إيقاعاً جميلاً ومنحىً جديداً في إعطاء الناس قيمتهم وحريتهم في إبداء الرأي، وفي الوقت نفسه كان للصوت الجهوري معنى ضمنياً يوحي برغبة الإمام في السير وتوجيه الناس إلى تأييد ذلك ، إذ إن التكرار لتلك الحروف يحدث فضلا عن التشكيل الصوتي

---

[١]. فن الخطابة ، احمد الحوفي : ١٦٤.
[٢]. وقعة صفين : ٩٢.

الصورة السمعية أثراً في نفس المتلقي يحدث اندفاعاً ذاتياً لديه ، ومن ثم الامتثال لما يريده المتكلم .

أما في خطبة الإمام علي (عليه السلام) التي ألقاها حين بلغه مقتل عامله محمد بن أبي بكر بعد أن أصابه الحزن حتى رئي ذلك في وجهه المكرم وفيها لجأ أمير المؤمنين للتأثير بمخاطبيه من خلال تكرار المقطع الصوتي المؤلف من حرفي (الجيم والراء) فهو أكثر تأثيرا في السمع من تكرار الحرف الواحد ، إذ قال: **"تجرجرتم جرجرة[1] الجمل الأشدق"**[2] فقد أعيد على أذن السامع مقطع تشكل واستوعبته مسامعه وأدركت إيقاعه، فإذا به يعاد مرة أخرى وبدون فاصلة أو تغيير في مواقع الأصوات ، وهذا يحدث تأكيداً للنغم و قرعا للسمع متناسق متساوٍ في زمنه وفي صفات أصواته فالمقطع السابق الذي تكون في تكرار صوت الجيم وهو صوت جهوري قوي والفتحة حرف مد قصير أما الراء فهو صوت مفخم ويتميز بالتكرار ، فكانت مجانسته مجانسة موفقة في المزاوجة بين صفة الصوت والمعنى المراد إيضاحه، فكان صوت الراء مثل معادلاً عالياً لتكرار النداء عليهم وحثهم على القتال، فضلاً عن ذلك فإن للراء دلالة إيحائية على التردد والخوف ومقدار التخاذل ،وتكرار هذه الأصوات المتتالية هو مقطع مغلق أعيد أربع مرات متتالية بدون فاصل ، مما أحدث في النص إيقاعاً متجانساً ولد كمية من الأصوات المكثفة في زمن قصير ، وهذا التناسب المنظم في الأصوات حقق إيقاعًا كبيرًا للنص ، ما أكسبه عمقا أكثر وتمكنا واضحاً في أذن المتلقي ليمنح القدرة على إثارة انتباه السامع وشد أحاسيسه إلى هذا التشبيه في الخنوع والتكاسل عن الجهاد.

وفي الخطبة نفسها كرر (عليه السلام) حرف الاستفتاح (ألا) في بدايتها ، فقد قال: **" ألا إن مصر قد افتتحها الفجرة أولو الجور و الظلم ، الذين صدقوا عن سبيل الله، وبغوا الإسلام عوجا، ألا إن محمد بن أبي بكر قد استشهد رحمه الله، فعند الله**

---

[1]. الجرجرة : صوت يردده البعير في حنجرته.
[2].تاريخ الطبري ، م٦، ٦٢.

تحتسبه، أما والله إن كان - ما علمت - لممن ينتظر القضاء، و يعمل للجزاء، ويبغض شكل الفاجر، ويحب هدى المؤمن"[١]

فالابتداء ب (ألا) وتكرارها كان يمثل المتكلم والمتلقي مفتتحًا للفكرة الدالة على أجواء المقال ،وما بعدها يكون خبراً مهما يريد الإمام الإعلان عنه ، فالكلام الذي يأتي بعد الافتتاح ب(ألا) قد بلغ من السبك اللفظي والحبك الدلالي ما يضمن تحقيق غاية الإمام(عليه السلام) من الإبانة والكشف وترسيخ الفكرة في ذهن المتلقي ،لذلك أورد (ألا) في خطابه لجذب الانتباه وطلب الإهتمام بما سيقوله بكل لين و رفق، وفي تكراره بلاغة حجاجية تنطوي على تتابع توكيد مؤطر باللوم والعتاب والتوبيخ لمن أستغفل واستهون في الدفاع عن مصر وحمايتها، كما فيها دليل على الحسرة والحزن الشديد لموت محمد بن أبي بكر ، وخوف من وقوع مصر في أيدي أهل الظلم ، وبذلك فإن تكرار (ألا) يعد حجة إيقاعية تعزف لحناً على أوتار متعددة لتظهر في النهاية تنبيه من واقع مرير وحزن شديد.

وفي خطاب آخر له (عليه السلام) يستنفر الناس لقتال معاوية اعتمد تكرارًا من نوع جديد وهو تكرار الضمير المنفصل (أنتم) إذ قال:**" كلما ندبتكم إلى الجهاد دارت أعينكم، كأنكم من الموت في سكرة، وكان قلوبكم مألوسة** [٢]**فأنتم لا تعقلون، وكان أبصاركم كمه**[٣] **فأنتم لا تبصرون، لله أنتم! ما أنتم إلا أسود الشرى في الدعة**[٤]**، وثعالب رواغة حين تدعون إلى الباس! ما أنتم لي بثقة سجيس الليالي**[٥] **، ما أنتم بركب يُصال بكم ، ولا ذي عز يعتصم إليه لعمر الله لبئس حشاش الحرب أنتم..."**[٦]

استعمال الضمير الدال على المخاطب حجة إيقاعية لجلب العطف من المستمع، فلها دور في عملية التخاطب، وخاصة المخاطب ، ومن ثمَّ فإن تكرار (انتم) أعطى

---

(١). تاريخ الطبري م٦٦/٦.
(٢). مألوسة: من الالس وهو الجنون (لسان العرب ، ج٩/١٠) .
(٣). جمع اكمة من كمه بصره أي اعترته ظلمة تطمس عليه (لسان العرب ، ج٥٣٦/١٣).
(٤). الشرى : موضع ينسب اليه الاسد ، قيل هو شرى الفرات وناحيته ، والدعة أي في وقت الدعة (لسان العرب ، ج٤٣١/١٤).
([(٥)]) . يقال لا آتيك سجيس الليالي أي آخرها (لسان العرب ، ج١٠٤/٦).
(٦). تاريخ الطبري ، م٥١/٦.

للخطاب وقعا شديدا في نفس السامع وحضور مفاجئ للفكرة في ذهنه أدت إلى التسليم بما يريده المتكلم .

ومما لا شك فيه أن الضمائر تؤدي وظيفة مهمة جدا، ذلك أن عودها إلى مرجع معين يحمل تكراراً بحد ذاته، فيجعل الجملة واضحة الوظيفة غير متعرضة للبس.

ولقد كان تكرار الضمير في خطبة أمير المؤمنين(عليه السلام) توبيخا لتقاعسهم ، وتحبباً وتقرباً منهم، وتحفيزاً لهم للقتال والمواجهة، ودافعاً لتحميلهم المسؤولية وإبعاداً للصفات السلبية عنهم.

ويستخدم أمير المؤمنين(عليه السلام) حجة التكرار الحرفي في خطابه يوم صفين حين أقر الناس بالصلح، فقال: **" إن هؤلاء القوم لم يكونوا ليفيئوا إلى الحق، ولا ليجيبوا إلى كلمة السواء حتى يرموا بالمناسر[١] تتبعها العساكر، وحتى يرجموا بالكتائب[٢] تقفوها الجلائب[٣]، وحتى يجر ببلادهم الخميس يتلوه الخميس، وحتى يدعوا الخيل في نواحي أرضهم و بأنحاء مساربهم و مسارحهم، و حتى تشن عليهم الغارات من كل فج، و حتى يلقاهم قوم صدق صبر، لا يزيدهم هلاك من هلك من قتلاهم وموتاهم في سبيل الله إلا جداً في طاعة الله و حرصاً على لقاء الله"** [٤] فاعتماده عليه السلام على تكرار (حتى) أكثر من مرة فجاءت بمعنى (إلى أن) ولحقها فعل مضارع في كل مثال من الخطبة و كذلك تدل على الظرفية الزمانية لسبقها بنفي ، كما تتالى حرفا الحاء والتاء وهما حرفان مهموسان وبما أن حرف الحاء يعد حرفاً ضعيفا نسبياً فيوحي بالهشاشة والاستسلام، و لكنه لحقه بحرف التاء وهو حرف أشد صوتاً من سابقه لما له من وقع في الأذان والأسماع ، فيوحي بدلالة معنوية هي شدة الاختلاف ويورث قرعاً قوياً ومكثفاً يولد أنغاماً موسيقية ذات طابع شديد وهذه الإيقاعات المتكررة تحمل من صفات أصواتها التي ولدتها ،وإن هذه الحروف مناسبة لمعانيها.

---

(١). المناسر : ما يقطع به الطائر الجارح الاشياء .
(٢). الكتائب : جمع كتيبة وهي القطعة العظيمة من الجيش (لسان العرب ، ج١/٧٠١).
(٣). الجلائب : الابل التي تحمل المتاع(لسان العرب ، ج١/٢٦٨).
(٤). وقعة صفين : ٥٢٠.

أما ميزة تكرار (حتى) في خطاب الإمام علي (عليه السلام) أكثر من مرة فادت انتهاء الغاية ، أي أن هؤلاء القوم لا يرجعوا إلى الحق والصواب حتى يضربوا وتتوالى عليهم الغارات مراراً وتكراراً.

وقد اهتم العرب بهذه الظاهرة كثيراً نظراً لما تحمله من قيم موحية ، فجاء التكرار ليصور حالة القوم الحقيقية بكل هدوء ، وبعد ذلك يثير انتباه كل من خضع وقبل بالصلح بشدة خفيفة بعض الشيء ليكسب إقناعهم ويغير آراءهم.

وفي خطاب للإمام علي (عليه السلام) فيما كان من تحريض أنصاره على معاوية وعمرو بعد علمه بتحريضهما الناس ضده ، فقال بعد أن حمد الله:**" نحن أهل بيت الرحمة، وقولنا الصدق،....، ندعوكم إلى الله وإلى رسوله، وإلى جهاد عدوه..."**[1] فتكرار حرف الجر (إلى) بما يحمله من دلالة الانتقال من مكان لآخر ينبه الآذان على شرعية الجهاد والقتال لما لحقه من أسماء (الله، الرسول، جهاد العدو) فالأسماء السابقة تتوحد تدريجياً في بؤرة حرف الجر، إذ إن حرف الجر (إلى) يصبح أداة فاعلة في توحيد جزيئات المعنى .

وفي خطاب الإمام علي (عليه السلام) الذي يدعو الناس به إلى الجهاد، وقد كان رداً وتأكيداً لكلام هاشم ابن عتبة الذي قدم نصيحة السير إلى القتال، فقال (عليه السلام) بعد أن دعا له بنيل الشهادة: **"إن الله أكرمكم بدينه، وخلقكم لعبادته؛ فانصبوا في أداء حقه، وتنجزوا موعودهُ، واعلموا أن الله جعل أمراس الإسلام متينة، وعراه وثيقة، ثم جعل الطاعة حظ الأنفس برضا الرب، وغنيمة الأكياس عند تفريط الفجرة. وقد حملت أسودها و أحمرها، ولا قوة إلا بالله. ونحن سائرون إن شاء الله إلى من سفه نفسه، وتناول ما ليس له"**[2]

لقد اعتمد الإمام علي (عليه السلام) في خطبته تكرار حرف (الواو) بوصفه حرف عطف بين الجمل وهو الأحوال كافة حرف صائت ينطلق مع الهواء دون توقف ، فقد اختاره ليكون حجته الإيقاعية في دعوة صريحة للجهاد دون أن يشوبها التردد ، وهو نوع دقيق من التكرار الحجاجي الذي يكثر استعماله في خطبه (عليه السلام) .

---

[1]. وقعة صفين : ٢٢٤.
[2]. وفعة صفين :١١٢_١١٣.

ونلاحظ تكرار حرف النفي (لا) في خطبة موجهة لأنصاره (عليه السلام) كان يلقيها عند كل لقاء للعدو يذكر أتباعه فيها بأخلاقيات القتال مرشداً لهم لنيل رضا الله، قائلا: **" لا تقاتلوا القوم حتى يبدؤوكم، فإنكم بحمد الله على حجة، وترككم إياهم حتى يبدؤوكم حجة أخرى لكم عليهم، فإذا قاتلتموهم فلا تقاتلوا مدبراً، ولا تجهزوا على جريح، ولا تكشفوا عورة ، ولا تمثلوا بقتيل ، فإذا وصلتم إلى رجال القوم فلا تهتكوا سترا، ولا تدخلوا دار إلا بأذني، ولا تأخذوا شيئاً من أموالهم إلا ما وجدتم في عسكرهم، ولا تهيجوا امرأة إذى "**[1]

تكرار (لا) فيه جرس موسيقي يقع على الآذان وقوع الصاعقة ، فقد كانت حجة واضحة على العقيدة الراسخة وتعاليمها المفعمة بالإنسانية والأخلاق العالية ضمن الإطار الإرشادي للمجاهدين في الحروب .

ذلك إن حجاجية تكرار الاصوات تكمن في تكرار سمات معينة في امتدادات النص، وهذه السمات سوف تخصص طابع النص باتجاه موسيقي معين؛ لأنها قائمة على قصد تحقق وظيفة الصوت ،وهي من الدعاوي الأولى لإيصال المعنى.[2]

ونستمر في تكرار ذات الحرف (لا) لكنه استخدمه (عليه السلام) في موضع مغاير إذ كان خطابه تحريضا على القتال والمواجهة فقال: **" الحمد لله الذي لا يبرم ما نقض، ولا ينقض ما أبرم، لو شاء ما اختلف اثنان من هذه الأمة، ولا من خلفه ولا تنازع البشر في شيء من أمره، ولا جحد المفضول ذا الفضل فضله ،وقد ساقتنا وهؤلاء القوم الأقدار،..... "** [3]

تكراره في هذا السياق كان حجة إيقاعية بالغة الأثر إذ تعمد في ذكره على تأكيد عودة سائر الأمور إلى الله فكان لحجته تلك صدى في نفوس المتلقين، فإن التكرير و التوكيد عاملان قويان في تكوين الآراء وانتشارها ، ولا يحتاج التوكيد إلى دليل عقلي يدعمه، وإنما يقتضي أن يكون وجيزاً حماسياً ذا وقع في النفس كما " إن للتكرير تأثيراً كبيراً في عقول المستنيرين؛ وتأثيرا أكبر في عقول الجماعات من

---

[1]. وقعة صفين : ٢٠٣_٢٠٤.
[2].ينظر: اسس النقد الادبي الحديث :ج٣، ١٠٩.
[3]. تاريخ الطبري : م٦، ٧.

باب أولى، والعلة في ذلك ان المكرر يطلع في تجاويف الملكات اللاشعورية التي تختمر فيها أسباب أفعال الإنسان، فإذا انقضى شطر من الزمن ، نسي الواحد منا التكرار وانتهى بتصديق المكرر"[١] وهذا بدوره ما حفزهم على الجهاد والصمود في وجه الأعداء دون مبالاة أو حزن أو خوف على أرواحهم.

و كذلك وظف الإمام (عليه السلام) التكرار من خلال تقنية العكس المعنوي بالتبديل بين لفظتي (يبرم، نقض) لتصبح (ينقض ، برم) إذ أتى (عليه السلام) بأجزاء تالي الكلام على عكس ما جاء في مقدمه " و يحسن هذا الفن البديعي حين يكون كل من مقدم الكلام و تاليه الذي هو عكسه مؤديين من المعاني ما يقصد لدى البلغاء ". [٢]

إن تكرار الأصوات نلمسه بوضوح في كثير من خطب الإمام علي (عليه السلام) مما يميزها بأصوات خاصة بها تمنح إيقاعات تورث في المتلقي حب الإصغاء و الاستماع.

ب -الألفاظ:

وكذلك فقد ترد الكلمة (المفردة أو اللفظ) مكررة، ولا يتم ذلك إلا لقصد معنوي يقتضيه سياق الموقف، ومن تلك الخطب خطبته (عليه السلام) في استشارة المهاجرين والأنصار في السير إلى أهل الشام، **قال " أما بعد فإنكم ميامين الرأي، مراجيح الحلم، مقاويل الحق، مباركو الفعل والأمر، وقد أردنا المسير إلى عدونا و عدوكم فأشيروا علينا برأيكم"**[٣]

إن التكرار لكلمة (عدو) في خطبة الإمام (عليه السلام) ليس هو ذلك التكرار المولد للرتابة والملل ، أو التكرار المولد للخلل والهلهلة في البناء، ولكنه التكرار المبدع الذي يدخل ضمن عملية البناء أو الكلام وإنتاج المعنى فضلا عن عمله في انسجام النص ،ويمثل تكثيفا للأصوات و تركيزاً عليها، فهو يثبت في كلامه بأن عدوهما

---

[١]. الخطابة العربية اصولها وتاريخها ، محمد ابو زهرة : ٦٦.
[٢]. البلاغة العربية اسسها وعلومها وفنونها ، عبد الرحمن الميداني ، دار القلم للنشر ، ج١، ٧٩٨.
[٣]. وقعة صفين : ٩٢.

مشترك فيولد إيقاعية تكرارية ذات مقصد حجاجي تواصلي تزيدهم حماسة للسير إلى العدو ومواجهته.

وتكرار النغمة ذاتها بلا فاصل يريد منها إصابة المقدار المطلوب من التأثير في أذن المخاطب ونفسه وعقله.

وركز الإمام علي (عليه السلام) في خطبته لدعوة الناس إلى الجهاد على حجة التكرار الاشتقاقي ، فيقول: **" فلا أعرف أحداً منكم تقاعس عني، و قال في غيري كفاية؛ فإن الذود إلى الذود إبل، ومن لا يذد عن خصومه يستخدم"**[1] فكان التكرار(الذود، الذود، يذد) إذ تكررت الكلمة مرتين بنفس الوزن الاشتقاقي بفاصل بينهما حرف الجر (إلى) وما يحمله من دلالة حجاجية تؤكد بأنه لا مهرب من الدفاع عن القضية ، ثم أعاد تكرار الاشتقاق بكلمة(يذد) ، وهذا اللون من التكرار يعمل على تركيز الدلالة في ذهن القارئ، ويعدْ الاشتقاق من الآليات المتوازنة التي حظيت بالاهتمام و كذلك من الظواهر اللغوية اللافتة للنظر والسمع.

وفي خطب الإمام علي (عليه السلام) في وقعة صفين يوجه فيها المقاتلين إذ جاء بتكرار جديد مختلف بعض الشيء حين قال: **"واعلموا أن مقدمة القوم عيونهم، و عيون المقدمة طلائعهم، فإذا أنتما خرجتما من بلادكما فلا تسأما من توجيه الطلائع، ومن نفض الشعاب والشجر والخمر في كل جانب كي لا يغتركما عدو، أو يكون لكم كمين"** [2]

جاء التكرار لكل من لفظي (مقدمة ، عيونهم) ثم (عيون ، المقدمة) بشكل سريع ومتعاكس، ولا يخفى ما لهذا الاستعمال من وظيفة في إيجاد العلاقات المتينة بين الأجزاء فضلاً عن الأثر الجمالي الذي يعمل على لفت الانتباه لهذا المعنى الجديد والمفاجئ، وذلك لما يقتضيه الموقف من يقظة ووعي وحذر وما ينبغي للإنسان أن يتخذه من استعداد نفسي وعقلي، لينتفع بما فيه من عبرة و عظة.

وفي متابعة خطبته(عليه السلام) أعاد استخدام التكرار في فترات زمنية متفاوتة ، إذ قال: **"فإذا نزلتم فانزلوا جميعا، وإذا رحلتم فارحلوا جميعاً ، وإذا غشيكم ليل**

---

[1]. وقعة صفين : ١١٣.
[2]. المصدر نفسه : ١٢٣.

فنزلتم فحفوا عسكركم بالرماح و الأترسة[١]، ورماتكم يلون ترستكم ورماحكم، وما أقمتم فكذلك فافعلوا كي لا تصاب لكم غفلة، ولا تلفى منكم غرة، فما قوم حقوا عسكرهم برماحهم وترستهم من ليل أو نهار إلا كانوا كأنهم في حصون ." [٢]

لقد كرر (نزلتم، انزلوا)وبعد فترة زمنية (فنزلتم) كما كرر (رحلتم، ارحلوا) فإن تكرار اللفظ يعني تكرار المضمون الدلالي له ومناوبته في مدد زمنية معينة يؤكد هذا المعنى ويزيد التنبه نحوه، وجاء هذا التكرار ليحقق غايتين ؛غاية معنوية توضيحية ، وأخرى موسيقية ، كما أن تكرار الكلمة ومن دون فاصلة زمنية هو طرائق متوال على مسمع أثاره الصوت، وشده إليه هذا التكثيف للأصوات في الوحدة الزمنية القصيرة، فضلا عن دوره في سبك الخطاب وتماسكه ،وتكرار كلمات (عسكر ، الرماح ، الترس) له مقاصد حجاجية لها ارتباط عميق بالخطاب ، وتعد من طرائق التأثير والإقناع ، وفي مثل ذلك تتجاوز وظيفة التكرار " الإخبار والإبلاغ والتأثير نحو تنفيذ الفعل وتغيير السلوك؛ وهي الغاية القصوى من الحجاج الإيقاعي التكراري "[٣]

وفي خطاب الإمام (عليه السلام) إلى جنوده يخبرهم بالذي لهم والذي عليهم خلط (عليه السلام) بين التكرار الاشتقاقي من جهة والتكرار مختلف النسق من جهة أخرى إذ قال : **" أما بعد فإن الله جعلكم في الحق جميعاً سواء أسودكم و أحمركم، وجعلكم من الوالي، وجعل الوالي منكم بمنزلة الوالد من الولد، وبمنزلة الولد من الوالد الذي لا يكفيهم منعه إياهم طلب عدوه والتهمة به، ما سمعتم وأطعتم وقضيتم الذي عليكم "[٤]**

إن تكرار (جعلكم من الوالي، جعل الوالي منكم) تكرار بالمعنى وهو ما يسمى بتقنية العكس المعنوي وهو أن تقدم جزءا في الكلام ثم تعكسه فتقدم ما أخرت وتؤخر ما قدمت ، ولهذه التقنية اثر كبير في التأثير بنفس المتلقي وإقناعه من خلال مفاجئته

---

[١]. الترس :من السلاح تلك التي يتوقى بها (لسان العرب ، ج٤/٦٨).
[٢]. وقعة صفين : ١٢٤.
[٣]. الحجاج والائتلاف الحجاجي ، دراسات في البلاغة الجديدة ، حافظ اسماعيل علوي ، دار ورد للنشر ،الاردن ، ٢٠١١: ٣٤.
[٤]. وقعة صفين : ١٢٦.

بعكس الكلام ضمن تكرار إيقاعي جميل وبسيط ، ثم تكرير ألفاظ (الوالي، الوالد ، الولد) تكرار اشتقاقي ومختلف النسق ، وهذا يعني الاستمرار بالإشارة إلى المعنى المركزي الذي حمله النص، وعندئذ يعتمد ثبات النص بوساطة الاستمرار الواضح ، فيخلق تعدد التكرار أساساً مشتركاً بين أجزائه مما يسهم في وحدته وتماسكه و تأثيره في المتلقي ،فيعكس التكرار في هذا الموضع الحالة التي يريدها الإمام في علاقة جنوده مع الوالي ومع سائر الناس.

تفنن الإمام علي(عليه السلام) باستخدام أسلوب التكرار فهو أفصح البلغاء وأبلغ الفصحاء ، فكان بصورة مغايرة عما سبق إذ جاء مقارنة بين فترتين زمنيتين مختلفتين، وهذا ما ذكره في خطبته عند لقاء العدو مرشداً لجنوده ومحددا طرائق معاملتهم مع ضحايا الحرب، فقال: **" فإذا وصلتم إلى رحال القوم فلا تهتكوا ستراً و لا تدخلوا داراً إلا إذني، و لا تأخذوا شيئاً من أموالهم إلا ما وجدتم في عسكرهم، ولا تهيجوا امرأة إذى، وإن شتمن أعراضكم و تناولن أمراءكم وصلحائكم فإنهن ضعاف القوى والأنفس والعقول. ولقد كنا وإنا لنؤمر بالكف عنهن و إنهن لمشركات، وإن كان الرجل ليتناول المرأة في الجاهلية بالهراوة أو الحديد فيعير بها عقبه من بعده "**[1]

كان التكرار لمفردة (المرأة) مقارنة و تفصيل بذكر طريقة معاملتها في معارك جيش الإمام (عليه السلام) ومعاملتها في عهد الجاهلية، فقد جاء التكرار في خطابه (عليه السلام) تأكيدًا للردع والإنذار ،وقد فرض ذلك شكلاً يبارك ما ورد من تراكيب لغوية سبقته وآثر أن ينسجم معها ليكون للخطاب إيقاعا موسيقياً وتكراراً حجاجياً يستعذبه السامع ولا يثقل عليه ويخدم المعنى المراد، ونوع في الممارسة الإقناعية لبيان حال المرأة وعلة الكف عنها في حال الحرب.

وقد يأتي التكرار على شكل صور مبعثرة دون ترتيب معين كما قال أمير المؤمنين (عليه السلام)في خطبته لتحريض أنصاره على الجهاد واصفاً حامل الراية: **" ورایاتكم فلا تميلوها ولا تزيلوها، ولا تجعلوها إلا في أيدي شجعناكم المانعي**

---

[1]. وقعة صفين :٢٠٤.

الذمار، والصبر عند نزول الحقائق، أهل الحفاظ، الذين يحفون برایاتكم ويكتنفونها، يضربون خلفها و أمامها، ولا تضيعوها أجرأ كل امرئ منكم -رحمه الله- وقدَّ قرنه، وواسى أخاه بنفسه، ولم يكل قرنه إلى أخيه ، فيجتمع عليه قرنه و قرن أخيه، فيكتسب بذلك لائمة، ويأتي به دناءة"[1]

كان تكرار (قرن) لأربع مرات متتالية دون فاصل زمني أحياناً ومتباعدة أحياناً أخرى حجة إيقاعية شديدة في سمع المتلقي، ومعنى(قرنه) هنا خصمه أي لا يترك خصمه الى اخيه فيجتمع عليه خصمان خصمه وخصم اخيه فيغلبانه وينقلبان عليه وهو توجيه من الإمام في غاية الاهمية يدعوا الى ترك الدناءة والانانية في الحرب والتعاون بين الجميع ، فإن نبه المتلقي أذنه لسماع الكلمة ذاتها سمعٌ مغايرٌ لها، وان أحسن الإصغاء لسماع ما يتليها تفاجئاً بسماع الكلمة ذاتها، وفي هذا النوع ينبغي أن يستعمل في المواطن الجامعة؛ والمواقف الحافلة ؛ لأن تلك المواطن تجمع البطيء الفهم ، والبعيد الذهن والثاقب القريحة، والجيد الخاطر.

وفي خطبته ذاتها أستخدم التكرار بفاصل زمني قصير، إذ قال : **" وايم الله لئن فررتم من سيف العاجلة لا تسلمون من سيف الآخرة، استعينوا بالصدق و الصبر، فإنه بعد الصبر ينزل النصر"** فتكرار المفردة (الصبر) بفاصل شبه جملة ظرف قد سبق وتحدثنا عنه إلا أنه (عليه السلام) أراد تأكيد تحقيقهم للنصر، وترسيخ رسالة الجهاد في نفوسهم لأنها رسالة حق تقوم على الصدق وحسن النوايا في نشر كلمة الله وإعادة الحق الذي زهق.

ومنه ما كان في خطابه بعد إذكاء الأشتر للقتال نحو أهل الشام :

" أيها الناس قد بلغ بكم الأمر و بعدوكم ما قد رأيتم، ولم يبق منهم إلا آخر نفس، و إن الأمور إذا أقبلت اعتبر آخرها بأولها، وقد صبر لكم القوم على غير دين حتى بلغنا منهم ما بلغنا، وأنا غاد عليهم بالغداة أحاكمهم إلى الله عز وجل"[1]

إن تكرار (بلغنا) وإلحاقها بمكررها (ما بلغنا) يثير حفيظة السامع ويوقعه بدهشة كبيرة، وذكر الإمام(عليه السلام)هذا التكرار لأنه يخشى تناسي الأول أعيد ثانياً

---

[1]. وقعة صفين : ٤٧٦.

تطرية له، وتجديداً لعهده ، فكان باستخدام فاصل قصير (ما) الموصولة والتي كانت كفيلة بجذب انتباه المتلقي لأنه ظنها للوهلة الأولى (ما) النافية ولكنها (موصولة) فمنحت النص حجة إيقاعية وجمالية وحفاوة بما حققه أنصاره (عليه السلام) من إنجازات عظيمة.

وكذلك قد يأتي التكرار الحجاجي متوازيا باستعمال المفردة المكررة في بداية كل من الجمل، وهذا ما ذكر في قوله (عليه السلام) بعد اختلاف أصحابه على الاستمرار في القتال ، قائلا: **"إنه لم يزل أمري معكم على ما أحب إلى أن أخذت منكم الحرب، وقد والله أخذت منكم وتركت ، وأخذت من عدوكم فلم تترك، وإنها فيهم أنكى وأنهك"**[1]

فقد كرر (أخذ، أخذت، أخذت) في بداية الجمل، بقصد توكيد فكرة أن الحرب رحى تطحن من كلا الطرفين، إلا أنها أوقعت الخسارة بصفوف المعادين أكثر بكثير مما أصاب جيش الأنصار، فإذا كانت المعاني مبهمة بشيء أرادت تحقيقه وقرب وقوعه، وقصدت الدعاء عليه كررته الخطبة توكيداً وكأن مثل هذا التكرار يقوم مقام المقسم عليه ، فأعطت تقوية و رباطة جأش لاستكمال القتال.

كما خلط (عليه السلام) بين تكرار أول الجملة الأولى وآخر الثانية لتقوية حجة الخطاب، وهذا ما جاء في كلامه رداً على أذن رسله العائدين من عند طلحة والزبير بشن الحرب: **" لقد كنت وما أهدد بالحرب، ولا أرهب بالضرب، ولقد أنصف القارة من راماها ، فليرعدوا وليبرقوا، فقد رأوني قديما، وعرفوا نكايتي، فكيف رأوني؟"**[2] إن تكرار (رأوني) إذ ذكر في استفتاح جملة ثم أعادها في نهاية سؤاله وفيها جرس موسيقي قامت حجته التكرارية على التأكيد بجملة تبين شجاعته وبسالته (عليه السلام) التي لا تخفى على أحد من الأولين والأخرين، فكان ليناسب مقتضى المناسبة ويجاري المعنى.

واستعمل التكرار على مسافات متباعدة الزمن نسبياً في خطبة للإمام علي (عليه السلام) لما نزل بالنخيلة و أيس من الخزرج: **"أما بعد: فإنه من ترك الجهاد في الله**

---

[1]. المصدر السابق : ٤٨٤.
[2]: شرح نهج البلاغة ، ج١/٦٠.

، وادهن في أمره، كان على شفا هلكة، إلا أن يتداركه الله بنعمة، فاتقوا الله، وقاتلوا من حاد الله وحاول أن يطفئ نور الله، قاتلوا الخاطئين الضالين القاسطين المجرمين الذين ليسوا بقراء للقرآن ولا فقهاء في الدين، ولا علماء في التأويل" (١)

إن تكرار (قاتلوا) في بداية الجملتين، مفيدة لما يحمله معنى الكلام في طياته إذ إن المفيد من التكرار يأتي في الكلام تأكيداً له، والعناية به ، فكان التكرار أشبه بالمفتاح الموسيقي للخطاب وأداة توجيهية للمتلقي.

وكذلك جاء التكرار بالأسلوب عينه حين بلغ أمير المؤمنين قتل عامله محمد بن أبي بكرإذ قال: **دعوتكم إلى غياث إخوانكم منذ بضع وخمسين ليلة، فتجرجرتم جرجرة الجمل الأشدق، وتثاقلتم إلى الأرض تثاقل من ليس له نية في جهاد العدو ولا اكتساب الأجر"**(٢)

جاء تكرار مفردة (تثاقلتم، تثاقل) في جملتين بوجود فاصل زمني ليس بالبعيد ليؤكد تمسكهم بأهواء الدنيا ويعكس صورة القلق والتوتر من المواجهة بتكرار حرف القاف الذي يعد من حروف القلقلة وتكرار حرفي التاء والقاف ، فوظف التكرار ليؤكد طبيعة الإنسان الميالة لحب الشهوات والذي يرده عن ذلك تكرار المواعظ والحكم و بعض من الصور البيانية البليغة، فكان تفصيلاً جاهزاً لخدمة المعنى ونقل الحالة النفسية والشعورية.

جاء التكرار متوازياً مدمجاً استعمله الإمام (عليه السلام) فذكر كلمة في نهاية جملتين وأعادهما في بداية جملتين متتاليتين، وهذا ما ورد في استنفاره لأنصاره لقتال معاوية **":فإن لي عليكم حقا، وان لكم علي حقا، فأما حقكم علي فالنصيحة لكم ما صحبتكم، وتوفير فيئكم عليكم، وتعليمكم كيلا تجهلوا، وتأديبكم كيما تعلموا ، وأما حقي عليكم فالوفاء بالبيعة"**(٣)

---

(١). تاريخ الطبري ، م٦ / ٤٤.
(٢). المصدر نفسه ، م٦/ ٦٢.
(٣). تاريخ الطبري ، م٦: ٥١.

أن تكرار الألفاظ (حقي ،حقكم ، حقا) من اجل تثبيت حجة الإمام على أنصاره وبيان حقه عليهم ؛ لان تكرار هذه الكلمات إيقاعا حجاجياً ذا وقع في نفس المتلقي ، وذلك أن حق الإمام عليهم هو الوفاء ببيعته يوم الغدير وولايته والامتثال لأوامره فهو منصب من عند الله تعالى، إما حق الناس على الإمام هو تقديم النصيحة لهم ورعاية شؤونهم ، فتكرار هذه الألفاظ منح النص حركة متجددة لفهم المراد من التكرار الحجاجي الذي يشبه حركة المد والجزر المتعاكستين.

ومن التكرار الحجاجي ما نجده في خطبه للتحريض على الجهاد ، ونذكر ما قاله بعد أن أغار جيش معاوية على الأنبار، و فَظعوا في التنكيل بأهلها وسلب خيراتها : **"ألا وإني قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً، سراً و إعلاناً، وقلت لكم اغزوهم قبل أن يغزوكم ، فو الله ما غُزِيَ قوم قط في عقر دارهم إلا ذلوا ، فتخاذلتم وتواكلتم وثقل عليكم قولي ، واتخذتموه وراءكم ظهرياً ، حتى شنت عليكم الغارات....."**[1]

تكرار (اغزوهم ، يغزوكم ، غزي) تكرار تتابعي في الأزمنة، فيه عبرة تشحذ الهمم لمواجهة العدو وحب الجهاد، فضلا عن التكرار المعنوي بين الغزو والغارات.

ثم يكرر الإمام علي(عليه السلام) هذا الكلام بصيغة أخرى في مقطع أخر من خطبته ، قائلا **:"يُغار عليكم ولا تُغيرون ، وتَغزَون ولا تُغزُون "** ويقول لأنصاره أيضا في هذه الخطبة **:"كل ذا فرار من الحر والقر . فإذا كنتم من الحر والقر تفرون ، فأنتم والله من السيف أفر "**[2].

نلاحظ تكرار هذه الألفاظ (اغزوهم ، يغزوكم ، يغار ، تغيرون ، تغزون ، الفرار، أفر) تأكيد على شدة تقاعسهم عن الجهاد ونصرة الحق ، وفي تكرارها إثبات حجة الإمام عليهم بما حصل لهم من شن الغارات عليهم، وإنهم يفعلون أعمالاً لا تليق بالمحاربين فهم لا يقومون بقتال عدوهم وإنما يقومون مقابل ذلك بالفرار .

---

[1]. نهج البلاغة ، ج١: ٩١.
[2]. م ن : ج١/٩١.

والدافع في اللجوء إلى تقنية التكرار هو المتلقي الذي قد يظهر عليه اشتغال أو نقص في الإدراك أو تردد، وبتكرار المخاطب للكلمة أو العبارة أو المعنى، يضمن وصول الرسالة إلى المتلقي ، بل وصولها على الوجه الذي يريده، ومن هنا يصبح التكرار شكلاً من أشكال جلب الانتباه لمضاعفة وقت الخطاب، وفي حال التردد يكون التكرار آلية من آليات ترجيح معنى على آخر ، " ويعتمد حينها على الإطالة في مخاطبة العوام، ومن ليس من ذوي الإفهام ، ومن لم يكتف من القول بيسيره ، ولا يتفق ذهنه إلا بتكراره، وإيضاح تفسيره "[1]،وهذا النوع من التكرار مناسب لموضوع الجهاد ومواجهة العدو .

ويتابع الإمام (عليه السلام) خطبته مكرراً دهشته:**" يا عجبا كل العجب! عجب يميت القلب، ويشغل الفهم ، ويكثر الأحزان"**

فكان تكرار مفردة (عجب) ثلاث مرات متتالية و بفواصل زمنية متقاربة حتى تكاد تختفي بشكل إيقاعاً صوتياً متعالياً ينتج عنه تتابعٌ رتيبٌ ينقلنا إلى حالة المخاطب من الدهشة، إذ أعتمد التكرار هنا لإبراز شدة حضور الفكرة في ذهن المتلقي ، وإن للتكرار دورا كبيرا في تمكين وجدان المخاطبين، لذلك يلجأ إليه الإمام ، فالتكرار والتوكيد عاملان قويان في تكوين الآراء وانتشارها...

" فالجملة التكرارية التي توجد في مكان واحد وتؤدي مهمتين فإنها في الحالة الأولى بمنزلة التعقيب ، وفي الثانية بمنزلة المضمون ، وهي بحكم موقعها هذا تربط بين العناصر النصية بضم السابق إلى اللاحق، ثم أنها تفتح -لما سيأتي- سبيل التحقق والتنامي، الذي يولد قدراً كبيراً من الانسجام بين مكونات النص."[2]

إن التكرار المولد للإيقاع لابد من توفره في الخطاب الجهادي لأن له وظيفة حجاجية إقناعية قادرة على التأثير في المخاطب، فضلا عن ذلك يحمل دلالات جمالية وفنية مميزة تساعد في إدراك المعنى.

---

[1]. البرهان في وجوه البيان ، لابن وهب : ١٥٤.

[2]. مقالات في الاسلوبية ، منذر عياشي ، دار نينوى ، ط١ ، ٢٠١٥: ٨٨_٨٩.

ج – التراكيب:

وكذلك اعتمد الإمام علي (عليه السلام) على تكرار عبارات و جمل عكس بها جانباً من الموقف النفسي و الانفعالي يحمل في ثناياه دلالات تفرضها طبيعة السياق.

ونجد هذا النوع عند أمير المؤمنين (عليه السلام)في خطابه حين حرض الناس وأمرهم بالمسير إلى صفين لقتال أهل الشام ،قائلا: **" سيروا إلى أعداء الله، سيروا إلى أعداء السنن والقرآن، سيروا إلى بقية الأحزاب"**[1]كان التكرار لعبارة (سيروا إلى) للتأكيد على المسير إلى الحرب وإثبات الحجة على أنصاره ،من خلال ذكر صفات أعدائهم بأنهم أعداء الله وأعداء السنن والقرآن ، إذ كان التكرار بصيغة الأمر وأتبعه بحرف جر مع تغيير المجرور، ولما كان "أسلوب الأمر يطلب فيه استدعاء الفعل و الإجابة من المخاطب على جهة الإلزام و الاستعلاء"[2]، فقد جاء التكرار الصوتي متلائما مع هذه المعاني ، لأن الإمام أعلم بخطر هؤلاء على الإمة الإسلامية لذلك أمر بمجاهدتهم .

ويعود تكرار الجمل تأكيداً للعمل بالإرشادات وإتباع النصائح في ساحات الوغى، وهذا ما كان في خطبة أمير المؤمنين(عليه السلام) التي كان يلقيها و يعيدها عند كل لقاء عدو، قائلا : **" لا تقاتلوا القوم حتى يبدؤوكم ؛ فإنكم بحمد الله على حجة ، وترككم إياهم حتى يبدؤوكم حجة أخرى لكم عليهم ، فإذا قاتلتموهم فهزمتموهم، فلا تقتلوا مدبرا ، ولا تجهزوا على جريح، ولا تكشفوا عورة، ولا تمثلوا بقتيل"** [3]

فإن تكرار (حتى يبدؤوكم) هو أثبات حجة على أنصاره بأن لا يبدؤا القتال حتى يبدأ أعداؤهم لكي تكون حجة عليهم ، ويتبعها بتوجيهات لأنصاره عند محاربة العدو ، دليل على حكمته و رحابة صدره (عليه السلام) ، فالخطيب يُحسن إذا دعا إلى حقن الدماء والعفو عن الأبرياء ، وتكرير ذلك في مواضعه من الخطب ، ويكون ناجحاً إذ يشرح الأدلة التي يسوقها شرحاً وافياً يكثر فيه المترادفات، ويعيد بعض

---

[1]. وقعة صفين : ٩٤.
[2]. الإيضاح في علوم البلاغة ، القزويني : ١٤١.
[3]. وقعة صفين : ٢٠٤.

الجمل، ويلح على تركيز معان خاصة وجزئيات وأمثلة توضح الفكرة، وتثبتها في أذهان سامعيه.

ويأتي التكرار الحجاجي في خطب الإمام علي (عليه السلام) رغبة في تحقيق الأماني وحجة بيان شرف المكرر وفضيلته، وهذا ما ورد في خطابه (عليه السلام) أثناء قوله في الأشتر بعد إصراره على استكمال القتال في وقت اقترح معظم الأنصار التوقف عن القتال: **"وأما الذي ذكرتم من تركه أمري وما أنا عليه فليس من أولئك وليس أتخوفه على ذلك ، وليت فيكم مثله اثنين، بل ليت فيكم مثله واحداً يرى في عدوه مثل رأيه، إذن أخفت على مؤونتكم ورجوت أن يستقيم لي بعض أودكم"**[1].

إن تكرار (ليت فيكم مثله) مرتين متتاليتين مع فاصل زمني قصير بحرف العطف والاستدراك (بل) دليل على شرف الأشتر وعلو مكانته، وإثبات بسالته في الحرب .

فالتكرار حجة التفخيم، وشكلا مقنعاً جداً من أشكال تقديم الواقع، لأجل خلق الحضور من الضروري الإلحاح طويلا على بعض العناصر التي لا تكون مؤكدة ، وذلك بتمديد الانتباه الذي توليه إليها، فنكثف من حضورها في وعي المتلقين، فالإلحاح يمكن أن ينجم عن التكرار .

وختام الكلام إن التكرار بأنواعه المختلفة في خطب الجهاد عند الإمام علي (عليه السلام)له وظيفية حجاجية إقناعية من خلال التأكيد على المعنى الذي يريد إيصاله للمتلقي ، ويعتمد عليه الخطيب لإبراز شدة حضور الفكرة المقصود إيصالها لذهن المتلقي والتأثير بها ، إذ إن له دورًا كبيرًا في تمكين الأفكار في وجدان المخاطبين لذلك يلجا إليه أكثر الخطباء ، و هو ينتهي بالفصاحة والبلاغة، ولا يمكن أن يعد من التكرار المذموم ،بل يدعم المعنى ويقوي الحجة ويزيد من جمالية الإيقاع الخطابي ويبعد الرتابة والملل عند السامعين.

---

[1]. وقعة صفين : ٥٢١.

المبحث الرابع: حجاجية الإزدواج :

الإزدواج من الحُلي البديعة اللفظية التي تكسب الكلام إيقاعا وتضفي على تراكيب النص بهاء.

الإزدواج من ازدوج ، وازدوج الكلام وتزاوج: أشبه بعضه بعضاً.[١]

اما مفهوم الازدواج فهو عند ابن منقذ(ت٥٨٤هـ): "هو تزاوج بين الكلمات والجمل بكلام عذب وألفاظ عذبة حلوة"[٢].

وعند الشيرازي(١٠٨٣هـ): "هو أن يأتي الشاعر في بيته من أوله إلى آخره بجمل: كل جملة فيها كلمتان مزدوجتان، كل كلمة إما مفردة أو جملة، وأكثر ما يقع هذا النوع في أسماء مثناة مضافة" [٣]

والازدواج من المحسنات البديعية اللفظية الذي يقصد به توازن الجمل في الطول والرنين والموسيقى أي تكون على نمط واحد من الإيقاع ، مشروط بعدم الاتفاق بالحرف الأخير من الكلمات ، على عكس السجع الذي تكون حروفه في أخر الكلمات متشابهة ، ويكون الازدواج خاص بالنثر وتقطع جمله إلى فقرات متساوية ، ومثاله في القرآن الكريم قوله تعالى :**{ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ }**[٤].

إن الازدواج له وظيفة حجاجية من خلال الإيقاع الجميل الذي يحدثه في الكلام وتناسق الألفاظ بشكل متساوٍ في الطول والرنين والموسيقى مما يؤثر على جلب انتباه السامع والتأثير به إلى ما يريد المتكلم ، إذ يحدث الازدواج في النفس وقعاً رناناً تطرب له الأذان وتصغي إليه ، لان الخطيب عندما يأتي بجملة متساوية في الفقر والكلمات وفيها توازن في الرنين والموسيقى ، يجعل ذهن المتكلم ينشد حول هذه الجملة والفكرة المطروحة فيها ومن ثمَّ يؤدي إلى التسليم بها ، إذ يستعمل الازدواج في الخطاب للتأكيد على قضية أو فكرة يريد المتكلم إيصالها إلى ذهن السامع.

---

[١]. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، احمد مطلوب ، ج١ : ٦٠.
[٢]. البديع في نقد الشعر ، اسامة بن منقذ : ١١١.
[٣]. علم البلاغة ، السيد محمد الحسيني الشيرازي ، مؤسسة الرسول الاكرم (ص) ، ١٩٩٧، ج١: ٧.
[٤]. سورة الانفطار : آية ١٣-١٤.

كما أن المواجهة عند أمير المؤمنين (عليه السلام) كان لها أثر تؤديه يتلخص في أنها تعمل على تجميل النطق وتخفيفه على المتكلم، فالملائمة التي تحصل في المزاوجة تجعل الكلام حسنا في السمع من أجل أن تجعل للمعنى مكاناً في نفس السامع لحسن صورة الكلام الذي انتقل لها.

ومن المعلوم أن " الازدواج تكوينات كلامية متوازنة الأجزاء في عدد وحداتها اللغوية، وهيئات ترتيبها وفواصلها ، وعلى الرغم من الاختلاف بين الأجزاء في أحد الاعتبارات الثلاثة السابقة، يقع في اعتبارين اثنين أحياناً.[١]و هذا ما حصل في خطاب الإمام علي(عليه السلام) إذ كانت الوحدات للغوية المشكلة للخطاب الحجاجي، مطوعة لاستخداماته، ومراعاة لمقاصده الحجاجية حين مخاطبة فكر ومشاعر المرسل إليه.و بذلك لم تكن عباراته متوازية الطول في كل الأحيان لكنها حققت ما قاله الجاحظ " إذا لم يقع التوازن بين الأجزاء في الطول، فالأفضل أن يكون الجزء الأخير أطول، وإن كان ورد في كلام العرب الفصحاء ما كان فيه الجزء الأخير أقصر " [٢]

إن توازن الأجزاء في الازدواج توازناً كليا أجمل وجوه التوازن ، وقد أورده أمير المؤمنين(عليه السلام) في خطابه الذي ألقاه بعد رجوع رسله من عند طلحة والزبير يؤذونه بالحرب إذ قام ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله ، ثم قال:

" أيها الناس: إني قد راقبت هؤلاء القوم كي يرعوا أو يرجعوا، ووبختهم بنكثهم، وعرفتهم بغيهم، فلم يستجيبوا، وقد بعثوا إلي أن أبرز للطعان، واصبر للجلاد، وإنما تمنيك نفسك أماني الباطل، وتعدك الغرور، ألا هبلتهم الهبول "[٣].

وقع الازدواج في هذا الخطاب (ووبختهم بنكثهم، وعرفتهم بغيهم) و(يرعوا- يرجعوا) وقد اتزنت به أواخر الجمل دون أن يلتزم الإمام التكلف ، متوازنة بالطول والرنين والموسيقى ، فكان للازدواج غاية حجاجية يكسب النص قيمة موسيقية جميلة ، وهذا بدوره يضفي على الخطبة جمالية خاصة ووقع في النفوس.

---

[١]. كتاب الصناعتين ، ابي هلال العسكري ، ٢٦٠.
[٢]. البيان والتبيين ، الجاحظ ، م٢/ ١١٦.
[٣]. شرح نهج البلاغة ، م١/ ١٠١.

ومما يزيد تراكيب النص إيقاعاً، فضلاً عن تقابل كلمات القرائن في الوزن تماثل الفواصل أو المقاطع في الوزن والتقنية.

ففي الازدواج " إن أمكن أن تكون الأجزاء متوازية كان أجمل وينبغي أيضاً أن تكون الفواصل على زنة واحدة ، وإن لم يمكن أن تكون على حرف واحد، فيقع التعادل والتوازن " [١]

وقد تنوع الازدواج في خطب الإمام علي (عليه السلام) ، مرة أخرى في وقعة الربذة لما أتاه الخبر وهو بالمدينة بأمر من عائشة أنهم قد توجهوا نحو العراق ، فأرسل (عليه السلام) إلى المدينة فلحقه ما أراد من دابة وسلاح وقام في الناس فخطبهم وقال :

"إن الله أعزنا بالإسلام، ورفعنا به، وجعلنا به إخوانا بعد ذلة و قلة، وتباغض و تباعد، فجرى الناس على ذلك ما شاء الله، الإسلام دينهم، والحق منهم، والكتاب إمامهم حتى أصيب هذا الرجل بأيدي هؤلاء القوم الذين نزغهم الشيطان، لينزغ بين هذه الأمة" [٢]

جاء الازدواج بين هذه الألفاظ (رفعنا به وجعلنا به ، ذلة وقلة ، تباغض وتباعد) متوازنة في الطول والرنين والموسيقى مما حقق إيقاعا جميلا في الخطاب ،فضلاً عما له من أثر سمعي إيجابي في رونق الكلام، فإن له علاقة بتمكين معناه، إذ كان حجة قوية ليستدعي الأنصار ويحثهم للجهاد موضحاً دفاعهم عن رسالة الحق وعملهم بما يتطلبه الكتاب الكريم.

وفي هذه الخطبة لجأ الإمام علي (عليه السلام)إلى قصر الجمل في الازدواج، فكانت عبارة عن كلمتين مزدوجتين، إذ زخرت بذلك، والسبب أن الازدواج هو أسلوب فني يؤدي إلى ترابط النصوص وتماسك أفكارها وموضوعها، إضافة إلى ما يضفيه من قيمة أسلوبية عالية للنص الخطابي، وهذه الأساليب تدل على قدرة الخطيب وإبداعه، ومدى تمكنه من التأثير في السامع وجذب انتباهه .

---

[١]. كتاب الصناعتين ، ابو هلال العسكري : ٢٦٩.
[٢]. تاريخ الطبري ، م٥/ ١٨٥.

و"عندما تتزاوج ألفاظ الكلام في رئتها الصوتية ونغمتها فإنها تحدث رنينا له صدى في نفس السامع"[١]، وهذا النغم الموسيقي الذي تؤديه يثير انتباه عجيب لدى المتلقي يجعل ذهنه منفتحا لتلقي الأفكار والأطروحات التي يمليها المتكلم عليه .

و خلاصة القول إن استعمال الإمام علي (عليه السلام) الازدواج الحجاجي بأنواعه المختلفة، وحسن براعته في توظيفه بعيداً كل البعد عن التكلف والاصطناع دليل على فصاحته البليغة وحجته القوية ، كما له تأثيرٌ بليغٌ على المتلقي بما يضفي على الخطاب من موسيقى شجية متناغمة من المعنى المراد .

المبحث الخامس: حجاجية التوازي :

من بين المصطلحات التي لقيت اهتماماً كبيراً في الدراسات التي تهتم بتحليل الخطاب مصطلح التوازي، إذ يعد التوازي من المحسنات البديعية المعنوية التي تضفي جمالاً وإيقاعاً أسلوبيا يسهم في توليد دلالة النصوص ، وهو من أبرز العناصر التي تمنح الكلام بعدا جمالياً جذاباً يثير النفوس ويجذب القلوب .

كما أن التوازي موجود في كل شيء ، نراه " في فن الرسم إذ يعادل الرسام بين أجزاء لوحته ، فلا يملأ جانبا ويترك مقابله فارغا ، كما هو الشأن في نظام العمارة إذ نرى الأشكال الملونة متكررة متقابلة متوازنة منتظمة . ونرى هذا النوع من التوازن في الطبيعة كما في أوراق الأشجار والأزهار والحيوانات "[٢] . أما في حقل الدراسة الأدبية فهو يظهر في تماثل المقاطع اللغوية واعتدال تراكيبها .

وقد عرف العرب التوازي منذ القديم وحرصوا على تزيين كلامهم به حتى قبل أن يتطرقوا إلى تعريف الوزن . يقول عبد الله الطيب : " في الدهر الأول قبل تعرف العرب الوزن، كان التقسيم هو عماد النظم وفقاره ، ويأتي الناظم بكلامه قسيمًا قسيماً بحسب استراحات النفس ، ووقفات اللسان ، وتهذيب الفكر ، وكل قسيم يأتي به يمثل جملة أو فقرة ، أو دفعة من دفعات التعبير ، ثم يتعمد أن يكافئ ويؤاخي بين

---

[١].سر الفصاحة ، ابن سنان الخفاجي : ٤٦.

[٢]. التناسب البياني في القران ، احمد ابو زيد : ٣٢٩.

هذه الفقرات " [١]. وهذه المكافأة هي ما جعلت العرب يولعون بالتوازي ، ويولونه عناية خاصة في مؤلفاتهم .

ويعرفه عبد العزيز عتيق " هو أن تتفق اللفظة الأخيرة مع نظيرتها في الوزن والروي" [٢]مما يعني أن التوازي هو أن تتساوى الكلمة الأخيرة مع نظيرتها في البيت أو السطر أو الكلام الموالي في الوزن والروي ، ويمكن أن يتكرر التوازي الواحد عدة مرات في أكثر من مقطع متتابع.

ويعرفه عبد الواحد حسن الشيخ بقوله : " هو عبارة عن تماثل أو تعادل المباني، أو المعاني في سطور متطابقة الكلمات أو العبارات القائمة على الازدواج الفني، وترتبط ببعضها ، وتسمى عندئذ المتطابقة أو المتعاقبة أو المتوازنة سواء في الشعر أم النثر خاصة المعروف منه المقفى ، أو النثر الفني"[٣]

وكما يكون التوازي في الكلمات فإنه يكون أيضاً في الجمل، يقول الشيخ: " عندما يلقي المتكلم جملة ما ثم يتبعها بجملة أخرى متصلة بها، أو مترتبة عليها سواء كانت مضادة لها في المعنى ، أو مشابهة لها في الشكل النحوي، فإنه ينشأ عن ذلك ما يعرف بالتوازي"[٤]

تعود أهمية التوازي إلى أنه يحدث في النفس ، من خلال الأثر الموسيقي الذي يحدثه في الكلام، " ميلا غريزيا نحو الإيقاع المنظم ، تشعر النفس معه بالرضا ...ويرسم لها فترات النشاط ، ويوجهها توجيهًا يساير النغم ، فتنسى ما حولها . وبذلك يتم التجاوب والانسجام بينها وبين النغم "[٥] .

وقد قسم علماء اللغة التوازي إلى قسمين أساسيين وهما :

أ- التوازي التركيبي : يعد التوازي التركيبي بين الجمل من الوظائف المهمة التي يولدها التوازي التقابلي - الذي ينفصل الحديث عنه لاحقاً - على مستوى الجمل ، وتتمثل في تكرار الصيغة نفسها في جملتين متتاليتين، وقد أطلق عليها محمد عبد

---

[١]. المرشد الى فهم أشعار العرب ، عبد الله الطيب ، ج٢ ، دار الفكر ، ١٩٦٩: ٧٢٨.
[٢]. علم البديع ، عبد العزيز عتيق ، دار الافاق العربية ، ط١، ٢٠٠٠: ١٧٠.
[٣]. البديع والتوازي ، عبد الواحد حسن الشيخ ، مطبعة الاشعاع الفنية ، ط١، ١٩٩٩: ٧.
[٤]. المصدر السابق : ٨.
[٥]. التناسب البياني في القران ، احمد ابو زيد : ٣٣٤.

المطلب " خاصية التماثل " وأشار إليها بقوله : " والحقيقة أن إدراك التماثل عملية ذهنية خفية لا بد وأن يعينها حدس داخلي أيضا، ذلك أن الدال يرد كعنصر في بنية الأسلوب، ومن ثم يشتغل الذهن فوراً بالارتداد إلى المدلول لإدراك المطابقة أو عدمها... من هذا المنطلق كان التماثل غير التكرار وغير التقابل إذ إنه يفقد ما في التكرار من تساوي الدالين تساويا مطلقاً، كما يفقد ما في التقابل من التحالف الشكلي ، فهو يأخذ من هذا و ذاك، ويقدم بنية مفارقة تجمع بين التكرار والتقابل أو بينه وبين التحالف، فيحدث بهذا الجمع اهتزاز في عملية إدراك المماثلة داخلياً وإن ظل لها وجودها الشكلي"[١]. فالتوازي التركيبي يعمل على شحن الدفعة الشعرية ويكون مثيرا لنمو النص في مستويين الداخلي والخارجي، محققاً له درجة عالية من التكثيف و الإيحاء، إذ تكون العبارات متساوية في التركيب من الجانب النحوي والصرفي والصوتي .

ولقد أورد الإمام علي (عليه السلام) التوازي التركيبي في خطبه لأنه يشكل بنية النصوص من التأليف الثنائي لمجموعات من الأنساب التي ترتبط معا بعلاقات معينة دلالية أو تركيبية أو غيرها،إذ تسهم التراكيب المتوازية في البناء الإيقاعي للنص فضلا عن توليد دلالة النص ، فتكون حجة له عند مخاطبيه في إقناعهم وتغيير آرائهم وإرشادهم فمن مصاديق التوازي التركيبي خطاب الإمام علي (عليه السلام) للمهاجرين يستشيرهم لما أراد المسير إلى أهل الشام، فدعا كل من كان معه من المهاجرين والأنصار، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: **"أما بعد فإنكم ميامين الرأي، مراجيح الحلم، مقاويل بالحق، مباركو الفعل و الأمر . وقد أردنا المسير إلى عدونا، وعدوكم فأشيروا علينا برأيكم"**[٢]

استخدم التوازي بين (ميامين الرأي، مراجيح الحلم) فكان التوازي وليد اللحظة بعيداً عن التكلف لذا نرى أن التوازي عند الإمام ارتقى إلى المستوى الفني والجمالي الرفيع ، فهو وسيلة لخدمة المعنى ورفع معنويات المخاطبين قبل المسير إلى أهل الشام ، ويحفزهم على الجهاد، وهو عندئذ يساعد على تنمية الصورة الفنية

---

[١]. البلاغة العربية قراءة اخرى ، د. محمد عبد المطلب : ٣٥٤-٣٥٥.
[٢]. وقعة صفين : ٩٢.

واطراد نموها وحيويتها ، كما تسهم التراكيب المتوازية في توليد دلالة النص وتساعد على إبراز التجربة الفنية فلا يصرفه عن هدفه الأساس بل يكون عاملاً مساعداً يجمع الجزئيات و توحيدها.

ومن أمثلة التوازي خطاب الإمام علي (عليه السلام) التحريضي للجهاد ، لما أخبر بخطبة معاوية وعمرو وتحريضهما الناس عليه، فحمد الله ثم قال: **"أيها الناس اسمعوا مقالتي وعوا كلامي، فإن الخيلاء من التجبر، وان النخوة من التكبر، وان الشيطان عدو حاضر، يعدكم الباطل"**[1]

أستفتح الإمام (عليه السلام) كلامه مستخدماً التوازي بين الفقرتين(إن الخيلاء من التجبر ، وإن النخوة من التكبر) فنلاحظ إن العبارتين متساويتان في التركيب من جميع النواحي الصوتية والصرفية والنحوية ، فضلا عن التساوي في الوزن والقافية ، ولم يكن محض صدفة عند إنسان بمكانته وبلاغته وفصاحته ، فقد ذكره خدمة للمعنى إذ أراد الانتقال بالناس من مرحلة السمع إلى الإصغاء والإدراك الواعي لما سيقوله لهم ، فكان التوازي التركيبي هنا يشبه الإطناب، إذ ينتقل بالكلام تدريجيا من خلال التكرار و التماثل، من موضع إلى أخر .

كذلك استخدام التوازي في المثال السابق بدون فاصل ليكون دلالة حجاجية على أهمية حديثه ويكسب النص مصداقية أكبر في عقول الناس وقلوبهم فكان التوازي في قوله توازيا أسلوبيا أضفى نوعا من الحسن والجمال للنص، إذ جعله بنية تطريزية تجذب العقول والقلوب وتؤثر في النفس أيما تأثير ، فضلا عن ذلك التنامي الدلالي للنص عبر التوازي .

وفي خطاب آخر للإمام علي (عليه السلام) يحرض أتباعه على القتال، إذ يقول مسدلا لهم بعض النصائح : **" فسووا صفوفكم كالبنيان المرصوص، و قدموا الدارع، وأخروا الحاسر، وعضوا على الأضراس، فإنه أنبى للسيوف عن الهام، وأربط للجأش، وأسكن للقلوب"**[2]

---

[1]. المصدر السابق : ٢٢٣.
[2]. وقعة صفين : ٢٣٥.

وقع التوازي بين عبارتي (أربط للجأش، أسكن للقلوب) إذ اعتمد الإمام استخدام المشتقات ذات النوع الواحد (اسم تفضيل) ويليها حرف الجر اللام مع تغيير الاسم المجرور موازياً بين القوة والقلب وما تحمل كل من المفردتين من دلالات موحية وتكون حجاجية مقنعة لتسوية الصفوف ، فتبرز أهمية التوازي عند الإمام علي (عليه السلام) في هذا النص بتوضيح الأشكال المختلفة للعلاقة بين المظاهر المتنوعة للغة ، كما أنه (عليه السلام) يوقفنا على الأنماط النحوية ذات الأصل الواحد، وهذه حجاجية أخرى على بلاغته وتعمل على التسريع بإقناع المتلقي والتأثير فيه .

وفي خطبة للإمام علي (عليه السلام) بعد أن رأى ميمنته قد عادت وكشف من بإزائها حتى ضاربوهم في مواقفهم ومراكزها أقبل حتى انتهى إليهم، فقال: **"إني قد رأيت جولتكم ..... فلولا إقبالكم بعد إدباركم وكركم بعد انحيازكم، وجب عليكم ما وجب على المولى يوم الزحف دبره، وكنتم فيما أرى من الهالكين، ولقد هون علي بعض وجدي ، وشفي بعض أحاح[1] نفسي أني رأيتكم بأخرة حزتموهم كما حازوكم، وأزلتموهم عن مصافهم كما أزالوكم، تحوزونهم بالسيوف ليركب أولهم آخرهم؛ كالإبل المطردة الهيم"** [2]

جاء التوازي بين (إقبالكم بعد إدباركم، كرُكم بعد انحيازكم) ثم أعيد بعد فاصل زمني بين عبارتي (حزتموهم كما حازوكم، أزلتموهم كما أزالوكم) فكان التوازي حجاجيًا توضيحيًا لإبرازه عليه السلام عواقب نقضهم ومخالفتهم لتعاليمه. أما في المثال الثاني اعتمد أسلوب التشبيه بالتوازي ،فكانت حجة إيقاعية تضيف للنص حسنا وجمالا وتعيد قوتهم أمام عدوهم ، فالتوازي الصوتي خصيصة شديدة الإتصال بالنصوص الخطابية ، إذ إن التراكيب المتوازية تضفي على النص موسيقى إيقاعية لها وظيفة حجاجية تطرب لها الأذان وتتأثر فيها النفوس .

---

[1]. الاحاح : بالضم: اشتداد الحزن والغيظ (لسان العرب ، ج٢ /٤٠٤).
[2]. وقعة صفين : ٢٥٦.

وفي خطاب للإمام (عليه السلام) يحث أصحابه على الجهاد ، يقول: **" اللهم فإنهم قد ردوا الحق فأفضض جمعهم، وشتت كلمتهم، وأبسلهم بخطاياهم ؛فإنه لا يذل من واليت ،ولا يعز من عاديت"**[1]

فالتوازي تَموضعَ في خطاب أمير المؤمنين (عليه السلام) في التراكيب (أفضض جمعهم، شتت كلمتهم، أبسلهم بخطاياهم) ثم تابع (عليه السلام) بأسلوب التوازي مستخدماً جملا أطول من سابقتها فكان بين (لا يذل من واليت، لا يعز من عاديت) وكان في المثال الأول يدعو على أعدائه بالتفرقة والهلاك فكان التوازي قصيراً ليعبر عن غضبه ثم تلاها بجمل متوازية أطول فحواها حجة إقناعية لبقاء أنصاره معه وموالاته والقتال إلى جانبه، إذ جاءت التراكيب متوازية متساوية من جميع النواحي فضلا عن التوازن في الطول والرنين والموسيقى مما أضفى على الخطاب حجة إيقاعية تؤثر في النفوس وتجعل المتلقي مُسَلماً بما يقوله المتكلم ، فالتوازي مرتبط بوظيفته في النص وهي العمل على انسجامه.

واستعمل الإمام علي (عليه السلام) التوازي التركيبي في خطبته عند استنفار أنصاره لقتال معاوية ،فقال: **"عباد الله..... فإن لي عليكم حقا، وان لكم علي حقا، فأما حقكم علي فالنصيحة لكم ما صحبتكم، وتوفير فيئكم عليكم، وتعليمكم كيلا تجهلوا، وتأديبكم كيما تعلموا ، وأما حقي عليكم فالوفاء بالبيعة ، والنصح في الغيب والمشهد، والإجابة حين أدعوكم، والطاعة حين آمركم، فإن يرد الله بكم خيرا تنزعوا عما أكره، وترجعوا إلى ما أحب، تنالوا ما تطلبون، وأدركوا ما تأملون"**[2]

كان التوازي في نص الخطاب (والإجابة حين أدعوكم ، و الطاعة حين آمركم) توازياً صوتياً دلالياً إيقاعياً ، ففيه عمد الإمام عليه السلام إلى تقييد ما يتوجب فعله من أنصاره ، فكانت حجة الإمام عليهم هو بيان حقه عليهم من خلال الوفاء له ببيعة الغدير والولاية ، وبيان حقهم عليه بالنصيحة لهم من خلال تراكيب متوازية أعطت النص جمالا وإيقاعا اسلوبيا له أثر في نفس المتلقي ، وفي ذلك حجة على فرض

---

[1]. م ن : ٣٩١.
[2]. تاريخ الطبري ، م٦: ٥١.

الأمر دون نقاش أو تردد، فيضفي التوازي على خطابه قيمة صوتية منتظمة ينقسم السياق فيه إلى وحدات أدائية تسهم في توليد دلالة النصوص ، وتتضافر مع الإيقاع فينشأ من تضافرها أثر جمالي و إقناعي.

ويستخدم أمير المؤمنين(عليه السلام) حجة التوازي مكملاً للتكرار في خطابه يوم صفين حين أقر الناس بالصلح، فقال: **" إن هؤلاء القوم لم يكونوا ليفيئوا إلى الحق، ولا ليجيبوا إلى كلمة السواء حتى يرموا بالمناسر تتبعها العساكر، وحتى يرجموا بالكتائب تقفوها الجلائب، وحتى يجر ببلادهم الخميس يتلوه الخميس، وحتى يدعوا الخيل في نواحي أرضهم و بأنحاء مساربهم و مسارحهم، و حتى تشن عليهم الغارات من كل فج، و حتى يلقاهم قوم صدق صبر ،لا يزيدهم هلاك من هلك من قتلاهم وموتاهم في سبيل الله إلا جداً في طاعة الله و حرصاً على لقاء الله"** [1]

جاء التوازي في قوله عليه السلام (جداً في طاعة الله، حرصاً على لقاء الله) توازيا تركيبيا بنسق : مصدر + حرف جر + اسم مجرور+ لفظ الجلالة.

فقد ختم (عليه السلام) توازيه بتكرار لفظ الجلالة فحجاجية التوازي تتوقف بالمستوى الدلالي على دعوة الناس للقتال في سبيل الله وإعلاء كلمته ، ولكنه(عليه السلام) استخدم المستوى التركيبي وهو أعلى مستوى في التوازي وأهمه، وأبرزه و أكثره تأثيراً، إذ إن تكرار الصورة النحوية إلى جانب الصورة الصوتية نفسها يساعد على إبراز الهدف المقصود، فالتوازي يتمثل في تقسيم الفقرات بشكل متماثل في الطول والنغم والتكوين النحوي، إذ تبرز عناصر متماثلة في مواضع متقابلة في الخطاب من أجل أن يتحقق الانسجام والتنوع والاتساق في البناء و تعزيزاً للإيقاع.

و في خطبة للإمام علي (عليه السلام) يستصرخ الناس بعد أن بلغه توجيه معاوية الضحاك بن قيس ،وإغارته على الحيرة وغنم أموال أهلها ، لكن الناس تقاعدوا عنه ، فقام فيهم ،فقال: **"أيها الناس المجتمعة أبدانهم، المختلفة أهواؤهم، كلامكم يوهي**

---

[1]. وقعة صفين : ٥٢٠.

الصم الصلاب، وفعلكم يطمع فيكم الأعداء ، تقولون في المجالس كيت و كيت، فإذا جاء القتال قلتم حيدي حياد" [١]

ذكر التوازي في قوله (المجتمعة أبدانهم، المختلفة أهوائهم) أي أن أبدانكم مجتمعة وأهواءكم مختلفة فتقولون شيئًا وفعلكم شيء أخر ، فكان توازياً صوتياً إيقاعياً مع تقابل الكلمات في كل من العبارات، أدى إلى جلب إنتباه المتلقي لما يريد المتكلم من خلال موسيقى النص .

فالتوازي الذي يقوم" على التلوين الصوتي والموسيقى المتناغمة خاصة في المحسنات القائمة على الناحية التقطيعية الصوتية في منظومة توحي بالمعنى إيحاء، ومن ثم فهو يضفي على الكلام حسنا و قبولاً".[٢]

وفي خطابه (عليه السلام) رداً على كتاب زياد بن النضير و شريح بن هانئ[٣] بعد لقائهما الأعور وقد وجهه إلى الأشتر لمساندة عامليه مخططا له ومرشدا بكيفية تنظيم الجيش : **"اجعل على ميمنتك زيادا، وعلى ميسرتك شريحا، وقف بين أصحابك، ولا تدن منهم دنو من يريد أن ينشب الحرب، ولا تباعد منهم تباعد من يهاب البأس، حتى أقدم عليك، فإني حثيث السير إليك إن شاء الله"** [٤]

حل التوازي ببنيات متشابهة ومعاني مختلفة، لتتجلى فيها أهميتها ليعد التوازي قانوناً مهماً من قوانين الإيقاع (لا تدن منهم دنو من يريد أن ينشب الحرب، لا تباعد منهم تباعد من يهاب البأس) حرف نفي+ فعل + حرف جر + ضمير + مصدر + اسم موصول + فعل

كان المعنى المراد عند الإمام مندمجاً بالهندسة الصوتية والدلالة اللفظية على حد سواء، إذ تصبح الدوال ومدلولاتها في سياقاتها مترابطة متماسكة تبرز من خلالها مواقع الجمال ، فجاءت الألفاظ والتراكيب متوازية متوازنة من جميع النواحي ،

---

[١]. نهج البلاغة ، ج١/ ٣٩.
[٢]. البديع والتوازي ، عبد الواحد حسن الشيخ : ٣٠.
[٣]. شريح بن هانئ أبو المقدام الحارثي أدرك النبي (صل الله عليه وآله) وبه كنى النبي أباه هانئ بن يزيد وشريح من جملة أصحاب الإمام علي (عليه السلام) (الإكمال في أسماء الرجال ، للخطيب التبريزي ، ص ١٠٦).
[٤]. وقعة صفين : ١٥٣_١٥٤.

فضلا عن التوازن في الطول والرنين والموسيقى التي تؤثر أيما تأثير في المتلقي وتجذب انتباهه، ·فينطلق الإمام بألفاظه ليرشد عامله ويطمئن قلبه بقدومه إليه.

والتوازي في خطب الإمام علي (عليه السلام) يكون طوعاً سهلاً تابعاً للمعاني، وهذا ما لوحظ في خطابه التحريضي لمواجهة معاوية وعمرو بعد أن أخبر بخطبتهما وتحريضهما الناس عليه، فحمد الله ثم قال: **" نحن أهل بيت الرحمة، وقولنا الصدق و من فعالنا القصد، ومنا خاتم النبيين، و فينا قادة الإسلام، ومنا قراء الكتاب ، ندعوكم إلى الله وإلى رسوله، وإلى جهاد عدوه، وإلى الشدة في أمره وابتغاء رضوانه، وأقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وحج البيت وصيام شهر رمضان، وتوفير الفيء لأهله"**[١]

فالتوازي في عبارة (ندعوكم إلى الله وإلى رسوله، وإلى جهاد عدوه، والى الشدة في أمره وابتغاء رضوانه) إذ جاءت العبارات متوازية متسلسلة لها هدف حجاجي في تحريك الوجدان والشعور لأنه في حقيقته بنية إيقاعية جوهرية ذات تأثير سمعي وعاطفي في المستمع ،كما تعد هذه البنية تركيبة تربط بين عنصريها علاقات سمعية من طول وزنة وفاصلة ، تعكس فكراً مرتبا متزنا مقنعاً.

وقد أبدع الإمام علي (عليه السلام) غاية الإبداع في استخدام التوازي ضمن خطبه ، فكان خير مثال الخطباء حين صعد المنبر وخطب بالناس ودعاهم إلى الجهاد، فبدأ بالحمد لله والثناء عليه ثم قال: **" إن الله قد أكرمكم بدينه، و خلقكم لعبادته، فانصبوا أنفسكم في أداء حقه، وتنجزوا موعده، واعلموا أن الله جعل أمراس الإسلام متينة، وعراه وثيقة، ثم جعل الطاعة حظ الأنفس برضا الرب، وغنيمة الأكياس عند تفريط الفجرة"** [٢]

يأتي التوازي بين فقرتين في خطاب (إن الله قد أكرمكم بدينه، وخلقكم لعبادته) عفواً متسلسلا يكسبه الأريحية دون تكلف، فهو وما يوفره من موازنة تسهم في تمام المعنى واستقامة نظام الخطاب يساعد على رسوخ المعنى وثباته، ومن ثمَّ سهولة إقناع المتلقي به، و لا يحسن منثور الكلام أو يحلو حتى يكون متوازناً ولا تكاد تجد

---

[١]. م ن : ٢٢٤.
[٢]. وقعة صفين : ١١٢_١١٣.

كلاماً يخلو من التوازي ، فكلام الإمام(عليه السلام) عندما جاء متوازياً، كان له أثر على السمع، وإن لم يكن مسجوعا وأحدث في الذهن رسوخا وزاده حضوره فيه ، وبذلك يسهل الإقناع والقبول به.

واستخدم الإمام علي (عليه السلام) التوازي في خطابه لما انتهى إليه خبر توجيه معاوية بن سفيان بن عوف الغامدي في جيش، وإغارتهم على الأنبار و قتلهم عامل علي حسان بن حسان البكري، واحتملوا ما كان في الأنبار من الأموال ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه (صل الله عليه واله)، ثم قال: **" أما بعد فإن الجهاد باب من أبواب الجنة، فتحه لخاصة أوليائه وهو لباس التقوى، ودرع الله الحصينة، وجنته الوثيقة، فمن تركه رغبة عنه، ألبسه الله ثوب الذل، وشمله البلاء، وديثَ بالصغار والقماءة، و ضرب على قلبه بالإسهاب، وأديل الحق منه بتضييع الجهاد، وسيم الخسف[١]، ومنع النصف[٢]. ألا و إني قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلا ونهارا، وسرا و إعلانا، وقلت لكم اغزوهم قبل أن يغزوكم ،فو الله ما غزي قوم قط في عقر دارهم إلا ذلوا"[٣]**

جاء التوازي بين (وسيم الخسف ، منع النصف) في عبارات متوازية التراكيب منسجمة الأجزاء متلاحمة الأصوات ، حققت في الكلام إيقاعا رنان ومنغما تميل إليه النفس وتجعل الكلام قادرا على جذب المخاطب من خلال الحجج التي طرحها الإمام عليهم عندما قعدوا عن الجهاد ورضوا بالذل والضيم ، فعمل الإمام على إقناعهم من خلال التذكير بالقيم الجهادية وما مر عليهم من أحداث أليمة وغارات مصورا الكلام في إيقاع رنان جميل تنجذب إليه النفوس .

ومن خلال أمثلة التوازي التركيبي في خطب الجهاد عند الإمام علي (عليه السلام)نلاحظ وجود تقنية الاحتشاد البلاغي في الخطاب التي أراد الإمام من خلالها إيصال الخطاب الى المتلقي بقوة حجاجية كبيرة من خلال التوازي الصوتي والنحوي والصرفي بين التراكيب المتوازية فضلا عن التوازن في الطول والرنين

---

[١]. وسيم الخسف : أي اولى الذل والضيم (لسان العرب ، ج١٢/ ٣١٢).
[٢]. ومتسع النصف : النصف بالكسر ويثلث والنصف وهو العدل أي حرم العدل .
[٣].نهج البلاغة ، ج١/ ٩٠.

والموسيقى الذي أثر بشكل كبير على جذب المستمعين ، فمن شأن إعجاب المستمع بموسيقى النص وزخرفته أن يعطل ملكته النقدية ، بالتالي يصل الخطاب الى غايته المنشودة في التأثير والأقناع بضرورة الجهاد في سبيل الله .

ب- التوازي التقابلي:

لم يرد التقابل أسلوباً بديعيا مستقلا ، إنما أشير إليه بوصفه أحد أنواع المواجهة، وقد تجلت هذه الإشارات في مبحث التكافؤ ، وهو: " أن يصف الشاعر شيئا أو يذمه ، ويتكلم فيه أي معنى كان، فيأتي بمعنيين متكافئين "[١]

وقد أشار قدامة بن جعفر إلى معنى التكافؤ بقوله: " والذي أريد بقولي متكافئين في هذا الموضع أي : متقابلين، إما من جهة المصادرة، أو السلب و الإيجاب أو غيرهما من أقسام التقابل"[٢].

لم يتوقف الأسلوب التقابلي عند نوع واحد بل تعددت أنواعه، واختلفت أنماطه بحسب طبيعة المتقابلات اللغوية ودلالة الصياغة ، وسنقف في هذا المبحث عند طباق السلب و الإيجاب.

أما في رأي العسكري : " المطابقة في الكلام هي الجمع بين الشيء وضده في جزء من أجزاء الرسالة أو الخطبة أو البيت من بيوت القصيدة".[٣]

وإن الكلام إذا جمع بين الضدين يحسن أن يسمى مطابق لأن المتكلم به قد طابق فيه بين الضدين ، وهذا ما ورد من معناها اللغوي في أكثر كتب اللغة.

وأشار حازم القرطاجني إلى أن حقيقة الطباق " هي مقابلة الشيء بما هو على قدره"[٤]

وعند السيوطي : "هو الجمع بين المتضامنين في الجملة، وهو قسمان. حقيقي ومجازي، والثاني يسمى تكافؤ، وكل منهما إما لفظي أو معنوي ،وإما طباق إيجاب أو سلب "[١].

---

[١].نقد الشعر ، ابو الفرج قدامة ابن جعفر (٢٣٧هـ)، تح :محمد عبد المنعم ، دار الكتب العلمية ، بيروت : ١٤٧.

[٢]. م ن : ١٤٨.

[٣]. كتاب الصناعتين ، ابو هلال العسكري : ٣٣٩.

[٤]. منهاج البلغاء وسراج الادباء ، ابي الحسن حازم القرطاجني، تح: محمد حبيب الخوجة ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، ط٤، ٢٠٠٧: ٤٨.

ويعرفه مصطفى المراغي : " هو الجمع بين معنيين متقابلين سواء كان ذلك التقابل التضاد أو الإيجاب والسلب أو العدم "[٢]

وعندما تكون المعاني والعبارات متقابلة في النص كل معنى وضده فأنه ينشأ عن ذلك نوع من الإيقاع الموسيقي الذي يضفي على الخطاب تأثيرا في نفوس المتلقين إذ ترسم المتقابلات صورا ذهنية متعاكسة تجعل المتلقي ينجذب إلى الأفضل منها ويسلم لما أملي عليه من أفكار وأطروحات وهذا دليل على حجاجية المعاني المتقابلة في الخطاب .

ومن مصاديق التوازي التقابلي في القرآن الكريم نحو قوله **تعالى :{فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا ، جزاء بما كانوا يكسبون }.**[٣] نلاحظ في هذه الآية الكريمة مقابلة بين الضحك والبكاء ، والقلة والكثرة على الترتيب وهو مقابلة أثنين بإثنين .

ومن أمثلته في الشعر ، قول الحلاج :

فليتك تحلو والحياة مريرة وليتك ترضى والأنام غِضابٌ

وليت الذي بيني وبينك عامرٌ وبيني وبين العالمين خرابٌ

نلاحظ المعاني المتقابلة بين الحلو والمر ، وبين الرضا والغضب (الشيء وضده)قد صورت المعنى بشكل جميل ملفت للنظر .

ومن مصاديق المعاني المتقابلة في خطب الجهاد عند الإمام علي (عليه السلام) في صفين يحث أصحابه على الجهاد ، فوقف (عليه السلام) في الناس ، فقال : **" اللهم فإنهم قد ردوا الحق فافضض جمعهم ، وشتت كلمتهم ، وأبسلهم بخطاياهم، فإنه لا يذل من واليت ، و لا يعز من عاديت"**[٤]

إن التوازي التقابلي في الجملتين (لا يذل من واليت) و (لا يعز من عاديت)فكان التقابل بين يذل ويعز من جهة ، ووواليت وعاديت من جهة أخرى ، لاحظ كيف تقابلت المعاني (الشيء وضده) التي أعطت النص إيقاعا موسيقيا تتأثر فيه النفس وينجذب اليه السامع ، فكانت لتبرز مشاعر السخط التي يشعر بها الإمام(عليه

---

(١). الاتقان في علوم القران ، السيوطي : ٦٠٥.
(٢). علوم البلاغة ، احمد مصطفى المراغي ، دار الافاق العربية ، القاهرة ، ط١، ٢٠٠٠: ٣٨٢.
(٣). سورة التوبة : آية ٨٢.
(٤). وقعة صفين : ٣٩١.

السلام) من أولئك الجماعة وما اقترفوه في حقه ، وما من ريب في أن الجمع بين الأمور المتضادة يكسو الكلام جمالاً ويزيده بهاء ورونقا .

فمن هنا كانت وظيفة الطباق " لا تقف عند هذا الزخرف وتلك الزينة الشكلية بل تتعداها إلى غايات أسمى ، فلا بد أن يكون هناك معنى ومغزى دقيق وراء جمع الضدين في إطار واحد وإلا كان هذا الجمع عبثاً و ضربا من الهذيان"[1]، فكان مغزى الإمام أن ينقل مشاعر غضبه الذي هو سبب نقمة الله عليهم و إذلالهم، وبنفس الوقت يثبت قلوب مناصريه إذ يوضح أن سبب رفعتهم هو احترامه وحبه.

وخطب الإمام علي (عليه السلام) في ليلة من ليالي صفين، فقام وقال: حتى متى لا نناهض القوم بأجمعنا ؟، فقال: **" الحمد لله الذي لا يبرم ما نقض، ولا ينقض ما أبرم، لو شاء ما اختلف اثنان من هذه الأمة، ولا من خلقه، ولا تنازع البشر في شيء من أمره، ولا جحد المفضول ذا الفضل فضله و قد ساقتنا وهؤلاء القوم الأقدار، حتى لفت بيننا في هذا الموضع، ونحن من ربنا بمرأى و مسمع، ولو شاء لعجل النقمة، و لكان منه النصر، حتى يكذب الله الظالم، ويعلم المحق أين مصيره، ولكنه جعل الدنيا دار الأعمال والآخرة دار الجزاء والقرار"**[2]

إن التوازي التقابلي بين الجملتين (لا يبرم ما نقض) مع (لا ينقض ما أبرم) فكان التقابل على شكل طباق متعاكس ومتقابل في وقت واحد ، إذ يبين الإمام إن وعد الله حق والى متى لا نقاتل القوم وقد جرت مشيئة الله على ذلك ، فطرح الإمام عليهم الحجة تلو الأخرى على أحقية أصحابة في القتال من خلال توظيف المحسنات بما يخدم الحالة الشعورية إذ كان له وقع في النفس من خلال المقارنة ، فالمطابقة التي تأتي مجردة ليس تحتها أمر كبير هي مجرد زخرفة .

وفي خطبة للإمام علي (عليه السلام) يدعو فيها الناس إلى الجهاد في حرب صفين ،فبدأ بالحمد لله والثناء عليه ثم قال: **" أنتم أعلم الناس بحلاله و حرامه، فاستغنوا بما علمتم، واحذروا ما حذركم الله من الشيطان، وارغبوا فيما أنالكم من الأجر**

---

[1]. كتاب البلاغة _البيان والبديع : ٣٨٨.
[2]. جمهرة خطب العرب :ج١/ ٣٤٦.

والكرامة، واعلموا أن المسلوب من سلب دينه و أمانته، و المغرور من آثر الضلالة على الهدى"[1]

ورد التوازي التقابلي بين (حلاله، حرامه) و (الضلالة ، الهدى) ،فأجتمع كل معنى مع ضده لتكوين التقابل في الخطاب ،إذ أسهمت المعاني المتقابلة في توليد دلالة النص وأثرت فيه أيما تأثير، فوظفه الإمام أحسن توظيف لخدمة المعنى وبطريقة حجاجية تبرهن وجوب القتال ، وتوضح الفرق الشاسع بين أنصار الإمام (عليه السلام) وبين جيش الأعداء .

وورد التقابل في خطاب أمير المؤمنين (عليه السلام) عند تحريضه أتباعه للقتال ويصف لهم خطة التمركز ، فيقول : **" فسووا صفوفكم كالبنيان المرصوص، وقدموا الدارع، وأخروا الحاسر**[2]**، وعضوا على الأضراس؛ فإنه أنبى للسيوف عن الهام، وأربط للجأش ، وأسكن للقلوب..... ورایاتكم فلا تميلوها ولا تزيلوها، ولا تجعلوها إلا في أيدي شجعانكم المانعي الذمار، والصبر عند نزول الحقائق، أهل الحفاظ، الذين يحفون برایاتكم و يكتنفونها، ويضربون خلفها وأمامها ....."**[3]

فالطباق الواقع بين (قدموا الدارع ، أخروا الحاسر) كان لتوضيح المعنى المقصود والغاية المرتدة في تقسيم صفوف الجيش وتموضعه، وهو من مقتضيات الأحوال و موجبات الأغراض ،وفضلاً عن هذا، فإن الجمع بين الشيء وضده يضفي على الكلام رونقاً و بهاء ويكسب المعنى حسناً ونبلاً ، وهو فوق تثبته المعنى في النفس يصف الشيء المتحدث عنه إزاء الضدين المتقابلين ويجعل لكل معنى حسناً وجمالاً لا يكون لهما إذا انفردا.

وفي خطبة للإمام علي (عليه السلام) في صفين عندما قال بعض الناس : أكلتنا الحرب وقُتلت الرجال. وقال قوم : نقاتل القوم على ما قاتلناهم عليه أمس، وعندها نهض الإمام علي أمير المؤمنين (عليه السلام)، فقال:**" إنه لم يزل أمري معكم على**

---

[1]. وقعة صفين : ١١٣.
[2]. الحاسر : هو المقاتل بدون درع او غطاء (لسان العرب ، ج٧٨/٥).
[3]. وقعة صفين : ٢٣٥.

ما أحب إلى أن أخذت منكم الحرب، وقد والله أخذت منكم وتركت، وأخذت من عدوكم فلم تترك، وإنها فيهم أنكى وأنهك ، ألا إني كنت بالأمس أمير المؤمنين فأصبحت اليوم مأمورا، وكنت ناهيا فأصبحت منهيا، وقد أحببتم البقاء وليس لي أن أحملكم على ما تكرهون"[1]

ورد التقابل بين (أخذت منكم وتركت ، وأخذت من عدوكم فلم تترك) ثم التقابل بين (ناهيا ، منهيا) وهو مقابلة إثنين بإثنين (الشيء وضده) ليؤدي وظيفة حجاجية إقناعية لاستكمال القتال ،إذ يطرح الأمام الحجج على أصحابه بأن الحرب أرهقت العدو وإستنزفت قوته، وإنها أخذت منكم وتركت ، فقد صور الإمام هذه المعاني من خلال التقابل بين المعنى وضده، فنلاحظ الطباق السلب في الثنائية الأولى ليبرز التشابه في وقع المصيبة والاختلاف العميق بين نتيجة كل منهما ، وأتبعها بتضاد آخر إذ تحول (عليه السلام) من ناه إلى منهي بفعل عصيان بعض أصحابه ، فيكون لها الأثر الأعمق في نفوس السامعين ، ومما لا شك فيه إن ورود الطباق في النص يؤدي دوراً حجاجياً يسهم في تغيير زاوية النظر ويعمل على استمالة المخاطب .

وفي خطبة للإمام علي (عليه السلام) لما رأى ميمنته قد عادت إلى موقفها ومصافها، وقد كشف من بإزائها حتى ضاربوهم في مواقفهم ومراكزهم ، أقبل الإمام حتى انتهى إليهم فقال :

" فلولا إقبالكم بعد إدباركم وكركم بعد انحيازكم، وجب عليكم ما وجب على المولى يوم الزحف دبره، و كنتم فيما أرى من الهالكين، ولقد هون علي بعض وجدي، وشفي بعض أحاح نفسي أني رأيتكم بأخرة حزتموهم كما حازوكم، و أزلتموهم كما أزالوكم، تحوزونهم بالسيوف ليركب أولهم آخرهم؛ كالإبل المطردة الهيم"[2]

إن التقابل الذي أورده الإمام بين (إقبالكم، إدباركم) و (أولهم، آخرهم) يوضح حجة الإمام عليهم ، فيكشف عدم التزامهم بتعليمات الإمام (عليه السلام) ومن ثم بين ما برد قلبه بعد مشاهدته ما حققوه من بسالة وانتصار في معركة أخرى ،من خلال الجمع بين المتضادات مما اعطى النص بعدا حجاجياً وإقناعياً .

---

[1]. وقعة صفين : ٤٨٤.
[2]. م .ن : ٢٥٦.

و الجمع بين المعاني المتقابلة يرسم صوراً ذهنية متعاكسة تجعل المتلقي ينجذب إلى الأفضل منها فضلا عن ذلك أن الجمل المتقابلة تحرص على الإتيان بالمعنى كاملا (الشيء وضده)، لذلك فإن التقابل لا يقف عند أداء الوظيفة البلاغية وحدها، وإنما يتحول لأغراض تواصلية، ولإنجاز مقاصد حجاجية إقناعية ولإفادة أبعاد تداولية تتجاوز القيمة اللغوية أو البلاغية لارتباطها بكل ما يحيط بها من سياقات نفسية واجتماعية ومقاصد للمتكلمين، و هذه المقاصد نراها واضحة في خطاب الإمام علي (عليه السلام).

ومن خلال مصاديق التوازي التركيبي والتقابلي التي وردت في خطب الجهاد عند الإمام علي (**عليه السلام**) نرى أنها قد حققت في الكلام إيقاعاً رناناً ومنغما وبنية تطريزية تجعل النص وحدة منسجمة الأجزاء متلاحمة الأصوات معتدلة المقاطع ، فتميل إليها النفس كل الميل ، ليس بالإصغاء والسماع فقط ، وإنما بالفهم والتدبر والحفظ والتصديق ، فتكون هذه البنية المتوازية قد أدت دوراً حجاجياً مهما إذ تجعل الكلام قادرا أكثر من غيره على جذب المخاطب إلى عالم الخطاب ، وحملت على التصديق بما فيه من أفكار وأطروحات ، وإقناعه بما يريد المتكلم دون أن يشعر بالملل أو الفتور .

الفصل الثاني :

الحجاج اللغوي في خطب الجهاد

توطئة :

المبحث الأول : العوامل الحجاجية

المبحث الثاني : الروابط الحجاجية

المبحث الثالث : السلالم الحجاجية

توطئة:

تعود نظرية الحجاج اللغوي للساني الفرنسي أوزوالد ديكور(decro)الذي حاول من خلالها أن يبين أن الحجاج وظيفة أساسية من وظائف اللغة، وأن لهذه الوظيفة مؤشراً في بنية اللغة، فالبعد الحجاجي في اللغة ظاهر في بنية الجمل نفسها وفي كل الظواهر اللغوية والخطابية ، وتسعى نظرية الحجاج إلى اكتشاف منطق اللغة أي: القواعد الداخلية المتحكمة في تسلسل الأقوال والجمل وتتابعها بشكل متنامي و تدريجي .[١]

حاول ديكور. من خلال نظريته البحث عن المعايير والضوابط التي تؤطر التلفظ أثناء التخاطب، إذ إن مجمل أعماله بداية من (1972)تهدف في الحقيقة إلى البرهنة على تصور غير استدلالي للحجاج[٢]، وهو المنحى الذي سنحاول تتبعه في هذا الجزء من البحث بهدف بسط الحجاج اللغوي بكل أشكاله في خطب الجهاد للإمام علي عليه السلام.

إن النظرية التي طورها كل من ديكررو (Ducrot) وإسكومبر (Ascomber) تَعُد الوقائع الحجاجية مكونات للبنية الداخلية للغة ذاتها ،يقول ديكرو في هذا الصدد: "سننطلق من الملاحظة المشهورة بأن لكثير من أفعال التلفظ وظيفة حجاجية وبأنها تقصد إلى توجيه المخاطب نحو نتيجة معينة أو إلى صرفه عنها، وربما تكون أقل شهرة الفكرة القائلة بأن لتلك الوظيفة مؤشرات في بنية الجملة نفسها، فليست القيمة الحجاجية لقول ما مجموعة رد نتيجة للأخبار الواردة، لكن بإمكان الجملة نفسها أن تتألف من ألفاظ"morphemes"وتعابير"expressions" أو صيغ "tournures"تسعى بالإضافة إلى محتواها الإخباري، إلى منح القول اتجاها حجاجيا ودفع المخاطب إلى هذه الوجهة أو تلك".[٣]

---

[١].ينظر : أليات الحجاج في الخطاب السياسي للأمير عبد القادر نموذجا ، أطروحة دكتوراه للطالبة نورية لعرباوي ، جامعة وهران –الجزائر ، ٢٠١٧، ص ٢٤.

[٢].ينظر: الاسس المعرفية لمقاربة النصوص الحجاجية ،د. كمال نجوش ،مجلة تعليمية اللغة والنصوص :٣٣.

[٣].ينظر :نظرية الحجاج اللغوي عند ديكرو وانسكومبر ،د. محمد اسماعيل ، مجلة جامعة تشرين ،العدد ٤، ص ٧.

انطلاقاً من هذه النظرة يرى ديكرو أن موضوع الدرس الحجاجي اللساني هو تلك العلامات المنطبقة في بنية اللغة، والتي تحدد القيمة الحجاجية لملفوظاتها بفضل ما تتضمنه من إرشادات حجاجية، والتي لها دور أساس في توجيه المعنى وحصره (العوامل الحجاجية)أو الربط بين نتيجتين(الروابط الحجاجية)، وكذا تشكيل العلاقات السلَّمية (السلالم الحجاجية)والنتيجة أن اللغة لن تبقى مجرد أداة للحجاج بل ستثير محلا له .[١]

وترتكز النظرية الحجاجية في دراسة اللغة على أن البعد الحجاجي في الخطاب يمكنه أن يضبط نسق ترتيب الأقوال في النصوص والخطابات، إذ إن ترابط الأقوال والنصوص في اللغة توجهّ ُ علاقات حجاجية في بنية الخطاب تجعل من اللغة أداة لتوجيه القول نحو الوجهة التي يريدها الخطاب الحجاجي والإقناعي .

وقد بين ديكور من خلال النظرية التي وضعها في الحجاج اللغوي " أن الحجاج باللغة يجعل الأقوال تتابع وتترابط على نحو دقيق فتكون بعضها حججا تدعم وتثبت بعضها الأخر ؛ أي أن المتكلم إنما يجعل قولاً ما حجة لقول أخر هو بلغة الحجاج (نتيجة) يروم إقناع المتلقي بها وبمعنى أخر أن المتكلم قد يصرح بالنتيجة وقد يخفيها وعلى المتلقي استنتاجها لا من مضمون هذه الأقوال الإخبارية فحسب بل اعتمادا على بنيتها اللغوية "[٢]، لذا فقد كانت غاية نظرية الحجاج اللغوي هي إستبدال الاعتقاد السائد الذي يرى أن وظيفة اللغة الأساسية هي الوظيفة الإخبارية ؛ لان اللغة عندهم عبارة عن علامات توظف ؛ فهي تسعى إلى إيصال المعلومة ونقل الخبر فقط ، فقد استبدلوا هذا الاعتقاد بفكرة أن لها وظيفة حجاجية وإما الإخبارية ما هي إلا فرع منها ، والوظيفة الحجاجية في اللغة تتمثل في عملية التوجيه الحجاجي والذي يقصد به عند اوزوالد ديكور وانسكومبر هو " ذلك الانزياح أو الانتقال أو الحركة من وضع أول معلوم إلى وضع ثان قد يكون معلوما (صريحا) أو غير معلوم (ضمنيا) وهو النتيجة التي يروم الباث إذعان المتقبل لها " [٣]

---

[١]. ينظر : أليات الحجاج في الخطاب السياسي للأمير عبد القادر نموذجًا : ٢٥.
[٢]. الحجاج في الشعر العربي بنيته واساليبه : ٢٣.
[٣].العوامل الحجاجية في اللغة العربية : ٢٨

ومن خلال ما تقدم نستنتج أن مفهوم الحجاج اللغوي عند اغلب اللغويين واللسانيين هو عبارة عن خطاب مبين من طرف المتكلم ، مشروط بطرح مجموعة من الحجج متعلقة بمجموعة من القضايا تؤدي بالأخير إلى التسليم بالنتائج المتوصل إليها .

من المفاهيم التي ارتكزت عليها نظرية الحجاج اللغوي : التوجيه الحجاجي، الأفعال اللغوية ، الروابط والعوامل الحجاجية، السلالم الحجاجية ،الوجهة الحجاجية ،الاستراتيجيات الخطابية ، والتي سنحاول تتبعها في خطب الجهاد عند الإمام علي (عليه السلام) من هذا الفصل.

المبحث الاول: العوامل الحجاجية:

تُعد العوامل الحجاجية من آليات الحجاج وتقنياته الإقناعية التي تسهم في تشكيل بنية الخطاب لما يريده المُخاطِب وفق منظور حجاجي قادر على استمالة المخاطَب لما يعرض عليه ، وهذه العوامل تسهم في نقل من أطارها القديم الذي يعنى بالوظيفة الإبلاغية إلى وظيفة حجاجية إقناعية قادرة على التأثير من خلال آليات وعوامل تكون داخل بنية اللغة ، وهذه العوامل مثل (الاستفهام والنفي والاستثناء والقصر) تؤدي وظيفة حجاجية إذا استعملت في اللغة وفق منظور حجاجي إقناعي فتكون لها القدرة في توليد دلالة النص وتكوينها لدى المتلقي .

العامل الحجاجي هو "صريفة" (مورفيم)، إذا جرى تطبيقه في محتوى أو ملفوظ معين يؤدي إلى تحويل الطاقة الحجاجية لهذا الملفوظ.[١]

فهو من شأنه أن يقوي درجة التوجيه في الخطاب، وعليه صيغ تعريف العامل الحجاجي انطلاقاً من مفهوم ديكرو وانسكومبر بالقول إن وجود بعض العوامل في بعض الجمل يعطيها توجيها حجاجيا، للدلالة على نتيجة محددة دون غيره ،فهي حينئذ عناصر لسانية وليست مقامية، وهذا ما أكده ديكرو في كتابه السلالم الحجاجية إذ يرى أن القيمة الحجاجية للملفوظ ليست نتيجة لمداه الإبلاغي لكن الجملة تكون حاملة لصرافم أو تعابير أو موجهات إضافة إلى محتواها الإبلاغي تصلح لإعطاء وجهة حجاجية للملفوظ تجعله في اتجاه من الاتجاهات.[٢]

رغم أن ديكرو وانسكومبر يلحان على ما للعوامل من بعد لساني فهي عندهما قسم من العوامل التي لها وظيفة دفع المتقبل إلى النتيجة" وذلك عبر اكتشاف الخطة الخطابية التي يقوم عليها الملفوظ عند احتوائه على العامل الحجاجي، بل إن ثمة من الباحثين على غرار روث أموسي من يُرجع تناسق الخطاب وترابطه وتكامل بنيته إلى العوامل الحجاجية التي تساعد على اكتشاف وجهته الحجاجية"[٣]

---

[١].ينظر: الحجاجيات اللسانية عند ديكرو وانسكومبر ،رشيد الراضي ،مجلة عالم الفكر ،٢٣٤.
[٢].ينظر : أليات الحجاج في الخطاب السياسي للأمير عبد القادر نموذجًا : ٨٤.
[٣].العوامل الحجاجية في اللغة العربية ،عز الدين الناجح :٢٣.

وبناءً على ما سبق تبين أن التوجيه الحجاجي يظهر تأثيره بالعوامل الحجاجية التي تعمل على حمل المخاطب بها على الإقتناع وترك أي شك أو إنكار، فضلاً عن قدرتها في حصر الإمكانات التأويلية وتوليد دلالة النص ، كذلك تضييق فجوة الخطاب بين المتكلم والمتلقي وتجنب الجدل بينهما، وهذا ما سنراه واضحا في الإطار التطبيقي على نصوص خطب الجهاد ، فهي لا تربط بين متغيرات حجاجية، أي بين حجة ونتيجة، ولكنها تقوم بحصر وتقييد الإمكانات الحجاجية التي تكون لقول ما، وأدوات العوامل الحجاجية هي مثل " ربما، قريبا، كاد، قليلا، كثيرا،ما...إلا، و أدوات القصرالأخرى.

وتعتبر العوامل بمثابة عنصر مساعد لإظهار الجانب الحجاجي في اللغة، وهي موجودة بكثرة في خطب الجهاد من بينها:

أ ــ عاملية النفي :

أن باب النفي مشترك بين الدراسات النحوية والبلاغية ، فقد ذكره الزركشي في أقسام معنى الكلام ، فقال : " النفي هو شطر الكلام كله إما إثبات أو نفي ، وفيه قواعد ، الأول : في الفرق بينه وبين الجحد ، قال ابن الشجري : إن كان النفي صادقاً فيه قائله ، سمي كلاما نفيا . وإن كان يعلم كذب ما نفاه كان جحداً ، فالنفي أعم لان كل جحد نفي من غير عكس ، فيجوز أن نسمي الجحد نفياً ، لأن النفي اعم ولا يجوز أن نسمي النفي جحدا ..... قال ومن العلماء من لا يفرق بينهما والأصل ما ذكرته " .[1]

يومئ هذا التعريف إلى احد شروط النفي وهو صدق النافي ، والعرب تبني صيغة النفي على اعتبار سبق الإثبات .

[1]. البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين الزركشي ، تحقيق : محمود ابو الفضل ابراهيم ، دار الفكر ، بيروت ، ط٣، ج٢، ١٩٨٠: ٣٧٦.

وتظهر حجاجية النفي إذ تحتل أحرف النفي صدر الجملة " ويمثل الصدر بالحرف أمرين أحدهما تغيير معنى الكلام والآخر التأثير في مضمون الكلام ".[١]

ففي خطبة الإمام علي (عليه السلام) سنة ٣٩ه لما أغار النعمان بن بشير على عين التمر ، وفيها عامل الإمام علي (عليه السلام) وقد كتب إليه يستمده ، فأمر الإمام الناس أن ينهضوا إليه فتثاقلوا ، فصعد المنبر فتشهد ثم قال في مجرى **خطبته : " المغرور من غررتموه ، ولمن فاز بكم فاز بالسهم الاخيب ، لا أحرار عند النداء ، ولا أخوان ثقة عند النجاء ، إنا لله وإنا إليه راجعون ! ماذا منيت به منكم ؟"**[٢]

هناك بعد حجاجي لعامل النفي الذي جاء مقترنا بالجملة الاسمية بقوله (لا احرار عند النداء ، ولا إخوان ثقة عند النجاء) فقد جاء قول النفي بالجملة الاسمية دالا على انتفائه عنهم في الحال ، لان اسم الفاعل حقيقة في زمن الحال ، وهنا يظهر البعد التوجيهي لعامل النفي " لان الجملة الفعلية تدل على الاهتمام بشأن الفعل دون الفاعل .... والجملة الاسمية تهتم بالفاعل دون الفعل ، فالاهتمام بهم في النفي تسجيل لكذبهم " .[٣]

ولم يكن هذا التوجه الحجاجي في المعنى ليتم لولا ورود هذا الخطاب في شكل جملة اسمية يقع الاهتمام فيها أساسا بالفاعل دون الفعل ، كما يستفاد من كلامه أن حقيقة الجملة المنفية قيامها بالرد على جملة سابقة مثبتة وفي ذلك تأكيد لذلك التلازم بين الاثبات والنفي مما يزيد من قوة حجاجية الخطاب .

كما يشكل اقتران النفي ببعض الحروف مثل حروف الجر توجيها حجاجيا مضاعفا ، إذ يحتوي عامل النفي في الاصل على قيمة دلالية إضافية لا على اصل المعنى فقط ، فاقتران عامل النفي بحرف الجر يشكل عملا توجيهيا اخر يتآزر مع توجيه النفي ، ومن أمثلة ما ورد في خطبة الامام علي (عليه السلام) فيما كان من

---

[١]. إنشاء النفي وشروطه النحوية والدلالية ، شكري المبخوت ، مركز النشر الجامعي ، جامعة منوية ، تونس ، ٢٠٠٦م: ٤٢.
[٢]. تاريخ الطبري : م٦/ ٧٧.
[٣]. الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالية ، ميلاد خالد ، المؤسسة العربية للتوزيع ، ط١، تونس ، ٢٠٠١م: ٧٥.

تحريض معاوية وعمرو ، عندما **قال : " ليس المسلم بالخائن إذا اؤتمن ، ولا بالمخلف إذا وعد ، ولا بالكذاب إذا نطق " .**[١]

الباء في قوله (بالخائن ، بالمخلف ، بالكذاب) فهي في خبر (ليس) وخبر (لا) لتأكيد النفي الذي دلت عليه كل من (ليس ،لا) ، ووظيفتها الحجاجية تأكيد النفي والمبالغة فيه نظرا لإقترانها بحرف الجر (الباء) .

ويفضي التوجيه الحجاجي في هذا الخطاب الى نتيجة واحدة هي تبرئة المسلم من الخيانة والمخالفة والكذب .

كما إن النفي قد يقترن بالنكرة فيكتسب دلالة إضافية ، ويعبر النحاة عن هذه الحالة بقولهم النكرة في سياق النفي ، ويظهر التوجيه الحجاجي عندئذ في كون التركيب قد اكتسب شحنة حجاجية ، وتزداد الطاقة الحجاجية لعامل النفي مع النكرة إذا جاء معززا بحرف الجر (من) في مثل قول الإمام علي (عليه السلام) في خطبته بعد إن أغار الضحاك بن قيس على الحيرة بتوجيه من معاوية وغنم أموال أهلها ، إذ قال **: " فإذا جاء القتال قلتم حيدي حياد ، ما عزت دعوة من دعاكم ، ولا استراح قلب من قاساكم ، أعاليل بأضاليل ، دفاع ذي الدين المطول ، هيهات لا يمنع الضيم الذليل ...."** .[٢]

مقال الإمام هذا يعم المتخاذلين والقاعدين جميعهم عن القتال لوقوع النكرة في سياق النفي لنفي الجنس ، ويعم جميع ما ذكر باقترانه ب (من) في حيز النفي للدلالة على استغراق الجنس أيضا ، ولقد أدى عامل النفي (لا) في السياق الحجاجي وظيفة العموم . ومن أمثلة النفي الحجاجي في خطبة الأمام علي (عليه السلام) عند لقاء كل عدو ، قائلا **: " لا تقاتلوا القوم حتى يبدءوكم ؛ فإنكم بحمد الله على حجة ، وترككم إياهم حتى يبدءوكم حجة أخرى لكم عليهم ".** [٣]

---

[١]. وقعة صفين : ٢٢٤.
[٢]. جمهرة خطب العرب : ٤٢٥.
[٣]. وقعة صفين : ٢٠٣-٢٠٤.

نلحظ إن الخطبة جاءت في سياق التوجيهات العسكرية للمقاتلين ، إذ يضع الإمام الحجة على أصحابه بعدم البدء بالقتال حتى يبدأ القوم أولا في قوله (لا تقاتلوا القوم حتى يبدءوكم) فقد لعبت (لا) النافية في الخطاب دورا حجاجياً بحتاً بنفي البدء بالقتال ، وأن مجيء (لا) النافية في بداية الخطاب دلالة على تأكيد النفي وقوة الحجة ، إذ أن توجيه الإمام لأصحابه بعدم البدء بالقتال حتى يبدأ العدو أولا لكي تكون حجة عليهم ، وتركهم حتى يبدؤا بالقتال حجة أخرى عليهم ، وهذه دلالة على قوة حجية النفي في الخطاب .

ب ــ **عاملية الاستفهام :**

تعد عاملية الاستفهام من العوامل الحجاجية المهمة التي تسهم في توجيه الخطاب نحو التأثير و الإقناع داخل بنية اللغة من خلال حصر الإمكانات التأويلية لدى المتلقي نحو وجهة واحدة إذ " يُعد إستعمال الأسئلة الاستفهامية من الآليات اللغوية التوجيهية ، بوصفها توجه المرسل إليه إلى خيار واحد وهو ضرورة الإجابة عليها ، ومن ثم فإن المرسل يستعملها للسيطرة على مجريات الإحداث ، كما يستعمل الاستفهام للسيطرة على ذهن المرسل إليه وتسيير الخطاب تجاه ما يريده المرسل لا ما يريده الآخرون ، وتعد الأسئلة خصوصا الأسئلة المغلقة من أهم الأدوات اللغوية لإستراتيجية التوجيه".[1]

والإستفهام هو طلب المعرفة حول شيء معين ، وله دور كبير في العملية الحجاجية والتأثير في مضمون الخطاب ، نظرا لما يعمله من جلب القارئ أو المستمع في عملية الاستدلال بحيث أنه يشركه بحكم قوة الاستفهام وخصائصه و قد يكون وسيلة إثبات لقضايا أو نقض لأخرى .

وقد تميز طرح السؤال أو الاستفهام في بعض خطب الجهاد عند الإمام علي (عليه السلام) عن بعض الأشكال الأخرى التي تتخذ من الحجاج وسيلة لبلوغ الهدف ،

---

[1]. الملفوظات الاستفهامية بين القيمة الحجاجية والتوجيه المعنوي ، قراءة في نماذج من خطابات محمد البشير الابراهيمي ، للدكتور علي حميداتو ، جامعة البليدة ، ص ١-٢.

فالغاية من طرح الأسئلة هي الإثارة ودفع المقابل إلى إعلان موقفه إزاء مشكل مطروح أو فكرة معينة .

وتُعدْ الهمزة من أحرف الاستفهام التي تختص بطلب حصول التصور والتصديق ، ومثال على ذلك خطبة الإمام علي (عليه السلام) للناس في استنفارهم لقتال معاوية ، قائلا : **" أف لكم لقد سئمت عتابكم ، أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة بدلا ، وبالذل والهوان من العز خلفا ؟ ".**[١]

فلو حاولنا فحص ذلك الاستفهام(بالهمزة) فإنها أتت طلبا لحصول التصديق في ظاهرها ، مع ما تستنبطه من إستلزامات خطابية لخدمة وظائف العملية التواصلية في بعدها الحجاجي ؛ إذ يتوقف تمام الفائدة في انتظار السائل من جواب المجيب ، ففي الخطاب السابق لا يلتفت في المنظور الحجاجي الى السؤال ذاته ، وإنما إلى علاقته بمقام التواصل الذي تم فيه ، وتكمن القوة الإنجازية لهذا النوع من الأسئلة في توريط المخاطب ببيان فساد رأيه وهو ما يدل عليه استفهام أمير المؤمنين (عليه السلام) حول تقاعس الناس عن الجهاد وتمسكهم بملذات الحياة الدنيا وعدم التفكير بالآخرة.[٢]

ثم هناك الاستفهام بالأداة (ما) والتي تأتي للسؤال عن الجنس ، وللسؤال عن الوصف كما تأتي لمجرد الاستخفاف والتحقير وأيضا للتعجب .

ومن هذه الإستفهامات خطبة الإمام علي (عليه السلام) في تحريض أتباعه على الجهاد ، في قوله : **" عباد الله : ما لكم إذا أمرتكم أن تنفروا في سبيل الله أثاقلتم في الأرض ؟ " .**[٣]

بمعنى أي نفور تنفروه ، فصارت بذلك نفرتهم في غير سبيل الله ، فكيف تنفرون لجهاد غير هذا الجهاد ، فأفادت الاستفهام بالإضافة إلى التعجب والاستخفاف .

---

[١]. جمهرة خطب العرب : ٤٢١.
[٢]. ينظر : الملفوظات الاستفهامية بين القيمة الحجاجية والتوجيه المعنوي : ٤.
[٣]. تاريخ الطبري : م٦/ ٥١.

تعتبر صيغ التوجه الحجاجي الاستفهامية ذات مفعول حجاجي مهم ، فضلا عن ذلك إنها نمط ذو أهمية بلاغية كبيرة . وذلك أن السؤال يفترض وجود أمر يستند عليه ، ويوحي بأن هناك اتفاق على وجود هذا الأمر .

لقد أتاح الاستفهام في خطب أمير المؤمنين (عليه السلام) فرصا بلاغية وحجاجية دعمت المقصد التبليغي ، وانتقلت بالمعنى من مجرد طلب الجواب عن أمر أو الاستخبار عنه إلى معاني سياقية أخرى مدعمة ، فهي تتضمن القيمة الحجاجية فضلا عن أنها توجه متلقي الخطاب إلى القصدية و إلى المراد أنجازه أو التفاعل معه .

ج- عاملية القصر ب (إنما):

تعد(إنما) من أدوات القصر التي تحمل إثباتا و نفيا ، ويوظفها المتكلم لتوجيه ملفوظه نحو الإبلاغية والتأثيرية ، وقد خصها الجرجاني بالذكر ضمن كتابه "دلائل الإعجاز"، إذ أبان عن خصوصيتها، ووظيفتها داخل الخطاب، قائلا:" اعلم بأنها تفيد في الكلام بعدها إيجاب الفعل لشيء و نفيه عن غيره". [١]

ومثال على هذه الإفادة ما جاء في خطبة للإمام علي (عليه السلام) في تحريض الناس على القتال ويرشدهم لصفات حامل الراية" **فراياتكم لا تميلوها ولا تزيلوها.....وأنى هذا، وكيف يكون هكذا؟! هذا يقاتل اثنين، وهذا ممسك بيده، قد خلى قرنه على أخيه هارباً منه، وقائما ينظر إليه. من يفعل هذا يمقته الله. فلا تعرضوا لمقت الله؛ فإنما مردكم إلى الله**" [٢] فكان العامل الحجاجي (إنما) في قول الإمام :(إنما مردكم إلى الله) أن ينفي ردة الناس إلى غير الله تعالى، ومعنى الكلام أنه من يترك خصمه لأخيه ويهرب ويبقى ينظر اليه ولا يتدخل فإن هذا الفعل من الدناءة والأنانية وهو خلاف المروءة ، وهذا ما يمقته الله سبحانه وتعالى و المقصود أن: مرد الناس لله لا لغيره.

---

[١] .دلائل الاعجاز ،للجرجاني :٢٥٧.
[٢].وقعة صفين :٢٣٦.

فبإدخال "إنما" في الجملة وجه هذا الملفوظ إلى نتيجة محددة ومحصورة، ألّا و هي أنّ الذي قد يتصور أن المردود إليه من الناس هو الله عز وجل ، وهذه هي النتيجة التي يروم الإمام علي (عليه السلام)إيصالها للمستقبل.

وبناء عليه، يتضمن القصر ب "إنما" إثباتا ونفيا، وهي تسهم في توجيه معنى الملفوظ نحو إثبات يحمل في طياته نفيا، ومن ثم يكون توظيفها داخل الملفوظ بغرض تصحيح معتقد المخاطب ومثال عليه خطبة أمير المؤمنين(عليه السلام) لما رجعت رسله من عند طلحة والزبير وعائشة يؤذنونه بالحرب ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله(صل الله عليه واله) ثم قال:**" أيها الناس: إني قد راقبت هؤلاء القوم كي يرعوا أو يرجعوا، ووبختهم بنكثهم، وعرفتهم بغيبهم فلم يستجيبوا، وقد بعثوا إلي أن أبرز للطعان ،وأصبر للجلاد، وإنما تمنيك نفسك أماني الباطل، وتعدك الغرور ألا هبلتهم الهبول"** [1]

ففي قول الإمام" إنما تمنيك نفسك أماني الباطل، وتعدك الغرور" العامل الحجاجي على هذا الأساس، يوظف العامل (إنما) في قصر القلب، أي يراد بها تصحيح معتقد أو ظن المخاطب، والذي يكون مصرا على ذلك الظن، ومن ثم يؤتى ب "إنما" للرد على من يعتقد نفي ما أثبت بها.

وقد أدى وجود العامل (إنما) فيه إلى زيادة طاقته الحجاجية، من خلال ما يدل عليه من معنى مرتبط بقصد الإمام (عليه السلام) للمخاطب ، وفي ذلك إشارة إلى دور العامل الحجاجي في الإبانة عن موقف الذات المتلفظة من المضمون المصرح به.

د- عاملية النفي والاستثناء ب (إلا):

إن العوامل الحجاجية بما فيها القصر يضيق من تعدد النتائج المرجوة من الملفوظ ويجعل المخاطب في مواجهة حجاجية وأمام نتيجة واحدة، وهي أن هذا المتحدث

[1].جمهرة خطب العرب ،ج١ :٢٨٨.

يروم بالقصر إقناع المتلقي بما يريده ، إذ يوجه الخطاب وجهة حجاجية صارمة قاضية على تعدد الإستلزامات، مفضية إلى قسم واحد من النتائج.

يفيد النفي في اللغة العربية السلب، وهو يؤدى إما بأدوات نافية بسيطة (ما - لم – لن – ليس) أو بأدوات نافية مركبة تتألف من إحدى هذه الأدوات مع (إلا)، وفي الخطاب الحجاجي يتجاوز النفي وظائفه النحوية الصرفية ليصبح إنكارا "يتعقب قولا سبق ادعاؤه أو إثباته فهو دائما فعل ارتجاعي أوثق بالرد.....إن هذه الآلية تتدخل لكشف التوهم والمغالطة ومنازعة الخصم أطروحته أو فتح ثغرات في البناء الإقناعي الذي يستند إليه فهي تشتغل بغاية مراجعة الخصم في دعواه"[١]

ومنه فالنفي والاستثناء ب (إلا) يعد عاملا حجاجيا مهما بإفادته قصر شيء على شيء آخر في بنية الخطاب ذلك لأن العامل صورة من صور تقييد الفكرة والضغط على محتواها الخبري لكي يجعل المتلقي يذعن لها، لذا فكثيرا ما يستعمل هذا العامل في توجيه القول وجهة واحدة نحو ما يعتقد به المتحدث، ويريد أن يثبته في نفس المتلقي، للدفاع عن قضية معينة ودفع الآخرين إلى الاقتناع بها .[٢]

وقد وردت البنية الحجاجية القائمة على القصر في خطب الجهاد عند الإمام علي عليه السلام، وعلى سبيل الذكر لا الحصر خطبته بعد كلام هاشم بن عتبة والإفصاح عن رأيه باستكمال القتال إذ دعا له أمير المؤمنين بنيل الشهادة، ثم صعد المنبر وخطب الناس ودعاهم إلى الجهاد، إذ قال: **"إن الله أكرمكم بدينه، وخلقكم لعبادته، فانصبوا أنفسكم في أداء حقه، وتنجزوا موعده، واعلموا أن الله جعل أمراس الإسلام متينة، وعراه وثيقة، ثم جعل الطاعة خط الأنفس برضا الرب، وغنيمة الأكياس عند تفريط الفجرة، وقد حملت أمر أسودها و أحمرها، ولا قوة إلا بالله"** .[٣]

---

[١].بلاغة الاقناع في المناظرة ،عبد اللطيف عادل :٢٢٧.
[٢].ينظر :أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي ،مثنى كاظم صادق :١٠٨_١٠٩.
[٣].وقعة صفين:١١٣.

ففي هذا المقطع من الخطاب (لا قوة إلا بالله) اعتمد الإمام علي (عليه السلام)على أسلوب النفي المقترن بأسلوب الحصر ليؤكد أن القوة لا تكون عند الإنسان إلا بالاستعانة بالله تعالى ، فالنفي لم يقم على مجرد الجحد، بل أنبنى كذلك على التعويض، أي يعمل على نفي رأي أو تغيير فكرة خاطئة ، وتعويضها بفكرة أخرى ، يعدها المحاج صائبة ، وهو أن هذا المطلب هو الاستعانة بالله لاكتساب القوة في زمن فرط فيه الفجرة وأهل المعاصي بطاعة الله ، فالجمل الحصرية ولدت دعامة استند إليها الإمام في خطابه الإقناعي ليشد انتباه المخاطب ويحصره في مقاصد الخطاب و مراميه، إذ جاءت خطبته تأكيدا و إقرارا بحقيقة أن لا سبيل إلى كسب القوة إلا بالله عز وجل.

ومن أمثلة عاملية النفي والاستثناء في خطب الجهاد استخدامها من اجل الحث على الجهاد في خطبة الإمام علي (عليه السلام) عندما أغار سفيان بن عوف الغامدي على الأنبار ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه (صلى الله عليه واله وسلم) ثم قال :" **أما بعد : فأن الجهاد باب من أبواب الجنة ، فتحه الله لخاصة أوليائه ، وهو لباس التقوى ، ودرع الله الحصينة ، وجنته الوثيقة ، فمن تركه رغبة عنه ، البسه الله ثوب الذل ، وشمله البلاء ، وديث بالصغار والقماءة ، وضرب على قلبه بالإسهاب ، وأديل الحق منه بتضييع الجهاد ، وسيم الخسف ، ومنع النصف ، إلا واني قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلا ونهارا ، وسرا وإعلانا ، وقلت لكم إغزوهم من قبل أن يغزوكم ، فو الله ما غزي قوم قط في عقر دارهم إلا ذلوا ..... والذي نفسي بيده ، لقد بلغني انه كان يدخل على المرأة المسلمة ، والأخرى المعاهدة[١] ، فينتزع حجلها[٢] وقلبها[٣] ، وقلائدها ورعثها[٤] ، ما منه ألا بالاسترجاع [٥]والاسترحام** " .[٦]

---

[١]. المعاهدة : ذات العهد وهي الذمية .
[٢]. الحجل بالكسر : الخلخال ، وسمي القيد حجلا لأنه يكون مكان الخلخال .
[٣]. القلب . سوار المرأة (لسان العرب ، ج٣٨٧/٤).
[٤]. الرعثة بالفتح : هو القرط (لسان العرب ، ج١٨٣/٩).
[٥]. قول : انا لله وانا اليه راجعون .
[٦]. نهج البلاغة : ج٩٠/١-٩٢.

فنلحظ عاملية النفي والاستثناء في قول الإمام (**فو الله ما غزي قوم قط في عقر دارهم إلا ذلوا**) وقوله (**ما تمتنع منه إلا بالاسترجاع**) فمن خلال ثنائية النفي والإثبات أستطاع الإمام في خطابه حث الناس على الجهاد وبيان ما سيؤول إليه حالهم إذا تقاعدوا عن القتال من الغزو والذلة التي تلحق بهم ، كما يذكرهم بالقيم والأحداث في قوله (**انه كان يدخل على المرأة المسلمة**) لكي تزيد في حجاجية الخطاب من خلال عاملية النفي والاستثناء .

وتبين أدوات القصر الاختلاف بين الدلالة الإخبارية والدلالة الحجاجية ، ضمن هذه الأدوات فالدليل الإخباري لا يضمحل، لكن الذي يحصل هو التعديل في الوظيفة الحجاجية للقول، وبالإمكانيات الحجاجية التي يتيحها الملفوظ، وهذا ما نجده في خطبة الإمام علي (عليه السلام) عند لقاء كل عدو ، **قائلا : " لا تقاتلوا القوم حتى يبدءوكم ؛ فإنكم بحمد الله على حجة ، وترككم إياهم حتى يبدءوكم حجة أخرى لكم عليهم فإذا قاتلتموهم فهزمتموهم فلا تقتلوا مدبرا ، ولا تجهزوا على جريح ، ولا تكشفوا عورة ولا تمثلوا بقتيل . فإذا وصلتم إلى رحال القوم فلا تهتكوا سترا ولا تدخلوا دارا إلا إذني، ولا تأخذوا شيئا من أموالهم إلا ما وجدتم في عسكرهم ".**[1]

كان القصر في قوله " **فإذا وصلتم إلى رحال القوم فلا تهتكوا سترا ولا تدخلوا دارا إلا إذني** " وقوله " **ولا تأخذوا شيئا من أموالهم ألا ما وجدتم في عسكرهم** " فمن وظائف (إلا)هو تقليص الاستنتاجات التأويلية وتحديد المسار الصحيح في خريطة القول الذي ينبغي أن يسير فيه الخطاب وبعبارة أكثر دقة وضع حد لتعدد الاحتمالات في شأن المفاهيم الناجمة عن قول ما.

فقد حدد الإمام في خطبته التوجيهات التي يجب أن يلتزم بها المجاهدين عند القتال وفقا للتعاليم التي جاء بها الإسلام حتى لا يخرج الجهاد عن مضمونه الحقيقي ، بواسطة حجاجية عامل النفي والاستثناء ، دون أن يترك الخيار مفتوحًا للمتلقي ، ولم يترك مجالا للتخيل أو الاحتمال.

---

[1]. وقعة صفين : ٢٠٤.

ويعد أيضا القصر من الوسائل اللغوية التي يلجأ إليها المتكلم حتى يوجه خطابه توجيه إثبات فهو "أداة توكيد وتخصيص وكلما قويت الحاجة إليهما كان القصر أبلغ"[١]

وبهذا الغرض اعتمده الإمام في خطابه بعد أن مد الأشتر بالرجال، إذ قال: **"أيها الناس قد بلغ بكم الأمر و بعدوكم ما قد رأيتم ، ولم يبق منهم إلا آخر نفس، وإن الأمور إذا أقبلت اعتبر آخرها بأولها"**[٢].

كان القصر في قوله (لم يبق منهم إلا آخر نفس) إذ أراد الإمام في عبارته أن يدب الإصرار في قلوب المقاتلين ويبين بداية هزيمة الأعداء، فاستخدم العامل الحجاجي القصر ب (لم...إلا) والذي كان له أهمية بالغة في صمود المقاتلين واستمرار عزيمتهم حتى يظفروا بأعدائهم.

وهناك عامل جديد هو التوكيد بالقصر، ركز عليه أمير المؤمنين(عليه السلام) في خطابه وهو يستنفر الناس لقتال معاوية **"عباد الله: مالكم إذا أمرتكم أن تنفروا في سبيل الله أثاقلتم إلى الأرض ! ..... لله أنتم ! ما أنتم إلا أسود الشرى في الدعة، وثعالب رواغة حين تدعون إلى البأس!"**[٣]

فالملفوظ (لله أنتم ! ما أنتم إلا أسود الشرى في الدعة) إنه عمل إنجازي يعتمده الإمام في توجيه المخاطب وجعله يسير في الاتجاه الذي يحدده ويرسمه الإمام " وبالنتيجة دفع المتلقي إلى إعمال الاستنتاج لديه، فالأقوال التي تتضمن هذه العوامل الحجاجية (أدوات القصر) في حقيقتها قائمة على ثنائية النفي والإثبات من إذ السلوك الحجاجي و الوجهة الحجاجية كما إنها تبين التعارض بين المعنى الإخباري و المعنى الحجازي"[٤]فما أراده الإمام عليه السلام هو استنفارهم للقتال من خلال ذكر ثنائية النفي والإثبات بالإضافة إلى التوكيد على فئة المخاطبين ، فضلاً عما

---

[١].البلاغة العربية علم المعاني ،وليد ابراهيم قصاب :١٦١.
[٢].وقعة صفين :٤٧٦.
[٣].جمهرة خطب العرب:٤٢٠.
[٤].رسائل الامام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة ،جبار الزبيدي ،مؤسسة علوم نهج البلاغة ،١٦٧

حملته هذه البنية من دلالة بيانية بصورة التشبيه البليغ الذي صور حالهم ب أبلغ تصوير فهم عند الغنائم أسود طماعة وعند البأس ثعالب رواغة .

ومما سبق : فإننا نتوصل إلى أهمية العوامل الحجاجية في اللغة عموما وفي خطب الجهاد عند الإمام خصوصا، وما لذكرها من عبر وفائدة في تغيير الدلالة اللغوية إلى دلالة حجاجية تحمل في مضمونها معان أخرى.

المبحث الرابع: الروابط الحجاجية:

تُعَد الروابط الحجاجية من الآليات الحجاجية الإقناعية التي تقود الخطاب نحو التأثير في المخاطب واستمالة تفكيره وإقناعه بما أريد إقناعه به ، من خلال أدوات ربط حجاجية تستعمل في الخطاب تعمل على الربط بين قضيتين تكون الأولى سببًا والثانية نتيجة لذلك السبب ، فتعطي الخطاب مزية إقناعية أكثر من غيره إذ يصبح المخاطب على بينة من الفكرة أو الأمر المراد إقناعه به ومن ثمَّ شد انتباهه لتلك القضية ، إذ تمتلك الروابط خاصية حجاجية إقناعية عندما تربط بين قضيتين في الخطاب ولها القدرة في إيصال دلالة النص إلى المخاطب ، فتكون من أهم الآليات الحجاجية التي يستعملها الخطيب للتأثير في المتلقي.

وبهذا فإن للروابط الحجاجية أهمية بالغة في اتساق وانسجام النص أو الخطاب بوصفها آليات لغوية تربط بين الحجج من جهة وبين المقدمات والنتائج من جهة أخرى.

والرابط الحجاجي هو كل وحدة لغوية تمكن من الربط بين قضيتين لتكوين قضايا مركبة، وهذه القضايا بدورها تشكل بنية النص الحجاجي وهو في جوهره، كما يرى ديكرو " بنية نصية وهنا يكون التركيز فقط على الجوانب اللغوية فقط، وذلك بالحديث عن الأدوات اللغوية التي تؤدي دورا حجاجيا ، وهي المفردات والأفعال والظروف والأسماء....الخ" .[1]

فمفهوم الروابط الحجاجية لا يقتصر على ربط المقاطع الخطابية بين الحجج والنتائج ، وإنما يصل الوحدات الدلالية التي يضفي عليها ضربا من التوجيه، والقوة الحجاجية الواصلة وهو ما جعل دراسة الروابط في الخطاب تهتم بالجانب التواصلي من الناحية الحجاجية والدلالية.

وعليه لا يكاد يخلو أي خطاب لغوي من الروابط الحجاجية؛ فهي سر الانسجام والتماسك ، و "لما كانت للغة وظيفة حجاجية، وكانت التسلسلات الخطابية محددة

---

[1]. آليات الحجاج في الخطاب السياسي للأمير عبد القادر نموذجًا : ٧٥.

بواسطة بنية الأقوال اللغوية، وبواسطة العناصر و المواد التي تم تشغيلها، فقد اشتملت اللغات الطبيعية على مؤشرات لغوية خاصة بالحجاج، فاللغة العربية مثلا تشتمل على عدد كبير من الروابط والعوامل الحجاجية التي لا يمكن تعريفها إلا بالإحالة على قيمتها الحجاجية. نذكر من هذه الأدوات: لكن، بل، إذن، حتى، لاسيما، إذ، لأن، بما أن، مع ذلك، ربما، تقريبا، إنما، ما، إلا....." [1].

وللروابط الحجاجية وظيفتان:

-الربط بين وحدتين دلاليتين أو أكثر.

-خدمة الدور الحجاجي للوحدات الدلالية التي تربط بينها .

ويمكن التمثيل لهذه الروابط بالأدوات التي أسهمت إسهاما فعالا في تأطير خطابات الإمام علي (عليه السلام) الجهادية بالخاصية الحجاجية، فقد احتوت هذه الخطب على مجموعة كبيرة من الروابط التي تميزت بدلالتها وأثرها الواضح في إظهار القيمة الحجاجية لتلك الأقوال و توجيه دلالة المحاجة.

لذلك سوف نعمد في هذا المبحث إلى إعطاء صورة مركزة و وافية لأهم الروابط الحجاجية التي تواتر ورودها والتمثيل لها بنموذجًات معتمدين على تفصيل العزاوي.

١-الروابط المدرجة للحجج:

تتصف مجموعة من الحروف بقدرتها على الربط المدرج للحجج ، إذ أن لها ابعادًا حجاجية من خلال ربطها بين الحجج والنتائج ، وهذه الروابط تندرج في بنية الخطاب من أجل التعليل والتفسير والتسويغ والاثبات . ومن الصيغ اللغوية التي تندرج في هذا النوع ما يصطلح عليها بألفاظ التعليل؛ " والتعليل تبيين الشيء

[1]. آليات الحجاج في الخطاب السياسي للأمير عبد القادر نموذجًا : ٧٥.

وتستعمل أدوات التعليل لتسويغ فعل أو تعليل له بناء على سؤال ملفوظ به أو سؤال مفترض" .[١]

ومن هذه الروابط الموظفة في خطب أمير المؤمنين (عليه السلام)نجد:

أ- الرابط الحجاجي "لام التعليل"

تفيد أن "ما بعدها غرض و علة غائية لإحداث ما قبلها فاللام قد تدخل على المصادر التي هي أغراض الفاعلين في أفعالهم....فكأنها دخلت على المصادر لإفادة أن ذلك الغرض من إيقاع الفعل المتقدم" [٢]ومن ذلك قول الإمام علي (عليه السلام) في يوم صفين: **"وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أرسله بالهدى والحق، ارتضاه لذلك ، وكان أهله، واصطفاه على جميع العباد لتبليغ رسالته، وجعله رحمة منه على خلقه"** .[٣]

فالإمام علي (عليه السلام) من خلال توظيفه لهذا الرابط (ارتضاه لذلك ، لتبليغ رسالته) حاول بيان وشرح الأسباب التي دفعت إلى إرسال الرسول الكريم للأمة كما ذكر سبب اصطفائه (صل الله عليه وآله) على سائر عباده، فالروابط الحجاجية في هذا الخطاب عملت على تحديد العلاقات الحجاجية بين الجمل أو القضايا الرامية إلى تحقيق الفاعلية الإقناعية.

وفي خطبة للإمام علي (عليه السلام) لما رأى ميمنته قد عادت إلى موقفها ومصافها، وقد كشف من بإزائها حتى ضاربوهم في مواقفهم ومراكزهم ، أقبل الإمام حتى انتهى إليهم فقال :

" فلولا إقبالكم بعد إدباركم وكركم بعد انحيازكم، وجب عليكم ما وجب على المولى يوم الزحف دبره، و كنتم فيما أرى من الهالكين، ولقد هون علي بعض وجدي،

---

[١].استراتيجيات الخطاب ،عبد الهادي الشهري :٨٠.
[٢]. أليات الحجاج في الخطاب السياسي للأمير عبد القادر نموذجا : ٧٨.
[٣].وقعة صفين :٣١٤.

وشفي بعض أحاح نفسي أني رأيتكم بأخرة حزتموهم كما حازوكم، و أزلتموهم كما أزالوكم، تحوزونهم بالسيوف ليركب أولهم آخرهم؛ كالإبل المطردة الهيم "[1]

وظف الإمام علي (عليه السلام) لام التعليل في قوله (ليركب أولهم آخرهم) فقد علل بها حال العدو بما رآه من الهزيمة التي لحقت بهم جراء قوة أصحابه وأنصاره مما أدخل الفرح على قلب الإمام (عليه السلام) فنلحظ كيف عللت اللام لما قبلها مما أسهم في الربط بين الحجج المطروحة ليتجه الخطاب نحو التأثير والإقناع .

ب .الرابط الحجاجي "حتى"

لها دور في ترتيب العناصر المشكلة للبنية حسب معانيها واستعمالها، فهي يمكن أن تكون عاطفة أو جارة ، وما يهمنا فيها التي لها علاقة بالحجاج، فهي التي تربط أو تتوسط دليلين، وتصل إلى تأكيد إحد الدليلين الذي يخدم في الأخير النتيجة التي يقصدها المتكلم، ولا يكون الربط أو الجمع بين الحجتين أو الدليلين إلا بتوفر ثلاثة شروط:

أولها أن القسم الأول من الكلام والذي سبق "حتى" يشكل حجة تخدم نتيجة معينة، وثانيها أن الحجة السابقة ل "حتى" واللاحقة لها يشتركان في الوجهة الحجاجية؛ أي أنهما يخدمان النتيجة نفسها، وثالثها أن الحجة التي تلي "حتى" تضيف طاقة حجاجية للحجة التي تسبق الرابط ولكن لا تكون أقوى منها.[2]

وبهذا نكون أمام بنية تعضد الحجة الحجة الأخرى وتؤكدها وتزيد من قدرتها الإقناعية وتصل إلى إقناع المتلقي بالكلام الذي يسرده المتكلم، ويحمل على الإذعان وكل ذلك بفضل ما يوفره هذا الرابط من قدرة على الجمع والربط بين الحجج التي تخدم نتيجة واحدة يسعى إلى تأكيدها المتكلم و إقناع المتلقي بها .

تكثر الحجج التي تربط بين السبب والنتيجة في كثير من الخطابات التي تتجه نحو التأثير والإقناع ؛ وذلك عندما ترد الحقائق إلى أسبابها تحتاج فعلًا حجاجيًا يجعل

---

[1]. **وقعة صفين :** ٢٥٦.

[2].**ينظر: الحجاج في الشعر العربي القديم ،سامية الدريدي :٣٣٥.**

تلك الحقائق أمورًا ثابتة وراسخة لا يمكن تبديلها ، وإنما تؤخذ مأخذ العقائد التي تضاف إلى الإيمان بقداسة الخطاب وعلو مكانته ، ومن أمثلة الربط ب (حتى) التي نجدها في خطب الإمام علي (عليه السلام) قوله:

"وقد ساقتنا و هؤلاء القوم الأقدار[الحجة] حتى لفت بيننا في هذا الموضع[النتيجة]" .[١]

"أفسدتم علي رأيي بالعصيان والخذلان[الحجة]، حتى لقد قالت قريش : إن ابن أبي طالب رجل شجاع، ولكن لا رأي له في الحرب[النتيجة] " .[٢]

"فتواكلتم وتخاذلتم[الحجة] حتى شنت عليكم الغارات [النتيجة]"[٣]

" لا تقاتلوا القوم[الحجة] حتى يبدؤوكم [النتيجة] " .[٤]

" فلا يكونن القوم على باطلهم اجتمعوا عليه وتُفَرقون عن حقكم[الحجة] حتى يغلب باطلهم حقكم[النتيجة] ".[٥]

" إن هؤلاء القوم لن يزولوا عن موقفهم دون طعن دراك يخرج منه النسيم ، وضرب يفلق الهام ، ويطيح العظام ، وتسقط منه المعاصم والأكف[الحجة] ،حتى تصدع جباههم وتنثر حواجبهم على الصدور والأذقان[النتيجة] .[٦]

فالناظر في هذه الأنموذجًات يرى أن "حتى" تقوم بإشراك الكلام اللاحق لها في حكم الكلام السابق لها، وتجعل غايتها الوصول إلى تأكيد النتيجة المتوصل إليها من خلال تأكيد الحكم بواسطتها ف"حتى" هنا ليست لمجرد جمع الحجج وضمها بل تأتي لإضافة الحجة على الحجج السابقة، فتزيد من تأكيد النتيجة وتشرك الحجة مع

---

(١). جمهرة خطب العرب : ٣٤٦.
(٢). م ن : ٤٢٩.
(٣). نهج البلاغة : ٩١.
(٤). وقعة صفين : ٢٠٣.
(٥). م ن : ٣١٤.
(٦). وقعة صفين : ٣٩٢.

الحجج السابقة في تأكيد حجتها، فهي تزيد من قوة الكلام أو الخطاب، وتجعله أكثر إقناعا وأبلغ حجاجا.

وبهذا نجد دور "حتى" الحجاجي يكمن في أنها تجمع الحجج وتشركها مع بعض في تعضيد النتيجة، وهو ما يجعل خطاب الإمام علي (عليه السلام)الجهادي أكثر إقناعا وحجاجا .

كما يبرز الرابط الحجاجي "حتى" مؤشرا حجاجيا في خطب الإمام علي (عليه السلام)، ويكتسب أهمية من علاقته الواضحة والقوية مع المعنى ، إذ إن دوره لا يقتصر على إضافة معلومة جديدة إلى سياق الجملة . ويتجلى هذا الرابط في قول الإمام علي (عليه السلام) في خطبته في حرب صفين عند كل لقاء للعدو **"لا تقاتلوا القوم حتى يبدؤوكم"**.[١]

إذ تم إدراج حجة جديدة (يبدؤوكم) تردف الحجة التي تسبقها (لا تقاتلوا القوم) وتساوقها ولكن تبقى الحجة التي يأتي بها الرابط "حتى" هي أقوى من الحجة التي تسبقها أي إن ما بعدها غاية لما قبلها، ولذا فإن "الحجة المربوطة بواسطة هذا الرابط ينبغي أن تنتمي إلى فئة حجاجية واحدة، أي إنها تخدم نتيجة واحدة، والحجة التي ترد بعد هذا الرابط تكون هي الأقوى، لذلك فالقول المشتمل على الأداة "حتى" لا يقبل الإبطال والتعارض الحجاجي".[٢]

فالرابط "حتى" في هذا الخطاب جاء من أجل تحقيق غايات حجاجية إقناعية .

٢-الروابط المدرجة للنتائج:

تفيد الروابط المدرجة للنتائج أن النتيجة تكون مدعمة بواسطة حجج، أي أنها تستخلص من الحجة المطروحة، وذلك بفضل الرابط الحجاجي، ومن هذه الروابط أحرف العطف (الواو -الفاء – ثم) ففضلا عن قيامها بالربط بين قضيتين لنتيجة

---

[١].وقعة صفين :٢٠٣.
[٢].الحجاج في اللغة ،ابو بكر العزاوي:٧٤.

واحدة ووصفها، فإنها تسهم في "إثبات المعنى من جهة وتضفي على الخطاب نوعا من التنظيم والانسجام من جهة أخرى".[١]

كما تخضع هذه الحجج إلى تراتبية معينة بحسب قوتها في دعم النتيجة النهائية، لذا سوف نحاول أن نبين عمل هذه الروابط في خطب الإمام علي (عليه السلام) وبيان مستوى دعمها لعمل المحاجة.

أ- **الواو:**

يعد الرابط (الواو) من أهم الروابط الحجاجية، ولا تقتصر وظيفته على الجمع بين حجتين فحسب، بل يستعمل حجاجيا بوصفه رابطًا عاطفيًا يعمل على ترتيب الحجج ووصل بعضها ببعض، كما يعمل على رص الحجج وتماسكها وتقويتها وعرضها في سلّمية لتحقيق النتيجة المرجوة، فالواو رابط حجاجي مدعم للحجج المتساوقة أو المتساندة، ويستعمل الواو حجاجيا وذلك بترتيب الحجج ووصل بعضها ببعض، بل تقوي كل حجة الحجة الأخرى.[٢] وتعمل على الربط النسقي أفقيا على خلاف السلم الحجاجي؛ إذ يقوم المحاجج بها بتكثيف الحجج على المتلقي ومن ثَمَّ العمل على إقناعه.

وفي هذا المورد سنبين عمل رابط حرف العطف "الواو" في خطب الجهاد للإمام علي (عليه السلام)و مدى مستوى دعمه لعلم المحاججة، ومن ذلك خطبته في الدعوة إلى الجهاد في صفين ، إذ يقول في مسار الخطبة **: " وأنتم أعلم الناس بحلاله وحرامه ، فاستغنوا بما علمتم ، واحذروا ما حذركم الله من الشيطان ، وارغبوا فيما أنالكم من الأجر والكرامة ، وأعلموا أن المسلوب من سلب دينه وأمانته ، والمغرور من آثر الضلالة على الهدى ".** [٣]

---

[١].الحجاج في كتاب المثل السائر لابن الاثير ،نعيمة يعمران ،الجزائر :٩٣.
[٢]. ينظر: أليات الحجاج السياسي للأمير عبد القادر نموذجا : ٧٩.
[٣]. وقعة صفين : ١١٣.

فنلحظ في هذا الخطاب كيف عمل الرابط (الواو) على الربط بين الحجج ، فهو رابط حجاجي مدعم للحجج المتساوقة أو المتساندة قام بالربط والوصل بين الحجج وعمل أيضا على ترتيبها بالشكل الذي يضمن تقوية الحجة المطروحة ودعمها وهي (العلم بالحلال والحرام)كما عمل على حصول الترادف داخل النتيجة الواحدة ، وهذا الربط النسقي بين الحجج قد أنخرط في سلمية تدرجية باتجاه الحجة الأقوى ، كذلك أستعمل الرابط الواو في هذا الخطاب على ترتيب الحجج ووصل بعضها ببعض ، فضلا عن ذلك تقوية كل حجة بالحجة الأخرى .

كذلك تعمل (الواو) على الربط النسقي أفقيا على خلاف السلم الحجاجي ، إذ يقوم المحاجج بها بتكثيف الحجج على المتلقي ومن ثمَّ العمل على إقناعه ، وفي هذا المورد سنبين عمل رابط العطف (الواو) في خطبة الإمام علي (عليه السلام) في بعض أيام صفين ، قائلا : **" معاشر المسلمين استشعروا الخشية، وتجلببوا السكينة، وعضوا على النواجذ فإنه أنبى للسيوف عن الهام، وأكملوا اللامة، وقلقلوا السيوف في أغمادها قبل سلها ، والحظوا ألخزر ، واطعنوا الشزر ، ونافحوا بالظبا ، وصلوا السيوف بالخطا ، واعلموا انكم بعين الله ، ومع ابن عم رسول الله [صل الله عليه واله وسلم]".**[1]

فنلحظ عمل الرابط الحجاجي (الواو) في الخطاب السابق على الربط والوصل بين الحجج وعمل على ترتيبها بالشكل الذي يضمن تقوية النتيجة المطروحة ودعمها ، إذ نلحظ في هذه الخطبة أنه نشأت علاقة وطيدة بين العطف والحذف وذلك على تقدير تكرار جزء من المعطوف عليه في الكلام فهناك ربط في النص بين الجمل غير واو العطف وقد أفاد منه الإمام في الإيجاز والاقتصاد اللغوي ؛ وهذا جعل المعنى مكثفًا فقوله : (معاشر المسلمين استشعروا الخشية ، معاشر المسلمين تجلببوا السكينة ، معاشر المسلمين عضوا على النواجذ) فكان الربط بالحذف واتصاله بالمرجع والثاني بالعطف بين الجمل، فنلحظ كيف تسلسلت الحجج بشكل متتالي

---

[1]. نهج البلاغة : ٥٧/١.

بواسطة (الواو) ومن ثمَّ عملت على تكثيف الحجج على المتلقي وهذا يزيد من قوتها الحجاجية وإقناع المتلقي بما أريد إقناعه به ما أفكار وأطروحات ، اما في قوله (ومع ابن عم رسول الله (صل الله عليه واله) يعني أن رايتهم راية هدى وإيمان ولا خوف عليهم لأنهم مع الحق وفي طريقة فنلحظ أثر الربط الحجاجي بوساطة الواو على تقوية حجة الخطاب من خلال الوصول الى النتيجة النهائية وهو ان جهادهم بعين الله ورايتهم راية هدى وحق .

ومن خصائص (الواو) الفاعلية والاستمرارية والمرونة، وهذا ما وجدناه في الخطب السابقة ، وهذا ساعد الإمام على تجسيد الواقع وجعل الخطاب أكثر مرونة، وتمثيلا للمعاني .

إن الخصائص السابقة ل (الواو) تجعل منه أكثر من مجرد رابط بين الجمل، فهو يربط الحجج بالنتائج، وهذا ما يجعلها أكثر إقناعا من خلال الربط وتتابعها، وبهذا يتضح أن توظيف (الواو) كان توظيفا حجاجيًا تداوليًا، فقد تداخل فيه معنى الربط والعطف بمعنى الإقناع ، فجعله رابطا حجاجيا قويا له دوره في ربط الحجج والوصول إلى النتائج، وبهذه الصورة الحجاجية وظف الإمام علي (عليه السلام) الرابط (الواو) في خطبه، وجعله خادما لغرضه، وهو إقناع المتلقي بفحواها.

ب-الفاء:

تعدُ الفاء من الروابط الحجاجية المهمة والتي لها أثر في تدرج الحجج وترتيبها بما يخدم العملية الحجاجية في بنية الخطاب ، إذ تعمل على ربط النتائج بالمقدمات من خلال الربط بين الحجة والنتيجة لأجل التعليل والتفسير ، فهي أداة ربط تفيد التعليل والاستنتاج في الخطاب الحجاجي التداولي ، ومن ثمّ فهي تجمع بين قضيتين غير متباعدتين في الدلالة على التقارب بين الاحداث ، وأكثر مجيئها كون ما بعدها أو المعطوف بها مسبباً عما قبله .[1]

[1]. ينظر : آليات الحجاج في الخطاب السياسي للأمير عبد القادر نموذجًا : ٨١.

ومن أمثلة توظيف هذا الرابط في خطابات الإمام علي (عليه السلام) خطبة الإمام علي(عليه السلام)لأصحابه في بعض أيام صفين يقدم لهم بعض التوصيات والتوجيهات في القتال **قائلا:" معاشر المسلمين استشعروا الخشية، وتجلببوا السكينة، وعضوا على النواجذ فأنه أنبى للسيوف عن الهام، وأكملوا اللامة وصلوا السيوف بالخطا ، واعلموا انكم بعين الله ... وعليكم بهذا السواد الأعظم، والرواق المطنب ، فاضربوا ثبجه[1] ، فإن الشيطان كامن في كسره " .[2]**

نلاحظ أن الفاء قد ربطت بين الحجة(وعليكم بهذا السواد الأعظم والرواق المطنب) والنتيجة (فاضربوا ثبجه) ، فكان ما بعدها من حجة قد عللت و فسرت النتيجة التي سبقت الرابط، فالجواب كان نتيجة الاستنفار إذ نجد أن الرابط (الفاء) قد عمل على الترتيب والمسارعة وتوالي الأحداث لأنه تلى جواب الإمام (عليه السلام) وأمره بسرعة ضرب وسط جيش العدو مباشرة بدون مهلة الأمر الذي عمل على زيادة قوة حجاجية الخطاب وإقناعه ، فأفادت (الفاء) التعقيب مباشرة خلافا لما تفيده الأداة (ثم) في إفادة الترتيب و التراخي.

لقد استعمل أمير المؤمنين(عليه السلام) خصائص (الفاء) التي يتميز بها من وجهين الأول: بوصفه حرف عطف، والثاني: بوصفه حرف جواب وجعلها تخدم غرضه في الخطاب ليجعله أكثر طاقة وإقناعا.

ولعل ما يُلاحظ على استعمال الإمام علي (عليه السلام)لهذا الرابط أنه في أغلب الأحيان يقرنه بالحروف الأخرى، فتشكل معها معانٍ جديدة تفيدها الحروف المقترنة بها، وهذا ما يزيدها قوة و إقناعا.

ومن الأمثلة على ذلك مما نجده في خطب الإمام علي (عليه السلام):

---

[1]. ثبجه : أي وسطه .(لسان العرب ، ج٢، ٢٢٠).
[2]. نهج البلاغة : ٥٧/١.

-"دعوتكم إلى غياث إخوانكم[الحجة] ، فتجرجرتم جرجرة الجمل الأشدق[النتيجة]، ثم خرج إليَ منكم جنيد متذائب، فأف لكم"[١]

-"وايتوا الأصوات[الحجة]؛ فإنه أطرد للغش، وأولى بالوقار[النتيجة]" [٢]

-"كان يظلم [الحجة] فيغفر[النتيجة]، ويقدر فيفصح ويعفو"[٣]

"لقد بلغني أنه كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة[الحجة]، فينتزع حجلها و قلبها[النتيجة]"[٤]

فنلحظ من خلال الأمثلة السابقة في الخطاب الجهادي قدرة الربط بوساطة (الفاء) على إضفاء مزية حجاجية إقناعية على الخطاب ، من خلال الربط بين السبب والنتيجة الذي يعمل على تجسيد المعنى وتوضيحه لدى المخاطب عن طريق التدرج في عملية الخطاب وإعطائه مرونة أكثر من غيره في إيصال المعنى ، وعلى سبيل المثال قول الإمام علي (عليه السلام) : **" دعوتكم إلى غياث إخوانكم[الحجة]، فتجرجرتم جرجرة الجمل الأشدق[النتيجة]".**

فمن الملاحظ إن السبب هو دعوة الإمام للناس إلى اخوانهم والقتال في سبيل الله ، فكانت النتيجة حتمية ومباشرة بعد دعوة الإمام من غير مهلة وهي أنهم تجرجروا جرجرة الجمل الأشدق في نصرة اخوانهم ، أي أنهم ليس لهم نية في القتال والنصرة وهذه كانت حجة الإمام عليهم في دعوتهم إلى القتال ، فنلحظ عمل الفاء في الخطاب كان مميزا وواضحا من خلال الربط بين السبب والنتيجة التي تكونت من ذلك السبب ؛لأجل بيان المعنى الذي يريد الإمام إيصاله إليهم ، وهذا زاد في حجاجية الخطاب عن طريق الترتيب ، إذ أعتمد الإمام هنا على ترتيب الأحداث ترتيبا زمنيا من خلال استخدام الترابط التتابعي والذي بدوره تميز عن غيره من الترابطات المنطقية الأخرى بخاصية الترتيب الزمني فهو الأساس فيه .

---

(١). تاريخ الطبري : م٦/٦١.
(٢). وقعة صفين : ٢٣٥.
(٣). م ن : ٣١٤.
(٤). نهج البلاغة : ١/ ٩٠.

ومن مصاديق الربط ب (الفاء) في خطب الجهاد خطبة الإمام علي (عليه السلام) بصفين في التحريض على القتال ، **فقال : " إن الله عز وجل قد دلكم على تجارة تنجيكم من العذاب ، وتشفي[١] بكم على الخير إيمان بالله ورسوله وجهاد في سبيله ؛ وجعل ثوابه مغفرة الذنوب ، ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ، فأخبركم بالذي يحب فقال : " إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص "[٢] . فسووا صفوفكم كالبنيان المرصوص وقدموا الدارع ، وأخروا الحاسر ، وعضوا على الأضراس ، فإنه أنبى للسيوف عن الهام ، وأربط للجأش ، وأسكن للقلوب ، وأميتوا الأصوات ، فأنه أطرد للفشل، وأولى بالوقار" .[٣]**

من خلال هذه الخطبة نلحظ كيف عملت (الفاء) في قوله **" كأنهم بنيان مرصوص[السبب] فسووا صفوفكم كالبنيان المرصوص[النتيجة] "** على الربط الحجاجي بين السبب والنتيجة ، فقد عملت على ترتيب الحجج وربط النتائج بالمقدمات ، فهي بذلك تقوم أساسا على التتابع ، ولذا تعد هذه العلاقة الحجاجية – التي تقوم على التتابع – من أقدر العلاقات التي تفيد في بناء النص وتوالده وانسجامه ، فهي في الخطاب السابق عملت على الربط بين الأحداث ، مما يجعل الفعل الحجاجي عند المتلقي مقنعاً ، ومن ثمَّ تسهم في توجيه سلوكه لأنها ضرب مخصوص من العلاقات التتابعية يحرص فيه المحاجج على ربط الأحداث والأفكار ربطاً سببياً فيتولد عن ذلك استدلال مباشر للنتيجة .

إن هذه الأمثلة توضح أن استعمال (الفاء) مرتبط بخصائصها المميزة لها، كما ذكرنا سابقا، فهي تربط وتعطف الجمل على بعضها البعض، وتفيد أمورًا أخرى كالترتيب والتعقيب والسببية.

---

[١]. أشفى على الشيء : أشرف عليه(لسان العرب ، ج٩، ١٨٥) .
[٢]. سورة الصف : آية ٤.
[٣]. وقعة صفين : ٢٣٥.

وكل هذه المعاني تزيد الكلام طاقة وقوة حجاجية، وتجعل منه خطابا حجاجياً يستطيع المتكلم أو المحتج أن يقنع به المتلقي ، وكون دور (الفاء) لا يقتصر على الربط فقط، بل يفيد معان أخرى كالترتيب والتعقيب والسببية يجعلها تتبوأ مكانة مهمة في العملية الحجاجية و الإقناعية ككل.

ج- ثم:

الرابط الحجاجي (ثم) هو أيضا من حروف العطف التي تفيد التراخي والمهلة بين قضيتين متباعدتين، فضلا عن إفادتها الترتيب بين الحجج.

وقد وردت في خطاب الإمام علي عليه السلام بعد أن أبدى هاشم بن عتبة رأيه في متابعة القتال يوم صفين فدعا له بالشهادة ثم قال: **"إن الله أكرمكم بدينه، وخلقكم لعبادته؛ فانصبوا أنفسكم في أداء حقه، وتنجزوا موعده، واعلموا أن الله جعل أمراس الإسلام متينة، وعراه وثيقة، ثم جعل الطاعة حظ الأنفس برضا الرب، وغنيمة الأكياس عند تفريط الفجرة"**[1]

فحقيقة (ثم) في هذا الملفوظ ؛هو أيضا من حروف العطف التي تفيد التراخي والمهلة للربط بين المعطوف والمعطوف عليه، غير أن هذه المهلة التي إقتضاها القول قد لا ترتبط بالزمن الحقيقي الفعلي، بل ترتبط بزمن نفسي قد يطول وقد يقصر بحسب واقع الحال، وقد أفادت هنا التعزيز أكثر من العطف لأن ما جاء بعدها كان المعنى الأقوى والحجة الأبلغ التي تفحم و لا تدع مجالا للمحاججة لدى المتلقي. لذلك أفادت ثم التراخي والفترة بين الفقرات ومعانيها وذلك أن بعد خلق الله وإرسال الرسل والمجيء بالأديان جعل الحظوة بطاعة الله والإيمان به وهي غنيمة العقلاء .

ث-إذا: هي ظرف لما يستقبل من الزمان متضمنة الشرط ، فهي بتضمنها معنى الشرط تكسب الجملة نوعا من الاقتضاء، إذ إن فعل الشرط يقتضي جوابا والتسليم

---

[1] .وقعة صفين :١١٣.

بجملة الفعل يقود حتما إلى التسليم إلى جملة الجواب، وهذا ما يريده الإمام علي (عليه السلام) من الخطاب الجهادي بصورة البنية الشرطية التي وظفها في خطبته عندما أغار الضحاك بن قيس على الحيرة ، فأستصرخ الناس ، فتقاعدوا عنه فقام فيهم خطيبا فقال **: " أيها الناس المجتمعة أبدانهم ، المختلفة أهوائهم ، كلامكم يوهي الصم الصلاب ، وفعلكم يطمع فيكم الأعداء ، تقولون في المجالس كيت وكيت ، فإذا جاء القتال قلتم حيدي حياد ".**[1] والمتأمل في الملفوظ الحجاجي **" إذا جاء القتال قلتم حيدي حياد "** يلحظ مباشرة الاقتضاء بين فعل الشرط وجوابه، فهو يقتضيه ويجبر بذلك المتلقي على قبوله والإذعان له وتكون مؤكدة للجواب أو الحكم فيجعلها أكثر إقناعا وأقوى حجاجا ، أما في معنى ذلك القول يقول ابن أبي الحديد في شرحه أن لفظة **(حِيدي حَيادِ)** هي : " كلمة يقولها الهارب الفار من الحرب ، وأصلها من حاد عن الشيء ، أي انحرف ، وحيادِ ، مبنية على الكسر "[2] ، والمعنى أنه إذا جاء القتال فررتم منه إذ إن قولكم شيء وفعلكم شيء أخر ، وهو أشبه بعمل المنافق الذي يظهر خلاف ما يبطن .

٣-روابط التعارض الحجاجي:

يعمل هذا النوع من الروابط على نفي الكلام و إثبات غيره، والروابط التي تمثلها (بل _ لكن)

أ- بل :

هي "من الحروف الهوامل، ومعناها الإضراب عن الأول و الإيجاب للثاني"[3] ، وهي من حروف العطف أيضا وبوصفها كذلك ذكرها الإمام علي (عليه السلام) في خطبته الجهادية عندما أغار (سفيان بن عوف الغامدي) على الأنبار وقتلوا عامل الإمام عليها واحتملوا ما فيها من أموال، إذ قال يستنفر أتباعه ويحثهم على الجهاد غاضبا من تقاعسهم محرضا لهم بذكر ما اقترف سفيان وجنوده من أعمال في حق

---

[1]. نهج البلاغة : ج٣٩/١.
[2]. شرح نهج البلاغة ، ابن ابي الحديد ، م١،ج٢ : ١١١-١١٢.
[3].معاني الحروف ،علي بن عيسى الرماني ،ط١ :٧١.

أهل الأنبار: **"والذي نفسي بيده، لقد بلغني أنه كان يدخل على المرأة المسلمة، والأخرى المعاهدة، فينتزع حجلها وقلبها، وقلائدها ورعاثها، ما تمتنع منه إلا بالاسترجاع والاسترحام، ثم انصرفوا وافرين، ما نال رجلا منهم كلم، ولا أريق لهم دم؛ فلو أن امرأ مسلما مات من دون هذا أسفا، ما كان عندي فيه ملوما، بل به عندي جديرا"**[1] .

فبالملفوظ **"ما كان عندي فيه ملوما، بل كان به عندي جديرا"** نجد أن حجاجية "بل" تكمن في أن المرسل يستطيع نفي الكلام السابق وإثباته للكلام اللاحق لها، ويستطيع أن يرتب بها الحجج في السلم الحجاجي فتترتب بعضها فوق بعض حسب درجتها و قوتها لأن بعضها منفي والآخر مثبت.

إذ نفى الإمام أن يلام المسلم الذي يموت أسفاً على سبي النساء المسلمات والمعاهدات وأذيتهن فهو غير ملام عند الإمام بل هو صاحب نخوة وحمية ، وأثبت بالمقابل مدى جدارته و شجاعته ، إذ أن الإمام كان يستنهض فيهم الغيرة والحمية ليجاهدوا هذا العدو .

أما في خطبة الإمام علي (عليه السلام) في النخيلة عندما كان يستنفر القبائل من أهل الكوفة ووجوه الناس ، فحمد الله وأثنى عليه **ثم قال : " يا أهل الكوفة ، أنتم إخواني وأنصاري وأعواني على الحق ، وصحابتي على جهاد عدوي المحلين ، بكم أضرب المدبر ، وأرجوا تمام طاعة المقبل ، وقد بعثت إلى أهل البصرة فاستنفرتهم إليكم ، فلم يأتني منهم إلا ثلاثة آلاف ومائتا رجل ، فأعينوني بمناصحة جلية خلية من الغش ، إنكم مخرجنا إلى صفين ، بل استجمعوا بأجمعكم "** [2]

نلحظ أن الإمام علي (عليه السلام) في ملفوظ **" إنكم مخرجنا الى صفين ، بل إستجمعوا بأجمعكم "** قد امر القبائل بإستجماع قواها من العدة والعدد ، فجاءت

---

[1]. نهج البلاغة ،١/ ٩٠.
[2]. تاريخ الطبري : م٤/ ٤٥.

الجملة استئنافية بعد الرابط (بل) التي عملت على تقوية حجة الخطاب ، فهو لا يعمد إلى استعمالها كحرف عطف يفيد الإضراب والتي يليها مفرد، بل نجده يستعملها في صورتها الثانية والتي تليها جملة ؛لأنها أوسع مجالا وأوضح حجاجيا "فدورها الحجاجي يكمن في توجيهها للخطاب برمته فهي تنفي الكلام الأول وتقضيه تماما لتثبت الكلام الذي بعدها، وهذا هو عملها الذي جعلها من أقوى الأدوات حجاجيا" [١]، فهي بهذه الحالة حرف ابتداء يفيد الإضراب واستئناف الكلام بعدها، فتجعل الذي بعدها أقوى حجاجا و إقناعا وتثبت له الحكم بعد أن تنفيه عما قبلها، فتجعل المتلقي يقتنع بالحجة التي يضعها المحتج في خطابه للتدليل على حجة أقواله وآرائه.

ب- لكن :

لها حضور كبير في العملية الحجاجية ؛ وذلك من خلال أنها تحمل معنى التناقض فهي تشترك مع "بل" و "حتى" في إثبات القطع مع ما يسبقها أو تنفيه من جهة، وإثبات ما يلحقها وتؤكده من جهة ثانية، فحضورها في موضع معين من الخطاب يظهر أن هناك خلافًا و يؤكد فكرة التناقض فدخولها في أي بنية يجعل الكلام السابق لها، واللاحق حجتين متناقضتين تخدم كل حجة نتيجة معينة، وفي تناقضهما تأكيد لنتيجة يريد تأكيدها المتكلم.

وبالعودة إلى كل معنى "لكن" نجد أنها "حرف استدراك ومعنى الاستدراك أن تنسب حكما لاسمها يخالف المحكوم عليه قبلها، كأنك لما أخبرت عن الأول بخبر خفت أن يتوهم من الثاني مثل ذلك، فتداركت بخبره، إن كان سلباً وإن إيجاباً" [٢]

وبالنظر إلى خطب الإمام علي (عليه السلام) في الجهاد نجده قد استعمل هذا الرابط، ولكنه جمعه مع الواو، وربما ذلك راجع لكونه عليه السلام يربط الأقوال بعضها ببعض ويستدرك عليها بالإحكام، فيكون بذلك معنى الاستدراك، وهو ما يوفر الجمع بين الحجج للوصول إلى النتائج التي يريدها ومن أنموذجًات ذلك

---

[١].الحجاج في الشعر العربي القديم ،سامية الدريدي :٣٥١.
[٢].الجنى الداني في حروف المعاني ،الحسن بن قاسم المرادي:٣٤٩.

خطبته بعد أن أغار سفيان بن عوف الغامدي على الأنبار، قائلا: **"قاتلكم الله! لقد ملأتم قلبي قيحا، وشحنتم صدري غيظا، وجرعتموني نُغب[1] التهام أنفاسا، وأفسدتم عليَ رأيي بالعصيان والخذلان، حتى لقد قالت قريش: (إن ابن أبي طالب رجل شجاع، ولكن لا علم له في الحرب)! لله درهم! ومن ذا يكون أعلم بها مني، أو أشد لها مراسا؟ فو الله لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين، ولقد نيفت اليوم على الستين ،ولكن لا رأي لمن لا يطاع [2] "** [3] فالملفوظ في النموذج يكمن في :"**إن ابن أبي طالب رجل شجاع، ولكن لا رأي له في الحرب"**. وقوله **"لقد نيفت اليوم على الستين، ولكن لا رأي لمن لا يطاع"** .

قام الرابط "لكن" بالجمع بين الحجج وبعدها قام بإثبات الأقوال التي جاءت بعده ونفي الأقوال التي تسبقه، ففي الملفوظ الأول نفت قريش أن يكون للإمام أي علم في الحرب وأثبت شجاعته ، أما الثاني نفت خبرته مع أن عمره قارب الستين وأثبت أن لا رأي له لعدم طاعة أنصاره له، فهي إذا توسطت بين حجتين بوصفها رابطًا حجاجيا جعلت الدليل الذي وراءها أقوى من الدليل الذي سبقها، فتكون بذلك الحجة التي تليها أقوى حجاجيا من الحجة التي تسبقها، فتقوم بتوجيه النتيجة في الوجهة التي تثبتها الحجة الثانية وتوجه الحديث برمته، وتكون هي النتيجة المقصودة من طرف المتكلم أو المحتج، إما قول الإمام (لا رأي لمن لا يطاع) فأن أول من قالها هو الإمام علي (عليه السلام) وأصبحت تجري مجرى الحكم والأمثال .

وأيضا من مصاديق الربط الحجاجي ب (لكن) كلام الإمام علي (عليه السلام) لما أرسل عبد الله بن عباس إلى الزبير قبل وقوع الحرب يوم الجمل ليستفيئه إلى طاعته ، **قائلاً:" لا تلقينَ طلحة ، فإنكَ إن تَلقهُ تجده كالثور عاقصاً قرنه ، يركبُ**

---

(1). النغب جمع نغبة: وهي الجرعة (لسان العرب ، ج١٤/١٧٦).
(2). وهذه الكلمة جرت مجرى الامثال الى الان .
(3).نهج البلاغة ،١ /٩٢.

الصعب ويقول : هو الذلول ؛ ولكن ألقِ الزبير ، فإنه ألين عريكة ، فقل له : يقول لك أبن خالكَ : عرفتني بالحجاز ، وأنكرتني بالعراق ؛ فما عدا مما بدا ! "[1]

في هذا الخطاب نرى كيف عمل الرابط الحجاجي (لكن) على الربط بين حجتين متناقضتين ، فعملت (لكن) على نفي الكلام السابق لها في قوله (لا تلقين طلحة) وحجة الإمام في هذا النفي إنك تجد طلحة كالثور عاقصاً قرنه ومعناه " أي قد عطفه ، ويقال تيس أعقص ، أي قد ألتوى قرناه على أذنيه ، وإنما يقال : عقص الرجل بالكسر ، إذا شح وساء خلقه ، فهو عقص "[2] وهو المراد في هذا الخطاب ، وفي المقابل عملت على إثبات الكلام اللاحق لها في قوله :(ولكن ألقِ الزبير) وحجة الإمام في ذلك إن الزبير سهل لين التعامل ، يقال : فلان لين العريكة ، إذا كان سلساً ، فنلحظ قوة حجاجية الربط ب (لكن) فقد نفت الكلام السابق وأثبتت الكلام اللاحق وجعلته أقوى من الحجة الأولى ، وهو ما يزيدها إقناعًا وتأثيرًا في المخاطب ، إما قول الإمام في نهاية خطابه :**(فما عدا مما بدا!)** فيقول الشريف الرضي رحمه الله : " إن الإمام علي (عليه السلام) أول من سُمِعَتْ منه هذه الكلمة – أعني: (فما عدا مما بدا) "[3] وهذه أيضا تعد حجة في تأكيد الخطاب ، وقد جرى هذا القول مجرى الحكم والأمثال إلى يومنا هذا .

وعلى هذا نرى أن الدور الذي تقوم به "لكن" ليس مجرد الربط أو الجمع بين الحجج والنتيجة بل لها دور في توجيه القول ، وجعلها في خدمة النتيجة التي يسعى لإثباتها المتكلم أو المحتج؛ وذلك من خلال إثبات إحدى الحجتين ونفيها للأخرى، فتجعلها بذلك أقوى من الأخرى، وبذلك تكون أقنع لدى المتلقي.

روابط الإثبات الحجاجي "إنَّ":

تعد من الروابط الحجاجية التي تفيد التوكيد والإثبات ، فتكون بذلك آلية فعالة في الحجاج بما تقوم به من توكيد إثبات للأمور والقضايا والحجج، فيحصل بذلك

---

[1]. نهج البلاغة ،١ / ٩٩.
[2]. شرح ابن ابي الحديد ، م١، ج٢ : ١٦٢.
[3]. م ن ، م١، ج٢ : ١٦٢.

الإقناع، إذ يتم تأكيد حجة من الحجج الأمر الذي يترك أثرا في نفس المخاطب، ومن هنا تظهر أهمية هذا الرابط في الربط بين السبب والنتيجة، وذلك بتعليل النتائج، فتحمل المخاطب على القبول والإذعان لها ومن ثم الاقتناع بها.[١]

وبهذا السياق نجد الإمام علي (عليه السلام) قد استعملها في خطابه بعد أن استصرخه محمد بن أبي بكر لما سير معاوية عمرو بن العاص مع جيش إلى مصر، فقام أمير المؤمنين في الناس، وقال: **"عباد الله: إن مصر أعظم من الشام، أكثر خيرا، وخير أهلا، فلا تغلبوا على مصر، فإن بقاء مصر في أيديكم عز لكم، وكَتٌ لعدوكم، اخرجوا إلى الجرعة بين الحيرة والكوفة، فوافوني بها هناك غدا إن شاء الله"**[٢]

في قوله (**إن مصر أعظم من الشام ،فإن بقاء مصر في أيديكم عز لكم**) الإمام (عليه السلام) استعمل التوكيد ؛ لأنه أراد إن يؤكد الحجج التي قدمها، ويعمل على أثباتها في ذهن السامع من خلال صيغة الأمر التي تحمل دعوة يجب الامتثال لها، ومن هنا تتضح علاقة التوكيد بتقوية حجية الخطاب ؛ لأنها تهدف إلى توجيه المخاطب إلى سلوك معين .

وبما أن الإمام علي (عليه السلام) توافرت فيه شروط القوة والسلطة، فإن توكيده له تأثير مباشر على المتلقي إذ يخضعه إلى قبول حججه دون نقاش.

وقد أعاد الإمام (عليه السلام) التوكيد مرة أخرى إلا أنه في هذه المرة جعله مقترنا ب (الفاء) وفي هذا حجة أخرى على أهمية مصر.

وبالأسلوب نفسه وجه الإمام علي (عليه السلام)خطبة إلى أنصاره يحرضهم على الجهاد: **"إن الله قد دلكم على تجارة تنجيكم من العذاب، وتشفي بكم على الخير.**

---

[١].ينظر: الحجاج في القران من خلال خصائصه الاسلوبية ،عبد الله صولة :٢١٥.
[٢].تاريخ الطبري : م٦/٦١.

إيمان بالله ورسوله، وجهاد في سبيله؛ وجعل ثوابه مغفرة الذنوب، ومساكن طيبة في جنات عدن، ورضوان من الله أكبر"[1]

فالتوكيد كانت وظيفته في ملفوظ **"إن الله عز وجل قد دلكم على تجارة تنجيكم من العذاب"** هي تثبيت الحجج المقدمة على ضرورة الجهاد وإنه أعظم تجارة عند الله وفيه نجاة من العذاب وثوابه المغفرة وهذه من المقدمات الحجاجية التي طرحها الإمام في سبيل ترغيب أنصاره إلى الجهاد و في سبيل إعلاء كلمة الله.

ومما سبق نجد: أن الوظيفة المحورية للروابط الحجاجية، دخولها في إطار كيفية تجاوز مضمون الخطاب الثابت، إذ لا تكتفي بنظام اللغة في الخطاب والتواصل فقط، وإنما تفرض قيودا دلالية على التأويل.

والروابط الحجاجية تعد من العناصر والمؤشرات الفعالة في توجيه وتقوية الحجج الكامنة في بنية الأقوال اللغوية، إذ تسهم هذه الروابط اللغوية في انسجام الخطاب و تماسكه من خلال ربطها بين القيمة الحجاجية لقول ما ، وبين النتيجة ؛ أي الربط بين قضيتين وترتيب أجزاء القول و منحها القوة المطلوبة بوصف هذه القضايا حججا في الخطاب.

---

[1].وقعة صفين :٢٣٥.

المبحث الخامس: السلالم الحجاجية:

تُعَد السلالم الحجاجية من آليات الحجاج وتقنياته الإبداعية التي توجه الخطاب نحو التأثير والإقناع إذ تعمل على استمالة المخاطب وشدّ انتباهه من خلال التدرج في سرد الحجج أما تصاعديًا أو تنازلياً بحسب القوة او الضعف وبحسب حال المتلقي للخطاب ، كأن يكون لدية شك أو انكار فيحتاج البدء بالحجج القوية والعكس صحيح فتكون اللغة هنا عبارة عن وسيلة إقناع وتأثير ، إذ يُعد التدرج في الكلام من أكثر ما يميز الخطاب الحجاجي، ويجعل الحجج محققة مداها الأبعد نحو المطلوب، ومن هذا المنطلق جاء البحث راسما الأبعاد الإقناعية التي صنعها السلم الحجاجي في خطب الجهاد عند الإمام علي (عليه السلام).

إن ما يبتغيه المتكلم من خطابه هو جعل الطرف الآخر آخذاً بما أملاه عليه من حجج تحقق له النتيجة التي يرمي إليها،؛ لذلك يسعى إلى ترتيب حججه بصورة تدريجية إما صعوداً وإما نزولاً وأحياناً تراكما بحسب السياق الذي يفرضه المقام، فبسبب اختلاف وجهات النظر لدى المتكلمين يختلف بناء السلالم الحجاجية، فقد يبدأ المتكلم بالحجج القوية أولاً نزولاً إلى الأضعف أو العكس؛ لأن ترتيب الحجج في السلم الحجاجي والمفاضلة بينهما في القوة يعود إلى رؤية المتكلم فقد تنزل الحجة الواحدة إلى أسفل السلم تبعا لوجهة نظر معينة في حين ترتقي إلى أعلاه وفقاً لوجهة نظر أخرى إذ يمكن ترتيب هذه الحجج بالنظر إلى طبيعتها بشكل يعلو بعضها على البعض الآخر أو العكس حينما تستدعي نتيجة معينة، وهذا نابع من قوتها التي تتفاوت من إذ التبليغ والتأثير .[1]

وقد عد الباحثين أن هذا التدرج في السلم تدرجا منطقياً يسهم في نفي الخضوع لمنطق الصدق والكذب ، في حين أكد العزاوي أن أبرز سمات الحجج اللغوية هي

[1] **.ينظر : السلالم الحجاجية في كلام الإمام الحسن (عليه السلام) للدكتور مزاحم مطر حسين والباحثة مروة حسين كاظم ، مجلة كلية التربية ، جامعة بابل ، ع ٤١، ٢٠١٨: ١-٢.**

أنها نسبية وقابلة للإبطال ، فالحجاج اللغوي ليس كالمنطق الرياضي والبرهان الذي تكون نتائجه حتمية مطلقة بل هو حجاج تدرجي يحكمه السياق [١].

وفي هذا التدرج تكمن أهميته التي " يقوى عبرها الخبر أو يخرج بمقتضاها القول من مقام الخبر إلى مقام الحجة"[٢] فهذه التدريجية في الخطاب غالباً ما تظهر في مواقف المرسل واتجاهاته عبر الملفوظات النصية، فبالنتيجة تترتب هذه الحجج بناء على تنظيم الأقوال التي سبقت النتيجة "لتكون الأقرب إلى النتيجة المقصودة من الخطاب"[٣].

ويتخذ التسلسل الحجاجي الصور الآتية:

أ- سلم الحجج التصاعدية:

على وفق هذا النوع من السلالم الحجاجية، فإن المتكلم يبدأ بإيراد حججه تصاعديا أي من الحجة الضعيفة فالقوية ثم الحجة الاقوى، بمعنى أن الحجج في هذا النمط من السلالم يمكن تصنيفها بأنها نوع من مؤكدات الخطاب لأن الغاية وراء استعمال هذا النوع من الحجاج هو السعي إلى ترسيخ دلالة هذه الحجج في ذهن المخاطب، وبما أن الحجاج ينطلق من أسفل السلم[٤] ف "غالباً ما تكون الحجة الأولى المطروحة في الخطاب مهيأة للمتلقي ومحفزة لذهنه على التواصل والمتابعة لما سيأتي بصورة تصاعدية على وفق قوتها لاستمالة المتلقي وإذعانه "[٥] وهذا ما لوحظ في بعض كلام الإمام علي (عليه السلام) الهادف إلى تسليم المتلقي بهذه الحجج والأخذ بها، ومن ذلك خطبة الإمام علي (عليه السلام) حين بلغه مقتل محمد بن أبي بكر[٦] ، فحزن عليه حتى رئي ذلك في وجهه ، وقام في الناس خطيبا ، فحمد الله وأثنى

---

(١).ينظر: السلالم الحجاجية في كلام الإمام الحسن (عليه السلام) : ٢.
(٢).في حجاج النص الشعري ،محمد عبد الباسط عبد:٢٤.
(٣).السلالم الحجاجية في شعر احمد الوائلي ،عايد جدوع حنون:٨٥.
(٤). ينظر : السلالم الحجاجية في كلام الإمام الحسن (عليه السلام) : ٢.
(٥).اسلوبية الحجاج التداولي ،مثنى كاظم صادق :١٢٣.
(٦). محمد بن ابي بكر بن ابي قحافة ، ولد في حجة الوداع وقتل بمصر سنة ثمان وثلاثين من الهجرة في خلافة الإمام علي (عليه السلام) وكان عاملا عليها من قبله .(رجال الطوسي ، للشيخ الطوسي (٤٦٠هـ) تحقيق جواد القيومي الاصفهاني ، مؤسسة النشر الاسلامي – قم المقدسة ، ط١، ١٤١٥هـ: ص ٤٩)

عليه وصلى على رسوله (صل الله عليه واله وسلم) وقال : **" ألا ان مصر قد افتتحها الفجرة أولوا الجور والظلم ..... وأني قد دعوتكم إلى غياث أخوانكم منذ بضع وخمسين ليلة ، فتجرجرتم جرجرة[1] الجمل الأشدق ، وتثاقلتم إلى الأرض تثاقل من ليس له نية في جهاد العدو ، ولا إكتساب الأجر ، ثم خرج إلي منكم جنيد متذائب [2]كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون ، فأف لكم ..... "** [3].

فبدأ الإمام يطرح حججه الواحدة تلو الأخرى تصاعديا مستعيناً ببعض الروابط التي توجه تلك الحجج من قبيل (الفاء-الواو-ثم-إنما) إذ يلوم ويوبخ الناس لعدم نصرة أخوانهم من أهل مصر وتقاعدهم عن القتال ، ونتيجة ذلك قتل عامل الإمام علي (عليه السلام) محمد بن أبي بكر ، كل ذلك بأسلوب تدرجي تقدم فيه الحجج بشكل متسلسل على مستوى الأحداث، ولو وضعنا تلك الحجج في السلم تكون بالشكل الآتي:

- فأف لكم

- كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون

- ثم خرج إلي منكم جنيد متذائب

- وتثاقلتم إلى الأرض تثاقل من ليس له نيه في جهاد العدو ولا إكتساب الأجر

- فتجرجرتم جرجرة الجمل الأشدق

- دعوتكم إلى غياث أخوانكم منذ بضع وخمسين ليلة .

إذ بدأ ب (دعوتكم) وهي الحجة الواقعة في أسفل السلم التي أدت إلى فعل (تجرجرتم) بواسطة الرابط (الفاء الرابطة لجواب الشرط)ثم جمعت معها بالرابط

[1]. الجرجرة : صوت يردده البعير في حنجرته واكثر ما يكون ذلك من الاعياء والتعب .
[2]. جنيد : تصغير جند ، متذائب : مضطرب ، ومنه سمي الذئب ذئبا لاضطراب مشيته .
[3]. تاريخ الطبري : م٦ / ٦٢.

(الواو) الحجة (وتثاقلتم إلى الأرض) ثم بعد زمن يسير من التثاقل والتهاون (خرج إلي منكم جنيد متذائب) إذ ربطت هذه الحجة بما قبلها بواسطة (ثم) التي دلت على التراخي، والتي قادت مباشرة إلى ما بعدها (يساقون إلى الموت وهم ينظرون) المسبوقة ب (إنما) التي خدمت الحجة بدلالتها القصر التي تنفي ما قبلها وتثبت الحجة التي بعدها ، فكانت أقوى من الحجة التي سبقتها، فالحجة التي ترد بعد الرابط أقوى من الحجة التي قبله ليكرر استخدامها متصاعدا في الحجج ليصل في النهاية إلى قوله(فأفٍ لكم) الذي سبق بالفاء بدلالتها الترتيب مع التعقيب لتمثل الحجة الأكبر والدليل الأقوى على استياء الإمام علي(عليه السلام)من الناس وغضبه عليهم لعدم نصرتهم اخوانهم من اهل مصر وتقاعدهم عن القتال .

وفي كلام للإمام علي (عليه السلام) في خطبته الجهادية بعد أن أغار سفيان بن عوف الغامدي [1]على الأنبار و قتل عامل الإمام علي(عليه السلام) عليها وهو حسان بن حسان البكري، ونهبوا أموالها إذ قال :

"لقد ملأتم قلبي قيحا، وشحنتم صدري غيظا، وجرعتموني نغب التهام أنفاسا ،وأفسدتم علي رأيي بالعصيان و الخذلان ، حتى لقد قالت قريش : إن ابن أبي طالب رجل شجاع ولكن لا علم له في الحرب....." .[2]

إذ أنتج الخطاب سلّما تصاعديا رتب بالشكل الآتي:

- ولكن لا علم له بالحرب

- إن ابن أبي طالب رجل شجاع

- حتى لقد قالت قريش

-أفسدتم عليه رأيي

[1].الضحاك سفيان بن عوف بن كعب بن ابي بكر من بني غامد قبيلة من اليمن من أزد شنوءة ، بعثه معاوية لشن الغارات على أطراف العراق (الإكمال في أسماء الرجال ، للخطيب التبريزي، ص ١١٣).
[2]:نهج البلاغة :١ :٩٠.

-جرعتموني نغب التهام

-شحنتم صدري غيظا

-ملأتم قلبي قيحا

يصرح الإمام علي (عليه السلام) في هذا النص الحجاجي عن استيائه وسخطه من القوم ، وقد جاء بأسلوب تدرجي يبتغي منه تعريف الناس بشدة سخطه عليهم بسبب تقاعسهم وتهاونهم .

ويبدأ أمير المؤمنين(عليه السلام) بعد ما أصابه من أذى بسبب تخاذلهم عن الجهاد (ملأتم قلبي قيحا) متنقلا إلى الحجة الثانية (شحنتم صدري غيظا) ثم الحجة الثالثة (جرعتموني نغب التهام أنفاسا) وبعدها الحجة الرابعة بواسطة (الواو) التي تجمع "بين حجتين لهما نفس التوجه الحجاجي"[١] ومنها وصل إلى أعلى السلم بواسطة الرابط (حتى الغائية) التي تعد من أدوات السلم الحجاجي و تتسم الحجج الواقعة بعدها بأنها الأقوى، وبذلك وصل إلى غايته من خطابه إذ نقل للمتلقي أن قريش تناولته بسبب تقاعس أصحابه عن الجهاد وعدم طاعتهم لأوامره .

ولأن الحجاج يقوم على حسن اختيار الحجج و صوغها وتنظيمها و إلقائها ،فإن تنظيم الحجج على وفق هذا المسار التصاعدي يمنح المتكلم الحيز الأكبر لكسب رضا مخاطبه لأنه يعمل على صوغ حججه ابتداء من الأضعف ما يجعل مخاطبه متلهفا لسماع أقوى الحجج وصولاً إلى الحجة الأخيرة التي تستقر في أعلى السلم [٢].

وهذا ما شوهد في خطب الإمام علي (عليه السلام) إذ كانت ردود أفعال متلقيه مائلة باتجاه التسليم ، إذا لم نقل مسلمة.

---

[١]. اللغة والحجاج ،ابو بكر العزاوي :٧٢.

[٢]. ينظر : السلالم الحجاجية في كلام الإمام الحسن (عليه السلام) : ٦.

ب- سُلَّم الحجج التنازلية :

هذا النمط يسير على عكس النمط الأول، إذ يبدأ المتكلم بطرح حججه تنازليا، أي: بدءاً من الحجج الأقوى وصولاً إلى أضعف حجة في سلم الخطاب، والمحاجج كثيراً ما يلجأ إلى هذا النمط من السلالم عندما يشعر أن البدء بالحجج الضعيفة قد يواجه رداً من المتلقي بحجج أقوى، لذلك يبدأ كلامه مدافعاً عن الوجهة التي يريد وهذا ما يقيد المتلقي ويحجم عليه باب النقاش ويجعله آخذاً بطريق القبول لما قاله المحاجج ولاسيما إذا كان هذا المتلقي خصماً أو من النوع الجاحد أو الشاك الذي لا تجدي معه البدايات بالحجج الضعيفة.[١]

لذلك يميل الإمام علي (عليه السلام) إلى استخدام هذا النوع من الخطاب عندما حرض الناس وأمرهم بالمسير إلى صفين لقتال أهل الشام، فقال: **"سيروا إلى أعداء الله. سيروا إلى أعداء السنن والقرآن. سيروا إلى بقية الأحزاب ،قتلة المهاجرين والأنصار.**[٢] فترتيب الحجج بشكلها التنازلي واضح في الخطاب، وأيضاً يوضحها السلم الآتي:

أعداء الله

أعداء السنن و القرآن

بقية الأحزاب

قتلة المهاجرين والأنصار

فيبدأ الإمام بالحجة الأعلى المتمثلة ب(أعداء الله) والتي بدورها أدت إلى (أعداء السنن و القرآن) فتأتي بعد ذلك الحجة الثالثة (بقية الأحزاب) ثم الحجة الأخيرة في السلم (قتلة المهاجرين والأنصار)فترتيب الحجج بحسب أهميتها و قوتها جاء

[١]. ينظر : السلالم الحجاجية في كلام الإمام الحسن (عليه السلام) : ٦.
[٢].وقعة صفين :٩٤.

ليشعل نار الحمية في قلوبهم ، فالإمام يعلم مدى إيمان أتباعه بالله عز وجل، والقداسة والمنزلة التي يحتلها القرآن في قلوب المخاطبين، لذلك جاءت هذه الحجج متتالية تنازليا ليكون المتلقي ملبيا لما يسمع، ولاشك عنده أو رد ليخالف ثم تلتها الحجج الأخرى لتحقق النتيجة المطلوبة.

وخطب الإمام علي (عليه السلام) في موقع آخر أيضاً يحرض الناس على القتال، إذ قال: **"إيمان بالله و رسوله، وجهاد في سبيله؛ وجعل ثوابه مغفرة الذنوب، ومساكن طيبة في جنات عدن، و رضوان من الله أكبر، فأخبركم بالذي يحب ،فقال: *إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص".**[1]

فكان ترتيب الحجج بشكلها التنازلي يوضحه السلم الآتي :

- إيمان بالله
- ورسوله
- وجهاد في سبيله
- وجعل ثوابه مغفرة
- ومساكن طيبة
- ورضوان
- فأخبركم

فيبدأ الإمام عليه السلام بالحجة الأعلى المتمثلة ب (إيمان بالله) والتي ألحقت بها (ورسوله) والتي أدت إلى (جهاد في سبيله) التوالي الحجج حتى تصل إلى الحجة (رضوان من الله أكبر) وفق تنقل بين سابقتها بواسطة (الواو) التي لا تفيد فقط مطلق الجمع بل تفيد الترتيب ،وصولا إلى الحجة الأخيرة في السلم (فأخبركم) المسبوقة بالفاء، وهي ككل أدوات الربط الحجاجية تستثمر دلاليا في "ترتيب الحجج ونسجها في خطاب واحد متكامل، إذ تفصل مواضع الحجج، بل وتقوي كل

[1]. وقعة صفين :٢٣٥.

حجة منها الأخرى"[1] ،إذ تسهم بالضغط النفسي على المتكلم وتكثف الحجج عليه، ومن ثمَّ تزيد من درجة اقتناعه ،فكان هذا التوالي في ترتيب الحجج من جانب الإمام علي (عليه السلام) لمخاطبيه لتشجيعهم وتحفيزهم على الجهاد، ولذلك جاء عليه السلام بالشاهد ليؤكد ما ذهب إليه من حجة، فالله يحب المجاهدين المقاتلين في سبيله، و حضور الشاهد القرآني في درج الحجج أسهم في منحها القوة والمصادقة نظراً للبعد السلطوي الذي يتميز به هذا النص، والذي شد من كثافة الحجج المتدرجة في الخطاب حتى بات من الصعب إنكارها.

ولما تحويه الحجة الأقوى من رصانة و مصداقية، وما لها من أهمية في ردع كل من يشك أو يتردد في حجج الطرف الآخر، لذلك يجعلها المحاجج في مثل هذه المواضع في أعلى درجات الكلام لما تحققه من إذعان و مقبولية يجعل ما بعدها مسلماً به دون شك، وهو ما عمل به الإمام علي (عليه السلام) في خطبه الجهادية .

ج- سُلَّم الحجج التراكمية:

ينتمي الحجاج لهذا النوع من السلالم عندما تتعدد فيه الحجج و تتراكم دون مراعاة لمبدأ التدرج من الأقوى إلى الأضعف أو العكس، ودون مراعاة التفاوت الحاصل في القوة التدليلية لتلك الحجج فكل حجة تكون أقوى و أكثر فاعلية في اللحظة التي تستعمل فيها، وهو أكثر عفوية وتلقائية من النوعين السابقين ، فالحجج المنتمية لهذا النوع من السلالم "تزدحم متخذة نوعاً من الاستقلال لكل حجة، وما يدل على ذلك أن نقض أي حجة من تلك الحجج، يؤدي إلى نقض الحجة التي تليها أو تسبقها"[2]

وبعد التدقيق في خطب الجهاد الإمام علي(عليه السلام) لوحظ أن هذا النوع من السلالم غالباً ما تشكله آليات ثلاث وهي: التكرار و الوصف والنفي.

---

[1]. استراتيجيات الخطاب :٤٧٢.

[2]. ينظر : السلالم الحجاجية في كلام الإمام الحسن (عليه السلام) : ٩.

أ- التكرار:

انطلق الحجاجيين في عد التكرار آلية حجاجية تعين على الإقناع نظراً لدلالته النحوية فهو "دلالة اللفظ على المعنى مرددا"[١] أي أنه يدل على إعادة اللفظ أو المعنى في الكلام لإحراز فائدة التأكيد و الترشيح ،لذلك عد رافداً فاعلاً في العملية الحجاجية، فهو يوفر للحجج طاقة مضاعفة تؤثر في المتلقي تأثيراً واضحاً، وتعين على إقناعه وجعله يسلم بما يقوله المتكلم؛ لأنه بالدرجة الأولى يساعد على تبليغ المخاطب و إفهامه قصد المحاجج من كلامه، وبالدرجة الثانية يؤدي إلى ثبوت الفكرة وترسيخها في ذهنه، فإذا بدأ المحتج بتكريره لحاجته فإنه يقود إلى بيان مقاصدها وإدراك مراميها وتصبح واضحة جلية لدى المتلقي فتنحو به نحو القبول.[٢]

ونموذج على ذلك خطبة الإمام علي (عليه السلام) عندما أغار سفيان بن عوف الغامدي على الأنبار ، يحث الناس فيها على الجهاد ، إذ قال في مجرى خطبته : " **تُرمون ولا تَرمون ، ويُغار عليكم ولا تُغيرون ، وتُغزونَ ولا تَغزونَ** " .[٣]

النص بأكمله يشير إلى كثافة لغوية خيم عليها التكرار والنفي ليكونا سلّما تراكمية ذا وظيفة إقناعية تميل نحو جعل المخاطب لا يمتلك إلا أن يسلم بما ألقي عليه، فالتكرار بإستخدام الفعل المضارع و(لا) النافية أعطى النص قدرة على ترسيخ الفكرة لدى المتلقي ، و إن دل ذلك على شيء إنما يدل على البعد المقامي الذي يتمتع به الإمام علي(عليه السلام) والذي لا يجهله عامليه، فهذا التكرار بنمطه الأسلوبي المؤثر "عمق جذور المنشئ الأصيلة بالشكل الذي لا يكون فيه للمتلقي أدنى شك للتشكيك في سعي المنشئ و قصده" [٤]،فالتكرار لم يكن لغاية اعتباطية بل لغاية حجاجية إذ إن ذلك الترديد الذي يحدثه المرسل في خطابه، ينتج عنه زيادة في

---

[١].المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر، ابن الاثير:٣.
[٢].ينظر : السلالم الحجاجية في كلام الإمام الحسن (عليه السلام) : ١٠.
[٣]. نهج البلاغة : ١/ ٩٠.
[٤]. السلالم الحجاجية في كلام الإمام الحسن (عليه السلام) : ١٢.

حضور الفكرة في ذهن المتلقي، الأمر الذي يؤدي إلى قبول تلك الفكرة، والإقتناع بها .

والتكرار عندما يكون بهذه الفاعلية كما ورد يقصد به التكرار المبدع الذي يكون ضمن بنية النص أو الكلام بشكل عام ، وهو ما يعمل على عدم رفض المتلقي للرأي الذي يطرح عليه بل يميل به نحو القبول ، وقد تنبه البلاغيون القدامى لذلك، إذ توجد بعض الإشارات التي يفهم منها أن للتكرار أثر في إبلاغ الحجة و تقويتها وإلزام المخاطب بها.

إذن يعد التكرار موجها حجاجيا يضطلع بدور إقناعي مؤثر في القول نظراً لأنه أسلوب يتجاوز "وظيفة الإخبار والإبلاغ إلى وظيفة التأثير و الإقناع، وهي وظيفة تنتج عن التكرار بما يثير من دلالات الإلحاح والمبالغة في التأكيد بل تدفع بعض حالات التكرير إلى تغيير سلوك المخاطب" [1]،و من هذا المنطلق الذي يسهم فيه التكرار بمضاعفة توكيد الحجة وكثافة توجيهها، بات من أبرز الآليات التي تزيد النص الحجاجي توجيها وإقناعا.

ب- الوصف:

يؤدي دوراً مهماً في عملية الإقناع، فالصفة تنهض بدور حجاجي يعبر عن وجهة نظر المتكلم من الموضوع، وليس ذلك فحسب، فالصفة تأتي لتبين موقف المرسل الذي يحكم به على الموصوف، فهي تعد من الأدوات التي تمثل حجة للمرسل في خطابه وذلك بإطلاقه لنعت معين في سبيل إقناع المرسل إليه[2] ، لذلك عدت الصفات بأنواعها المختلفة من أكثر أقسام الكلام تعبيراً عن السلمية بمعنى أن "الصفة التي ترد في أسفل السلم الحجاجي هي أقل الصفات قياما بالدور الإقناعي

---

[1]. الحجاج عند البلاغيين العرب ،علي محمد علي السلمان:١٨٧.

[2]. السلالم الحجاجية في كلام الإمام الحسن (عليه السلام) : ١٠.

في حين تكون الصفة الواقعة في أعلى السلم أكثرها توجيها للملفوظ، ومن ثمَّ أكثرها حجاجية"[١].

ومن أمثلة هذا النوع من السلالم ما ورد في خطبة الإمام علي (عليه السلام) في صفين لما رأى ميمنته قد عادت الى موقفها ومصافها وكشف من بإزائها حتى ضاربوهم في مواقفهم ومراكزهم ، أقبل حتى انتهى اليهم ،**إذ قال: " إني قد رأيت جولتكم وانحيازكم عن صفوفكم ، يحوزكم الجفاة الطغام وأعراب أهل الشام وأنتم لهاميم العرب ، والسنام الأعظم ، وعمار الليل بتلاوة القرآن ، وأهل دعوة، الحق إذ ضل الخاطئون ".**[٢]

تنطلق المحاججة في هذه الخطبة بتعداد صفات المقاتلين من أتباع الإمام علي (عليه السلام) وذلك من أجل تحفيزهم وشد همتهم للقتال بعد ما رأى من جولاتهم في الحرب ، فقد وصفهم بأنهم (**لهاميم العرب ، والسنام الأعظم ، وعمار الليل بتلاوة القرآن ، وأهل دعوة، الحق)** لذلك جاء تعداد هذه الأوصاف بصورة تراكمية ، لتبدو أكثر إقناعا ، وقد سبق هذه الأوصاف الرابط (الواو) الذي يفيد الترتيب والجمع بين الحجج والذي يعطي ميزة حجاجية للخطاب داخل السلم الحجاجي ، فهو يكرر حرف العطف (الواو) وكأن فيه دلالة حجاجية تفيد بأن أتباعه قد جمعوا كل تلك الصفات الحميدة ، فهذا التكرار والترديد للصفات أسهم في صنع سلم تراكمي في كلام الإمام (عليه السلام)، فكل حجة من هذه الحجج الواردة تمثل بنية مستقلة بذاتها وحجة دافعة تدعو المتلقي لإتباع المحاجج، فالحجج الآتية شكلت كثافة تدليلية جعلت كل واحدة منها أشد تأثيراً و أكثر حضوراً لحظة النطق بها:

- **أنتم لهاميم العرب**
- **والسنام الأعظم**
- **وعمار الليل بتلاوة القرآن**
- **وأهل دعوة الحق**

---

[١].السلالم الحجاجية في القصص القراني ،فايزة بوسلاح :١٢١_١٢٢.
[٢]. وقعة صفين : ٢٥٦.

وبهذا يعد تراكم الصفات في السلم الحجاجي من موجبات التأثير والإقناع ، فعندما يكون ذكر الصفات بشكل تراكمي في الخطاب يكون أكثر قدرة على إيصال الفكرة وتوليد دلالة النص لدى المتلقي ، وهذا ما يجعلها تمتاز بالطواعية والمرونة ، إذ يوجه ذهن المتلقي إليه ليصل إلى مرتبة من الإقناع والتأثير.

ت- النفي:

يعد من العوامل التي أدت غرضها الحجاجي الفاعل في خطب الإمام علي (عليه السلام)، وهو شائع الاستخدام في هذا النوع من السلالم، فهو يشكل مع التكرار والوصف سلما تراكميا يعمل على إبطال ما لدى المتلقي من حجج، مع ملاحظة أن هذه الآليات قد تجتمع أو تتفرد أو يجتمع اثنان منها فقط في السلم الواحد.[1]

وتتراكم الحجج القائمة على الوصف والنفي في خطبة الإمام علي (عليه السلام) حين بلغه مقتل محمد بن ابي بكر يحث الناس على القتال ، **إذ قال : " وأناديكم نداء المستغيث معربا ، فلا تسمعون لي قولا ، ولا تطيعون لي أمرا ، حتى تصير بي الأمور إلى عواقب المساءة ، فأنتم القوم لا يدرك بكم الثأر ، ولا ينقض بكم الأوتار".**[2]

فنلحظ إن الإمام علي (عليه السلام) في هذه الخطبة يوجه كلامه للمتخاذلين عن نصرة أخوانهم من أهل مصر وتقاعدهم عن القتال وعدم طاعتهم لأوامره ، مصدرا حججه ب (لا) الدالة على تحقيق النفي مسبوقة ب (الفاء) الدالة على الترتيب والتعقيب ، ويعقب (لا) النافية فعل مضارع لينفي القيام بها ، كذلك توسط الرابط (حتى الغائية) بين سلم الجمل المنفية لان الحجة التي بعدها تكون الأقوى ، فنلحظ كيف تدرج سلم الحجج التراكمية من دون ترتيب ، إذ نجد إن كل حجة مستقلة عن غيرها وهذه ميزة حجاجية إقناعية تضاف للسلالم الحجاجية ، وإن لهذا التكرار اللفظي بهذه الأشكال المختلفة وقع في القلوب وأثر بليغ في الأسماع والأذهان، من

---

[1]. ينظر : الحجاج في كلام الإمام الحسن (عليه السلام) : ١١.
[2]. تاريخ الطبري : م٦/٦٢.

اجل أن يقوم الناس ويهبوا لنصرة أخوانهم من أهل مصر ، فقد عمل الإمام علي (عليه السلام) على تأنيبهم وتوبيخهم بواسطة نفي القيام بالإعمال التي أمرهم بها من خلال سلم حجاجي تراكمي ، ويمكن رسم تلك الحجج بالشكل الآتي مع إمكانية أن تأخذ الواحدة منها مكان الأخرى :

- **أناديكم**
- **لا تسمعون**
- **لا تطيعون**
- **حتى تصير بي الأمور**
- **لا يدرك بكم الثأر**
- **لا ينقض بكم الأوتار**

وتعقيبا على ما سبق: تبين أن للسلالم الحجاجية سلطة لغوية على الخطاب إذ تصل بالخطاب الى مرتبة كبيرة من التأثير والإقناع ، ومن ثمّ قدرتها على دحض وتعطيل حجج المقابل إذ يُسلّم لما يطرح عليه ، فضلاً عن دورها في شد أنتباه المتلقي نحو قضية واحدة .

للسلالم أيضاً دورٌ في تراكم الحجج أو تدرجها بحسب قوتها وبحسب السياق الذي يفرضه حال المتلقي.

قد يبدأ المتكلم بالحجج القوية أولاً نزولاً إلى الأضعف أو العكس؛ لأن ترتيب الحجج في السلم الحجاجي والمفاضلة بينهما في القوة يعود إلى رؤية المتكلم فقد تنزل الحجة الواحدة إلى أسفل السلم تبعا لوجهة نظر معينة في حين ترتقي إلى أعلاه وفقاً لوجهة نظر أخرى .

الفصل الثالث :

الحجاج البلاغي في خطب الجهاد

توطئة :

المبحث الأول : حجاجية التشبيه

المبحث الثاني : حجاجية الإستعارة

المبحث الثالث : حجاجية الكناية

المبحث الرابع : حجاجية الإقتباس القرآني

توطئة :

تعد الأساليب البلاغية من الآليات الحجاجية الإستراتيجية التي يستعملها المتكلم لاستمالة المخاطب والتأثير فيه ؛ لما فيها من أساليب إقناعية تحمل شحنات تؤثر في نفس المتلقي ، ومن ثمَّ تنتقل هذه الأساليب من مجرد كونها أساليب بلاغية إلى أساليب حجاجية إقناعية تجعل الخطاب مؤثرا أكثر من غيره ، كما تسهم في توليد دلالة النصوص في الخطاب ، لكن الحجاج ليس علما يوازي البلاغة ، بل هو مجموعة من الأساليب والإمكانات اللفظية والأدواتية يتم اقتراضها من البلاغة ؛ لأجل العملية الإقناعية؛ لذلك من الممكن أن نقول عن اجتماع الحجاج والبلاغة في كثير من الأساليب والأدوات ، فكان من مصلحة الخطاب الحجاجي الاعتماد على الأساليب البلاغية والبيانية لأنها تظهر المعنى بطريقة جميلة مقنعة ومؤثرة في النفس . [١]

إن الأساليب البلاغية والبيانية تعمل على تصوير الخطاب بصورة مؤثرة وجميلة ؛ لأنه من غير الممكن أن تجعل الخطاب حجاجياً من غير إيراد صور بيانية مثل التشبيه والاستعارة والكناية وغيرها من أساليب البلاغة التي تضفي على النص ميزة حجاجية إقناعية من خلال تفاعل الفكر واللغة ، فيعتقد ريتشارد في كتابه (فلسفة البلاغة) بوجود تفاعل بين اللغة والفكر ، فلا لغة من دون فكر ولا فكر من دون لغة ، وقد انتقد بهذا التفكير تصور (باركلي) الذي فصل الأفكار عن الكلمات المعبر عنها ؛ مما ينتج فصلا بين المعاني الأصلية والمجازية فينتج عن ذلك تحطيم الحقيقة الشعرية والوظيفة الجمالية للكلمات . [٢]

فلا أفكار من دون وجود حاضنة لها تحمل في طياتها بؤراً حجاجية تؤثر في نفس المخاطب ، وذلك أن للمتكلم طريقتين في تبليغ مقاصده كما يقول الجرجاني ت

---

[١]. ينظر : التداولية والحجاج ، مدخل ونصوص ، صابر الحباشة : ٥٠ .
[٢]. ينظر : البلاغة والاستعارة من خلال كتاب فلسفة البلاغة ، ريتشارد، د. سعاد انقار ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته : ٤٥٧-٤٥٨.

(٤٧١) : " الكلام على ضربين : ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده وذلك إذا قصدت أن تخبر عن زيد مثلا بالخروج على الحقيقة فقلت : خرج زيد وبالانطلاق عن خالد فقلت : خالد منطلق وعلى هذا القياس ، وضرب أخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض ومدار هذا الأمر على الكناية والاستعارة والتمثيل " .[١]

ومما لا شك فيه أن ميزة الكلام بين اثنين هو التخاطب مع وجود نية التأثير في المخاطب بصور مختلفة ، " واللغات تتفاضل في حقيقتها وجوهرها بالبيان ، وهو تأدية المعاني التي تقوم في النفس تامة على وجه يكون اقرب إلى القبول والتأثير ، وفي صورتها وأجراس كلمها بعذوبة النطق وسهولة اللفظ والإلقاء ، والخفة على السمع وان للغة العربية من هذه المميزات الميزان الراجح والجواد القارح ، يعرف ذلك من أخذها بحق وجرى فيها على عرق ، فكان من مفرداتها على علم ، وضرب في أساليبها بسهم " [٢]، وفحوى هذا الكلام أن ألباث الذي يجيد استعمال اللغة بكافة فنونها يبلغ مراده من التأثير والإقناع في المتلقي .

في السابق كانت وظيفة البلاغة هي الإقناع والتأثير ؛ لأنها كانت تلازم التواصل بين الأفراد ، وما زالت هذه الوظيفة في البلاغة فهي تمتلك الإقناع والتأثير بالقول والفعل ؛ ولذلك يرى أفلاطون أن " موضوع البلاغة هو الحق ، وهدفها إظهار الحقيقة المطلقة المثالية عن طريق العقل والحجاج والحوار " [٣]، وكذلك هي : " خطابا حجاجيا يقوم على وظيفتي التأثير والإقناع " .[٤]

لذلك من الممكن أن نقول بحق أن الحجاج اتخذ من الأساليب البلاغية آلية من الآليات الحجاجية الإقناعية، من خلال الصور البيانية المختلفة وبما تحمله من

---

[١]. دلائل الاعجاز ، للجرجاني ، تحقيق محمود محمد شاكر : ٢٠٣.
[٢]. اسرار البلاغة في علم البيان ، عبد القاهر الجرجاني ، دار المعرفة ، بيروت لبنان ، ط٢ : ١.
[٣]. من الحجاج الى البلاغة الجديدة ، جميل حمداوي ، أفريقيا الشرق – الدار البيضاء ، المغرب ، ٢٠١٤ : ٦٧.
[٤]. م. ن : ٦٧.

أساليب جمالية تقوم بالتأثير في فكر المتلقي وتقنعه بما أريد إقناعه به ، ولا شك أن الخطاب أو النص الذي يحمل في طياته أساليب بلاغية وبيانية جميلة ويسيرة يكون قادرًا على إيصال دلالة النص إلى المتلقي من خلال تصوير المعاني تصوير دقيق ومشابه للمعنى الأصلي .

فهناك تعبيرات بيانية عزلت البلاغة عن سياقها الجمالي وزجتها في سياق إقناعي حجاجي ، بفضل امتلاك هذه الصور البيانية لخاصية التحول ومنها (التشبيه والاستعارة والكناية) التي تمثل أهم الصور المعنوية التي ينقلها الباث إلى ذهن المتلقي ، وفي ذلك يقول جابر عصفور : " عندما تستخدم الصورة لتحقيق النفع المباشر ، فإنها تهدف إلى إقناع المتلقي بفكرة من الأفكار أو معنى من المعاني "[1]،ولا يقتصر هذا النفع على التكسب المادي فقط وإنما هو نصرة للعقيدة أو في الدعوة للدفاع عن المذهب أو للإقناع بفكرة معينة .

وقد خُصِصَ هذا الفصل لدراسة وتحليل الصور البلاغية والبيانية الحجاجية في خطب الجهاد عند الإمام علي (عليه السلام) والتي يهدف فيها الإمام إلى إقناع الناس بضرورة الجهاد في سبيل الله والدفاع عن الدين والعقيدة والأهل ، ومن هذه الصور التشبيه الحجاجي والاستعارة الحجاجية والكناية الحجاجية والإقتباس القرآني الحجاجي باعتباره من أسس بلاغة الخطاب ومن الحجج البالغة الأكثر إقناعا لدى المتلقي .

[1]. الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، جابر عصفور ، ط٣ ، ١٩٩١، المركز الثقافي العربي ، بيروت : ١٣٣.

المبحث الاول : حجاجية التشبيه

التشبيه لغة : هو " التمثيل ، والشبه ، والشبه ، والشبيه : المثيل ،والجمع أشباه ، وأشبه الشيء الشيء ماثله " .[١]

إما التشبيه اصطلاحا فقد تجلى مفهومه عند البلاغيين من إيحاءات المعنى اللغوي ، ومن ذلك تعريف عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) في إسرار البلاغة : بأن تثبت للمشبه معنى من معاني المشبه به أو حكما من أحكامه [٢]، بواسطة أداة من أدوات التشبيه كالكاف ونحوها ، أي التماثل بينهما عن طريق عقد مقارنة بين طرفين لاشتراكهما في صفة من الصفات ، أو حال من الأحوال . [٣]

وهو عند الخطيب القزويني(٧٣٩هـ) : " هو الدلالة على مشاركة أمر لأخر في معنى ، والمراد به هنا هو ما لم يكن على وجه الاستعارة التحقيقية ، ولا الاستعارة بالكناية ولا التجريد " . [٤]

أما وظيفة التشبيه داخل الخطاب فهي " تقريب المعنى إلى الذهن بتجسيده حيا ، ومن ثم فهو ينقل اللفظ من صورة إلى صورة أخرى على النحو الذي يريد المصور ، فإن أراد صورة متناهية في الجمال والأناقة شبه الشيء بما هو أرجح منه حسنا ، وإن أراد صورة متداعية في القبح والتفاهة شبه الشيء بما هو أردأ صفةً " .[٥]

وهذه المهمة هي التي أدخلت التشبيه إلى ميدان الحجاج والإقناع ، وجعلته من ضمن الحجج المؤسسة لبنية الواقع ، أي التي تربط الحجج بالواقع ، لكنها لا تتأسس عليه و لا تنبني على بنيته ، إنما هي تؤسس هذا الواقع وتبنيه ، أو هي التي تقوم

---

[١]. لسان العرب : مادة (شبه) : ٨٠١/٧.
[٢]. ينظر : اسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، قراءة : محمود محمد شاكر ، دار الفارابي بجدة : ٧٨.
[٣]. ينظر : البلاغة الواضحة (البيان والمعاني والبديع) ، علي الجازم ومصطفى امين ، ط٧، دار المعارف بمصر : ٢.
[٤]. الايضاح في علوم البلاغة ، للخطيب القزويني : ٢١٧.
[٥]. اصول البيان العربي في ضوء القرآن الكريم ، د. محمد حسين علي الصغير ، دار المؤرخ العربي، لبنان ، بيروت ، ١٩٩١: ٨٧.

بإبراز ما خفي من علاقات بين أشيائه ، فالخطيب أو الشاعر عندما يشابه بين شيء وأخر إنما يؤسس لواقع جديد يحمل الفكرة التي يريد إيصالها إلى فكر المتلقي .

يتجاوز التشبيه وظيفته الجمالية وتزيين الخطاب إلى وظيفة ابعد من ذلك وهي المحاججة والإقناع ، إذ يقرب المسافات بين المعاني المجردة والمعاني المحسوسة ، وبذلك يجعل العقل يقبل العلاقات القائمة بين الأشياء ، فالمحاجج عندما يورد التشبيه في خطابه ، فهو بذلك يريد إيصال الفكرة وتمكينها في ذهن المتلقي ، من خلال صور بيانية تشبيهية فيكون قد أدرك المتلقي مقاصد المتكلم عن طريق التشبيه بمعاني وصور حسية غير مجردة، ومن ثمَّ التأثير فيه وإقناعه بما أريد إقناعه به .

يحمل أسلوب التشبيه طاقة حجاجية إقناعية أكثر منها جمالية ، فلذة القارئ لا تكون في العبارات السطحية والمتعارف عليها ، وإنما في العبارات المشعة بالايحاء الذي يدفع القارئ إلى محاورة هذه الصورة ، والاقتناع بحجج القائل ، وهذه إشارة إلى القيمة الحقيقية للتشبيه زيادة على تحقيق الجمالية التي تمتع القارئ وتجعله يترنم مع موسيقى الصورة التشبيهية . [1]

ومن هنا نرى كيف يسهم التشبيه في توليد دلالات النصوص وتكوينها ، من خلال نقل ذهن المتلقي من صور مجردة إلى صور حسية من الواقع قريبة من وعيه تجسد المعنى وتثبته في نفس المتلقي وتكون أكثر تأثيرا فيه ، فتحول بذلك من رسالة فنية إلى رسالة تداولية حجاجية إقناعية أكثر شمولية .

واستنادا على ما سبق سوف يتتبع البحث بالتحليل مصاديق التشبيه الحجاجي في خطب الجهاد عند الإمام علي (عليه السلام) في هذا المبحث ، والتي دعا فيها الإمام إلى الجهاد في سبيل الله والدفاع عن الدين والعقيدة .

والتشبيه الوارد في خطب الجهاد عند الإمام علي (عليه السلام) كله تشبيه حجاجي لأن كلام المعصوم حجة بذاته الغاية منه إيصال الحجة إلى ذهن المتلقي سواء أكان

[1]. ينظر : حجاجية التشبيه عند النقاد العرب القدامى ، تركي محمد ، مجلة اتحاد الكتاب العرب ، ع ٣٢، ٢٠١٤: ١٣٢.

جمهورا حاضرا أم جمهورا على مر العصور والأجيال المتلاحقة ، واغلب ذلك التشبيه الحجاجي الغرض منه الدعوة إلى الجهاد في سبيل الله .

ومن مصاديق التشبيه الحجاجي في خطب الجهاد خطبة الإمام علي (عليه السلام) بصفين في التحريض على القتال ، **فقال : " إن الله عز وجل قد دلكم على تجارة تنجيكم من العذاب ، وتشفي[١] بكم على الخير إيمان بالله ورسوله وجهاد في سبيله ؛ وجعل ثوابه مغفرة الذنوب ، ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله اكبر ، فأخبركم بالذي يحب فقال : (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص) . فسووا صفوفكم كالبنيان المرصوص " .[٢]**

تأتي هذا الخطبة في سياق الدعوة إلى الجهاد وتبيين ما للمجاهدين من ثواب ومنزلة عند الله عز وجل وأيضا التوجيهات العسكرية للمقاتلين ، فقد وردت صورة تشبيهية في قوله (فسووا صفوفكم كالبنيان المرصوص) وهو تشبيه مرسل يتكون من المشبه والمشبه به وأداة التشبيه ، إذ أراد الأمام (عليه السلام) من خلال هذه الصورة التشبيهية أن يوصي أصحابه والمقاتلين معه بأن يكونوا صفا واحدا كالبنيان المرصوص كي لا يخترقهم العدو بسهولة وينفذ إلى داخل الجيش ويكونوا جنبًا إلى جنب في القتال إذ تجدهم قوة واحدة وتكون لهم هيبة وصولة ترعب الأعداء وهذه تعتبر حجة الإمام على أصحابه لكي يلتزموا بها في القتال مستنداً إلى قوله تعالى (**إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص**) [٣]ومن صفات البناء المرصوص انه يكون متراصف ومتشابك بشكل قوي ومتماسك إذ لا يمكن أن ينفصل عن بعضه بسهولة ، فقد أراد الإمام نقل ذهن المتلقي من الصورة المجردة إلى التفكير بصورة حسية من الواقع إذ تقرب له المعنى المجرد ؛ فيتحول عنده معنى حسي يؤدي إلى الإقناع والتأثير به .

---

[١]. أشفى على الشيء : أشرف عليه .
[٢]. وقعة صفين : ٢٣٥.
[٣]. سورة الصف : آية ٤.

ومن ذلك التشبيه الحجاجي خطبة الإمام علي (عليه السلام) حين بلغه مقتل محمد بن أبي بكر ، فقد حزن عليه حتى رئي ذلك في وجهه وتبين فيه ، وقام في الناس خطيبا فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله (صلى الله عليه واله وسلم) **وقال : " ألا إن مصر قد افتتحها الفجرة أولوا الجور والظلم ..... وأني قد دعوتكم إلى غياث أخوانكم منذ بضع وخمسين ليلة ، فتجرجرتم جرجرة[1] الجمل الأشدق ، وتثاقلتم إلى الأرض تثاقل من ليس له نية في جهاد العدو ، ولا اكتساب الأجر ، ثم خرج إلي منكم جنيد متذائب [2]كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون ، فأف لكم .....** ".[3]

في هذه الخطبة وردت ثلاث صور تشبيهية يحتج بها الإمام على أصحابه عند تخاذلهم عن غياث ونصرة إخوانهم من أهل مصر ، وأول صورة تشبيهية كانت في قوله (تجرجرتم جرجرة الجمل الأشدق) إذ شبه الأمام تخاذل أصاحبه ومماطلتهم وتقصيرهم عن نصرة إخوانهم وتجرجرهم عن القتال شبهها بجرجرة الجمل الأشدق ، والجرجرة هي الصوت الذي يردده البعير في حنجرته عند التعب والإعياء ، والأشدق تطلق على الجمل واسع الفم ، وهذا التشبيه هو تشبيه مرسل وأداة التشبيه هي المصدر (جرجرة) ، وهذه الصورة الرائعة التي شبه بها الإمام أصحابه ، نقلتهم من التفكير بالصورة المجردة إلى معنى حسي من الواقع لكي يبلغ الحجاج والإقناع مداه عندهم .

والصورة التشبيهية الثانية في هذه الخطبة قوله (عليه السلام) : (تثاقلتم إلى الأرض تثاقل من ليس له نية في جهاد العدو) ، إذ شبه الإمام تثاقل أصحابه في الأرض عن نصرة إخوانهم كتثاقل من ليس لديه نية في الجهاد أي كانت نيته مضطربة وغير سليمة ولا يريد الجهاد في سبيل الله البتة، وأراد الإمام من خلال

---

[1]. الجرجرة : صوت يردده البعير في حنجرته واكثر ما يكون ذلك من الاعياء والتعب (لسان العرب ، ج٤، ص١٣١).

[2]. جنيد : تصغير جند ، متذائب : مضطرب ، ومنه سمي الذئب ذئبا لاضطراب مشيته (لسان العرب ، ج١، ٣٧٨).

[3]. تاريخ الطبري : م٦ / ٦٢.

هذه الصورة إيصال فكرة إلى أصحابه بأنهم لا يريدون الجهاد وليس لهم نية في ذلك لكي يحتج عليهم ويحفزهم إلى الإقناع بتلك الفكرة وضرورة القتال .

وأيضا هناك تشبيه ثالث في هذه الخطبة في قوله (ثم خرج إلي منكم جنيد متذائب كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون) إذ شبه الإمام خروج بعض المقاتلين إليه من الجند بقوله(جنيد متذائب) أي مضطرب في مشيته شبههم بالذي يساق إلى الموت وهو ينظر أي تكون مشيته مضطربة وبطيئة وليس له نية في الذهاب مستمداً ذلك من قوله تعالى **{ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ }**[1] .أي أنهم كارهين للقتال ولقاء العدو .

وبناء على ما سبق في الخطبة من صور تشبيهية تبين إنها اتكأت على عناصر حسية حركية من الواقع بعيدا عن الصور المجردة بفعل مثيرات حركية مثل (تجرجرتم ، تثاقلتم) وقد تعاضدت هذه الصور للكشف عن مدى تخاذل وتراجع الناس عن نصرة إخوانهم وأغاثتهم من أهل مصر ، وكانت الغاية من إلقاء هذه الحجة على الناس هي التحريض على القتال لئلا يلحقهم العار بترك الجهاد في سبيل الله ، ليصل الإمام (عليه السلام) من هذه الحجة إلى نتيجة مضمرة لم يصرح بها يمكن أن يستشفها المتلقي من السياق وهي محاولة أقناعهم بالقتال وأن يهبوا لنصرة إخوانهم والدفاع عن الشريعة والدين .

ومن الصور التشبيهية في خطب الجهاد خطبة الإمام علي (عليه السلام) عندما أغار النعمان بن بشير على عين التمر ، فأمر الناس أن ينهضوا إليه فتثاقلوا ، فصعد المنبر وحمد الله وأثنى عليه ، **ثم قال : " يا أهل الكوفة : كلما سمعتم بمنسر[2] من مناسر أهل الشام أظلكم ، أنجحر[3] كل امرئ منكم في بيته ، وأغلق بابه ، إنجحار الضب في جحره ، والضبع في وجارها " .**[4]

---

[1]. سورة الانفال : آية ٦.
[2]. منسر : قطعة من الجيش ما بين ثلاثين فارسا الى اربعين(لسان العرب ، ج١، ٦٩١).
[3]. من انجحر الضب : اي دخل جحره .
[4]. تاريخ الطبري : م٦/ ٧٧.

في هذه الخطبة صورة تشبيهية في قوله (أنجحر إنجحار الضب في جحره) وهو تشبيه مرسل وأداة التشبيه المصدر(إنجحار)، فقد شبه الإمام (عليه السلام) تثاقل الناس عن القتال وإنجحارهم في بيوتهم بإنجحار الضب في جحره ، وهي صورة في غاية الدقة والمعنى لأن الضب يقضي أغلب وقته في جحره ولا يخرج إلا لغرض الأكل ، وجحره عميق وضيق تحت الأرض ويمكث فيه طويلا ، إذ من خلال هذه الصورة نقل الإمام ذهن المتلقي من الصورة المجردة إلى التفكير بصورة حسية من الواقع تقرب له المعنى وتسهم في توليد دلالة النصوص فيؤدي إلى الإقناع بالفكرة المطروحة عليه ، فنلحظ الطاقة الحجاجية في الصورة التشبيهية وقدرتها على تغيير أفكار المتلقين وإقناعهم بما أريد أقناعهم به .

كذلك نرى التشبيه الحجاجي واضحًا في خطبة الإمام علي (عليه السلام) لما نزل بالنخيلة وآيس من الخوارج ، قام فحمد الله وأثنى عليه **ثم قال : " أما بعد : فإنه من ترك الجهاد ، وادهن في أمره ، كان على شفا هلكة ، إلا أن يتداركه الله بنعمه ، ..... والله لو ولوا عليكم لعملوا فيكم بإعمال كسرى وهرقل " .**[1]

هناك صورة تشبيهية حجاجية في قول الإمام (والله لو ولوا عليكم لعملوا فيكم بإعمال كسرى وهرقل) ، فقد شبه الإمام إعمال أهل المغرب إذا ولوا على الناس بأعمال كسرى وهرقل لما لهم من إعمال شنيعة قاموا فيها بحق المسلمين في زمن الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) وكسرى هو ملك الفرس وهرقل ملك الروم ، إذ ألقى على الناس من خلال التشبيه حجة تاريخية قوية ومعروفة لدى الكثير جراء تخاذلهم عن الجهاد ، وهذه الحجة دبت الخوف والرهبة في قلوب الناس لكي يقتنعوا بضرورة القتال والجهاد في سبيل الله والدفاع عن أنفسهم بواسطة معنى حسي واقعي وتاريخي لتقريب الصورة وتثبيت المعنى لدى السامع .

وأيضا من أمثلة التشبيه الحجاجي ما جاء في خطبة الإمام علي (عليه السلام) عندما أغار سفيان بن عوف الغامدي على الأنبار وقتل عامل الإمام عليها وهو

---

[1]. تاريخ الطبري : م٦/ ٤٤.

حسان بن حسان البكري، فخرج الإمام علي (عليه السلام) حتى أتى النخيلة واتبعه الناس فرقي ربوة من الأرض فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله (صل الله عليه واله وسلم) **ثم قال : " إما بعد فان الجهاد باب من أبواب الجنة .....وان قلت لكم أغزوهم في الصيف قلتم هذه حمارة[1] القيظ انظرنا ينصرم الحر عنا، فإذا كنتم من الحر والبرد تفرون؛ فأنتم والله من السيف افر !يا أشباه الرجال ولا رجال! وحلوم الأطفال، [2] و يا عقول ربات الحجال لوددت أني لم أركم ولم أعرفكم معرفه والله جرت ندما وأعقبت سدما ....." .[3]**

ومن خلال مسار الخطبة نلحظ ورود تشبيهات حجاجية في قوله (يا أشباه الرجال ولا رجال ، وحلوم الاطفال ، وعقول ربات الحجال) إذاً فهناك ثلاث صور تشبيهيه وردت في هذا القول أوردها الإمام (عليه السلام) لتكون حجة على أصحابه في الحث على الجهاد وذم القاعدين على القتال في سبيل الله وأيضا توبيخا لهم ، فقد شبههم الإمام بأشباه الرجال أي المتشبهين بالرجال وليس رجال أي أنهم رجال في الصورة والخلقة ولكن لا يحملون صفات الرجال من الغيرة والحمية والشجاعة والفتوه، وأيضا شبههم بحلوم الأطفال أي أن عقولهم كعقول الأطفال الذين لا يفقهون شيئا من أمور الحياة " ولم يرو المبرد في نسخته(حلوم الأطفال)وروى عوضها (يا طغام الأحلام) وقال : الطغام : من لا معرفة عنده ، ومنه قولهم (طغام أهل الشام) " [4] إذ لا يمكن للإنسان أن يسير دون معرفة فكل حركة أو سكنه تحتاج إلى معرفة ،وشبه عقولهم بعقول ربات الحجال أي العرائس المخدرات في البيوت وهو " جمع حجلة ، وهي بيت يزيَن بالستور والثياب والأسرة "[5] وأفاد بعدم كفايتهم لتدبير الحرب جراء تخاذلهم هذا ؛ لذلك تعد حجه التشبيه هذه التي أوردها الإمام في هذا القول من الحجج المهمة التي تؤدي إلى تغيير أفكار السامعين من خلال بيان حال المتخاذلين وهذا بدوره يؤدي إلى شحذ الهمم وإقناع

---

(1). حمارة : شدة الحر .
(2). حلوم الاطفال : عقول الاطفال (لسان العرب ، ج12، ص ١٤٦).
(3). نهج البلاغة : ١/ ٩٠-٩٢.
(4). شرح نهج البلاغة ، : م١،ج٢: ٧٩.
(5). شرح نهج البلاغة : ٧٩.

الناس المتخاذلين عن القتال والجهاد في سبيل الله بضرورة القتال والدفاع عن النفس؛ فقد نقل الإمام ذهن المتلقي من صور مجرده إلى صور حسية أكثر تأثيرا في الواقع ، وهذه تعد حجة إقناعية شديدة اللهجة عليهم لأننا كثيرا ما نصادف أشياء نجد أنفسنا مضطرين إلى تقويم تلك الأشياء انطلاقا من معانٍ أخر .

ومن أمثلة التشبيه الحجاجي ما جاء في خطبة الإمام علي (عليه السلام) عند استنفار بني تميم أياما يستنهض منهم إلى البصرة من يكفيه أمر ابن الحضرمي[١] ، ويرد عادية بني تميم الذين أجاروه بها ، فلم يجبه احد فخطبهم **وقال : " أليس من العجب أن تنصرني الأزد وتخذلني مضر ؟ وأعجب من ذلك تقاعد تميم الكوفة بي ، وخلاف تميم البصرة علي ، وأن استنجد بطائفة منها تشخص إلى أخوانهم فتدعوهم إلى الرشاد ، فأن أجابت وإلا فالمنابذة و الحرب ، فكأني أخاطب صما بكما لا يفقهون حوارا ولا يجيبون نداء ....."** .[٢]

نلحظ الصورة التشبيهية في قوله(فكأني أخاطب صما بكما لا يفقهون حوارا) ، فقد شبه الإمام تقاعس بني تميم عن نصرته وتخاذلهم كالصم البكم الذين لا يسمعون ولا يتكلمون ، وهي حجة تشبيهية زجر الإمام بها هؤلاء الناس ووبخهم لعدم تحليهم بصفات الرجال الشجعان فقد جبنوا عن دفع الخطر ومقاتله العدو وذلك بسبب الخوف وحب الدنيا ، فهذه الصورة التشبيهية كانت أشد وقعا في نفوسهم من أي صورة أخرى وأثرت فيهم أيما تأثير وهذه هي الغاية المرجوة من إيراد التشبيه الحجاجي في الخطاب والذي أسهم في توليد دلالة النص وتقريب المعنى وتجسيده .

ومن صور التشبيه الحجاجي خطبة الإمام علي (عليه السلام) في استنفار الناس لقتال معاوية ، فحمد الله واثنى عليه وصلى على نبيه الكريم (صلى الله عليه واله وسلم) **ثم قال : " عباد الله : ما لكم إذا أمرتكم أن تنفروا في سبيل الله أثاقلتم إلى الارض ! أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة بدلا ، وبالذل والهوان من العز خلفا ؟**

---

[١]. هو العلاء بن عبد الله بن عماد بن اكبر بن ربيعة الحضرمي ، ولد بمكة وكان من قادة جيش معاوية وتوفي في ارض بني تميم.

[٢]. جمهرة خطب العرب : ٤٣٧.

أو كلما ندبتكم إلى الجهاد دارت أعينكم ، كأنكم من الموت في سكرة ، وكأن قلوبكم مألوسة[١]، فأنتم لا تعقلون ، وكأن أبصاركم كمه فأنتم لا تبصرون ؛ لله أنتم ! ما أنتم إلا أسود الشرى في الدعة ، وثعالب رواغة حين تدعون إلى البأس ..... **"** .[٢]

فنلحظ في هذه الخطبة ورود صور تشبيهية مختلفة والتي جاءت بأداة التشبيه المعروفة (كأن) التي تسهم في تقريب الصورة بين المشبه والمشبه به وتجعلهما كالشيء الواحد، في قوله**(كأنكم من الموت في سكره، وكان قلوبكم مألوسة ، وكأن أبصاركم كمه)**ففي الصورة الأولى شبه الإمام تقاعس الناس وتثاقلهم عن الجهاد في سبيل الله كأنهم من الموت في سكرة أي شبههم بالإنسان في أخر لحظات حياته عندما ينازع سكرات الموت وكيف تخرج روحه إذ عبر الإمام بهذه الصورة عن تقاعد الناس وتخاذلهم على الجهاد إما معنى هذا القول يقول أبن أبي الحديد :" وقوله (**دارت أعينكم ، كأنكم من الموت في سكرة)** فهو من قوله تعالى : { ينظرون أليك نظر المغشى عليه من الموت }[٣] ، ومن قوله : { تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت }[٤] ".[٥] ، والتشبيه في الصورة الثانية في قوله**(كأن قلوبكم مألوسة)** أي مخلوطة بمس من الجنون فالإنسان عندما يمسه الجن تراه يتخبط يمينا وشمالا من شده الجنون واختلاط العقل ، وأيضا شبه أبصارهم بالعمى ، فضلا عن ذلك إستخدام التشبيه البليغ في قوله **(، ما أنتم إلا اسود الشرى[٦] في الدعة ، وثعالب رواغة)** فقد جاءت هذه الصور التشبيهية متتالية في هذه الخطبة لإعطاء صورتهم الحقيقية فهم أناس يتفيأون ظلال الكسل وفي الحروب يراوغون في التخلف عنها ، وأيضا من أجل إيقاظ روح الجهاد فيهم فالإمام كان يؤنبهم لكي ينتبهوا لحالهم وما يجري حولهم ، فكان لهذه الصور وقعٌ شديدٌ في نفوس السامعين

---

[١]. من الألس : وهو الجنون واختلاط العقل .
[٢]. تاريخ الطبري : م٦/ ٥١.
[٣]. سورة محمد : آية ٢٠.
[٤]. سورة الأحزاب : آية ١٩.
[٥]. شرح نهج البلاغة : م١،ج٢: ١٩٠.
[٦]. الشرى : موضع تنسب أليه الأسود .

وتعتبر حجة عليهم في الدعوة إلى الجهاد في سبيل الله ، ففي هذه الصور انتقل ذهن المتلقي من صور مجردة إلى صور حسية واقعية جذبت العقول وقربت المعنى لدى السامع وأسهمت في توليد دلالة النص ومن ثمَّ إقناع المتلقي وتغيير أفكاره .

وبناء على ما سبق من أمثلة التشبيه المختلفة في خطب الجهاد نلحظ إن التشبيه يحمل طاقة حجاجية إقناعية أكثر منها جمالية تعنى بزخرفة اللفظ وتجميله ، فالتشبيه ينتقل بالسامع من الصور المجردة إلى صور حسية من الواقع قادرة على تقريب المعنى وتغيير الأفكار بما يريد المتكلم من خلال إيراد صور تشبيهية حجاجية تحمل معاني عميقة مشعة بالغموض؛ لأن لذة القارئ لا تكون في العبارات السطحية إذ لا تجذب الانتباه بشكل كبير مثل المعاني المضمرة داخل السياق ولهذا أصبح التشبيه من أهم الآليات الحجاجية التي تعنى بالإقناع بما يريد المتكلم وتقرب المعنى لدى المتلقي زيادة على تحقيق الجمالية في الخطاب والتي تمتع القارئ وتجعله يترنم مع موسيقى التشبيه ، ومن ثمَّ يسهم في توليد دلالة النصوص وتكوينها .

المبحث الثاني : حجاجية الاستعارة

تعد الاستعارة أحدى الأساليب البلاغية والصور البيانية التي اهتم بها البلاغيون والخطباء والنقاد وأولوها عناية فائقة لما لها من قدره تحسينية جمالية تعنى بزخرفة الألفاظ وتقريب المعاني عن طريق نقل ذهن المتلقي من التفكير بصور مجردة إلى التفكير بصور حسية من الواقع قادرة على تجسيد المعنى وتقريبه لديه، وبهذا تسهم في خلق معاني وألفاظ جديدة فضلا عن أنها تجذب العقول وتكون ملفتة للنظر من خلال الصور الجميلة التي ترسمها لكي تزيد من قوه التأثير لدى المتلقي ومن ثمَّ تسهم في توليد دلالة النص .

كثرت تعاريف الاستعارة فقد عرفت على أنها : " نقل العبارة من موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض ، وذلك الغرض غالبًا ما يكون لشرح المعنى و فضل الإبانة عنه أو تأكيده و المبالغة فيه أو الإشارة إليه بالقليل من اللفظ، أو تحسين المعنى الذي ..." [١] ، فالاستعارة ليست إلا تشبيهاً مختصرا لكنها ابلغ منه، و" للاستعارة أجمل وقع في الكتابة لأنها تعطي الكلام قوة ، وتكسوه حسنا ورونقا ، وفيه تثار الأهواء والإحساسات "[٢].

ولهذا نجد عبد القاهر الجرجاني(٤٧١هـ) يقول في الاستعارة: " إنها تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ حتى تخرج من الصدفة الواحدة عدة من الدرر وتجني من الغصن الواحد أنواع من الثمر ..... فانك لترى بها الجماد حيا ناطقا والأعجم فصيحا والأجسام الخرس مبينة والمعاني الخفية بادية ، وإذا نظرت في أمر المقاييس وجدتها ولا ناصر لها اعز منها " .[٣] ، وعرفها ابن الأثير(٦٣٠هـ) قائلا: " إنما سمي هذا القسم من الكلام استعارة لأن الأصل في الاستعارة المجازية مأخوذة من العارية الحقيقية التي هي ضرب من المعاملة" [٤].

---

[١]. كتاب الصناعتين (الكتاب والشعر) ، لابي هلال العسكري : ٢٩٥.
[٢]. المصدر نفسه : ٢٥٩.
[٣]. اسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني : ٤٣.
[٤]. المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر ، لابن الاثير : ج٢/٧٧.

تقسم الاستعارة إلى عدة تقسيمات وأهمها ما يقوم على طرفيها :

أولا: الاستعارة التصريحية : وهي التي يحذف فيها المشبه ويكتفى بذكر المشبه به فقط، وسميت تصريحية؛ لأنها يصرح فيها بذكر المشبه به ، كما في قوله تعالى **{ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ }** [1] ، شبه الله عز وجل الظلال بالظلمات وشبه الهدى بالنور ثم حذف المشبه (الظلال والهدى) واكتفى بلفظ المشبه به (الظلمات والنور) وبالاستناد إلى القرينة السياقية في هذه الآية يعرف المشبه المحذوف .

ثانيا : الاستعارة المكنية : هي التي لا يصرح فيها بلفظ المشبه به (المستعار منه) وإنما يكتفى فيها بذكر المشبه وشيء من لوازم المشبه به ولهذا سميت مكنية ؛ لأنه يكنى فيها عن ذكر المشبه به بذكر شيء من لوازمه كما في قوله تعالى :**{ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ }** [2]، الجناح لازم من لوازم الطائر، إذن الطائر هو المشبه به والمشبه في هذه الآية هو(الذل) وحذف المشبه به لوجود لازم من لوازمه دل عليه وهو (الجناح) .

لا تقتصر الاستعارة على جماليات الألفاظ وزخرفتها فحسب ، بل لها وظيفة أخرى وهي الوظيفة الحجاجية التي تهدف إلى الإقناع بما يريده المتكلم من النص أو الخطاب، إذ تعد الاستعارة من الحجج المؤسسة لبنية الواقع؛ لما لها من وقع كبير في نفس المتلقي إذ تسهم في تغيير أفكاره واستمالة عواطفه ثم تحمله على الإقتناع بما أريد إقناعه به من أفكار وأطروحات وكما ذكر في بداية المبحث أنها تقوم بنقل ذهن المتلقي من الصور المجردة إلى الصور الحسيه الواقعية التي تجسد المعنى وتقربه من خلال الصور الجميلة التي ترسمها ، ومن ثمَّ تسهم في خلق معانٍ جديدة وتوليد دلالة النصوص وتكوينها . وأيضا قد حظيت الاستعارة باهتمام الحجاجيين لأنها تمثل أهم الآليات الحجاجية والبلاغية لما تحققه من نتائج ايجابية في تجسيد الصورة وتقريب المعنى لدى القارئ من فعاليتها في التأثير في الأذهان والإفهام .

---

[1]. سورة ابراهيم : آية ١.
[2]. سورة الاسراء : آية ٢٤.

ومن مصاديق الاستعارة الحجاجية في خطب الجهاد خطبة الإمام علي (عليه السلام) في الحث على الجهاد وذم القاعدين بعد غارة سفيان بن عوف الغامدي على الأنبار وقتل عامل الإمام فيها حسان بن حسان البكري[١] ، فقام الإمام فيهم خطيبا فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه الكريم (صلى الله عليه واله وسلم) **ثم قال : " أما بعد : فأن الجهاد باب من أبواب الجنة ، فتحه الله لخاصة أوليائه ، وهو لباس التقوى ، ودرع الله الحصينة ، وجنته الوثيقة ، فمن تركه رغبة عنه ، البسه الله ثوب الذل ، وشمله البلاء ..... " .**[٢]

فنلحظ في هذه الخطبة وجود ثلاث صور للاستعارة في قوله (لباس التقوى ودرع الله الحصينة وثوب الذل)فقد شبه الإمام الجهاد بلباس التقوى وهي استعاره مكنيه إذ لم يصرح فيها بلفظ المشبه به (المستعار منه)وهو الإنسان واكتفى بذكر المشبه وشيء من لوازم المشبه به وهو(اللباس) ووجه المشابه أن الإنسان يتقي العدو أو سوء العذاب يوم القيامة كما يتقي بثوبه ما يؤذيه، فهو لفظة مأخوذة من الكتاب العزيز ، قال الله سبحانه : { قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوآتكم وريشاً ولباس التقوى }[٣] . ، ومن صور الاستعارة شبه الإمام الجهاد (بدرع الله الحصينة وجنته الوثيقة) أي أن من سعى إلى الجهاد في سبيل الله دخل في حماية ورعاية الله (عز وجل) وبه يحامي المرء عن دينه ونفسه وماله ، واستعارة(ثوب الذل) لمن ترك الجهاد وتخاذل عن القتال بان تخاذله سيلبسه ثوب الذل والعار ويغطيه كما سيغطيه الثوب وهنا أيضا لم يصرح بذكر المستعار منه وهو (الإنسان) وذكر شيء من لوازمه وهو (الثوب) فقد جاء الإمام (عليه السلام) بهذه الصور الإستعارية لتذكير الناس بأهمية الجهاد والقتال في سبيل الله وترغيبهم من خلال ما خصه الله للمجاهدين من هبات معنوية ومادية وان ترك الجهاد سيورث لصاحبه الذل والعار والمسكنة، وهذه حجه الإمام عليهم أمام الله عز وجل؛ لذلك فقد أسهمت هذه

---

[١]. الحارث بن حسان الذهلي البكري الربعي (٤٠ق ه – ٣٦ه) صحابي من الشجعان الفرسان وصاحب رآية بني بكر بن وائل ، شهد يوم الجمل مع الإمام علي (عليه السلام) وكان شيخاً كبيراً ، وكان عامل الإمام على الانبار .
[٢]. نهج البلاغة : ج١/٩٠-٩٢.
[٣]. سورة الأعراف : آية ٢٦.

الصور الإستعارية بالتأثير في المتلقي من خلال نقل ذهنه إلى صور حسية واقعية أشد وقعا في النفس وتجذب العقول فتجعل السامع يفكر كثيرا ليعيد ترتيب أفكاره وتغيير رأيه ومن ثمَّ إقناعه بضرورة الجهاد في سبيل الله عز وجل ، وهذه هي الغاية المرجوة من إيراد هذه الصور الإستعارية في الخطاب فضلا عن إنها تسهم في توليد دلالة النصوص وتكوينها لدى المتلقي .

ومن المصاديق الرائعة للإستعارة الحجاجية في خطب الإمام علي (عليه السلام) خطبته عند خروجه لقتال أهل البصرة : **" قال عبد الله بن عباس :" دخلت على أمير المؤمنين (عليه السلام) بذي قار ، وهو يخصف نعله ، فقال لي :"ما قيمة هذا النعل ؟ " فقلت : لا قيمة لها ، فقال عليه السلام : " والله لهي أحب الي من أمرتكم ، ألا أن أقيم حقاً أو أدفع باطلا " ثم خرج (عليه السلام) فخطب الناس فقال :**

إن الله بعث محمداً (صل الله عليه واله) ، وليس أحدا من العرب يقرأ كتاباً ولا يدعي نبوة ، فساقَ الناس حتى بوأهم محلتهم ، وبلغهم منجاتهم ، فأستقامت قناتهم ، وأطمأنت صفاتهم . إما والله إن كنت لفي ساقتها حتى تولت بحذافيرها ، ما ضعفت ولا جبنت ، وإن مسيري هذا لمثلها فلأنقبن الباطل حتى يخرج الحق من جنبه ، ما لي ولقريش ! والله لقد قاتلتهم كافرين ، ولأقاتلنهم مفتونين ، وأني لصاحبهم بالأمس كما أنا صاحبهم اليوم والله ما تنقم منا قريش إلا إن الله أختارنا عليهم فأدخلناهم في حيزنا ... " .[1]

نلحظ الإستعارة واضحة وجلية في قول الإمام (**فساق الناس حتى بوأهم محلتهم ، وبلغهم منجاتهم ، فأستقامت قناتهم ، وأطمأنت صفاتهم**) إن هذه الأقوال كلها استعارات الغرض منها إلقاء الحجة على الناس ومعرفة الرسالة التي جاء بها الرسول الكريم (صل الله عليه واله) ويقول إبن أبي الحديد في شرحه :" وبوأهم محلتهم : أسكنهم منزلهم ، أي ضرب الناس بسيفه على الإسلام حتى أوصلهم إليه ،

[1]. نهج البلاغة ، ج١ : ١٠٣-١٠٤.

ومثله (وبلغهم منجاتهم) إلا إن ذكر النجاة جاء مصرحاً به على سبيل الإستعارة التصريحية ، كذلك قوله (فأستقامت قناتهم) : وأستقاموا على الإسلام ، أي كانت قناتهم معوجة فاستقامت ، وأطمأنت صفاتهم : كانت متقلقلة متزلزلة ، فاطمأنت " [1].

فنلحظ حجاجية هذه الإستعارات كيف أوصلت المعنى الى ذهن السامع عن طريق التشبيه بمعاني جديدة قادرة على التأثير والأقناع ، إما الإستعارة الأخرى في هذه الخطبة قول الإمام علي (عليه السلام) **(فلأنقبن الباطل حتى يخرج الحق من جنبه)** فهذه هي إستعارة جميلة وفي غاية الدقة ، فقد شبه الإمام الباطل بشيء قد حُبسَ الحق داخله ، فأقسم أن يضربه حتى يخرج الحق منه ، على سبيل الإستعارة المكنية إذ لم يصرح بلفظ المشبه به وأكتفى بذكر المشبه وهو (الباطل) وترك شيء من لوازم المشبه به وهو قوله (من جنبه) على سبيل التجسيم ، فنلحظ كيف صور الإمام علي (عليه السلام) المعاني بصور حسية قادرة على جذب الانتباه و إيصال المعنى بسهولة إلى ذهن السامع مما يزيد من حجاجية الخطاب وقدرته على استمالة المخاطبين .

فنلحظ من خلال هذه الصور الإستعارية في هذه الخطبة كيف إنها نَقلت ذهن المتلقي من التفكير بالصور المجردة إلى التفكير بصور حسية من الواقع لها وقع وتأثير في النفس من خلال تجسيد وخلق معانٍ وألفاظ جديدة لكي يكون للنص سلطة حجاجية إقناعية تؤثر في السامع ومن ثمَّ تغير أفكاره حول الفكرة المطروحة وإقناعه بما أريد إقناعه به، وبهذا تبين إن للإستعارة طاقة حجاجية إقناعية قادرة على التأثير والتغيير وتعتبر من الآليات الحجاجية المهمة في الخطاب ؛ وذلك لأننا كثيرا ما نصادف أشياء نحتاج إلى تقويمها انطلاقا من أشياء أخر.

ومن صور الاستعارة خطبة الإمام علي (عليه السلام) في التحريض على القتال في صفين ، **قائلا : " أن الله عز وجل قد دلكم على تجارة تنجيكم من العذاب ،**

---

[1]. شرح نهج البلاغة : م١/ج٢: ١٨٦.

وتشفي بكم على الخير ، إيمان بالله ورسوله وجهاد في سبيله ... فسووا صفوفكم كالبنيان المرصوص ، وقدموا الدارع وأخروا الحاسر ...، وأميتوا الأصوات ؛ فإنه اطرد للفشل ، وأولى بالوقار ، والتووا في أطراف الرماح ...، والصبر عند نزول الحقائق[١]أهل الحفاظ الذين يحفون برایاتكم ويكتنفونها ، يضربون خلفها وأمامها ، ...، وأستعينوا بالصدق والصبر ؛ فإنه بعد الصبر ينزل النصر " .[٢]

ومن الصور الإستعارية في هذه الخطبة قوله (عليه السلام) ، (فإنه بعد الصبر ينزل النصر) ، تأتي هذه الخطبة في سياق التوجيهات العسكرية للمقاتلين في حرب صفين التي أمرهم بها الإمام علي(عليه السلام) والإلتزام بالصدق والصبر ورفع معنويات المقاتلين ، والمقصود بنزول النصر هي عبارة لتجسيد الانتصار على جيش العدو كما أن النصر هو من عند الله (عز وجل) وهو ينزل من السماء وعبارة ينزل النصر هي تعبير مجازي لان النصر هو شيء معنوي وليس مادي فقد استعار الإمام هذه اللفظة للانتصار والغلبة في المعركة ولتكون ذا وقع كبير ومؤثر في النفس .

ومن الاستعارات في خطب الجهاد خطبه الإمام علي(عليه السلام)في حث أصحابه على الجهاد وقتال العدو ، **قائلا: " أنهدوا إليهم وعليكم السكينة وسيماء الصالحين وقار الإسلام "** . [٣]

فنلحظ الاستعارة في قوله (وقار الاسلام) وتأتي هذه الخطبة في الدعوة الى القتال وبيان صفات المقاتلين وأنصار الإمام(عليه السلام) بأنهم من المؤمنين الصالحين في قوله (وقار الإسلام) والمقصود هو الإيمان والتحلي بصفات الإسلام وإن النصر هو حليف المسلمين المتحلين بهذه الصفات فقد إستعار الإمام هذه اللفظة لكي تكون حجة على أصحابه من اجل تحفيزهم للقتال والجهاد في سبيل الله وان أعداءهم من الجاهلين المبتعدين عن صفات الإسلام الحميدة ، وبهذا تكون لهذه

---

[١]. الحقائق : النازلة الثابتة ، اي بمعنى الهزيمة او المصيبة .
[٢]. وقعة صفين : ٢٣٥- ٢٣٦.
[٣]. وقعة صفين : ٣٩١.

الصورة الإستعارية حافز وتأثير على المقاتلين من اجل مواجهه العدو ، وأسهمت بشكل كبير بإقناع المتلقي إذ دائما ما تأتي الصور الإستعارية لتقويم رأي أو الإقناع بفكره تستدعي تشبيه الأشياء بأشياء أخر.

ومن أمثله الاستعارة الحجاجية في خطب الجهاد خطبه الإمام علي (عليه السلام) عند اختلاف أصحابه في استمرار القتال، **فقام أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال: " انه لم يزل أمري معكم على ما أحب إلى أن أخذت منكم الحرب، وقد والله أخذت منكم وتركت ، وأخذت من عدوكم فلم تترك، وأنها فيهم أنكى وأنهك .....** "[1].

يأتي سياق هذه الخطبة في الدعوة إلى استمرار القتال وان المعركة قد أنهكت العدو وأخذت منه كثيرا فقد استعار الإمام (عليه السلام) لفظة (**أخذت منكم الحرب)** أي أستعار الأخذ من أشياء مادية تؤخذ ، بان الحرب قد أجهدتكم وأضعفتكم وأخذت منكم الشيء القليل من العدة والعدد ولكنها لم تصبكم بشيء من الهزيمة، ولكن أخذت من عدوكم فلم تترك و أنها فيهم (أنكى وأنهك) أي أصابتهم الهزيمة والقرح الشديد والهوان؛ فجاءت هذه الصورة الإستعارية حجة على المقاتلين في المضي بالقتال وتقوية الهمة لديهم وإقناعهم بان عدوهم فقد الكثير والكثير وإنهم قادرون على مواصلة القتال وبهذا خيرهم الإمام (عليه السلام) بمواصلة القتال أو الانسحاب وأبى ان يحملهم على ما يكرهون .

فنلحظ كيف أسهمت الاستعارة في تغيير فكره المقاتلين ومدهم بالعزيمة والهمة لمواصلة القتال وإقناعهم من خلال صورة حسية واقعية .

وبناء على ما سبق من أمثله الإستعارة الحجاجية، تعد الإستعارة الحجاجية من الآليات الحجاجية المهمة، إذ لا يمكن أن تكون الحجة مقنعة للمخاطب ولا يتضح مغزاها ولا يعرف معناها إلا إذا قرنت بشيء من الاستعارة أو التمثيل فهي أكثر تأثيراً ووقعاً في نفس المخاطب أو المتلقي من غيرها من الصور البلاغية الأخرى.

---

[1]. وقعة صفين : ٤٨٤.

ومن ثمَّ فإن الخطاب أو النص الحجاجي لكي يكون ناجحاً من وجهه نظر الحجاج فانه ينبغي استعماله في تعبير يستخدم الاستعارات كوسائل لتجسيد وتقريب المعنى .

عن طريق الاستعارة الحجاجية في الخطاب يقوم المتكلم بتقديم إطارات سطحية معروفة لدى المتلقي تستدعي إطارات عميقة في فهم النص يتم الحصول عليها من التعابير الإستعارية أو من خلال السياق ، وبهذا تصبح الاستعارة وحدة حجاجية أو نظام يقوم برسم الحجج بصورة أكثر إقناعًا وجذبًا للمتلقي ومن ثمَّ يكون ذهنه جاهزاً ومنفتحا لتلقي هذه الأفكار والأطروحات فتكون بمثابة حجج مضادة تعمل على تقويض حجج الجانب الآخر ضمن بنية سردية ضمنية أو صريحة .

المبحث الثالث : حجاجية الكناية

الكناية في لسان العرب : " أن تتكلم بشيء وتريد غيره ، وكنى عن الأمر بغيره يكني كناية ، يعني إذا تكلم بغيره مما يستدل عليه " .[١]

أما الكناية في المعنى الإصطلاحي هي لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة المعنى الأصلي ، " وهي عند أهل البيان أن يريد المتكلم أثبات معنى من المعاني ، لا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ، ولكن يجيء المعنى هو ردفه في الوجود فيومئ إليه ويجعله دليلاً عليه " [٢].

تمنع الكناية من إرادة المعنى الأصلي لخصوص الموضوع ، نحو قوله تعالى { **وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ** } الزمر – آية ٦٧، وكقوله تعالى { **الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ** } طه – ٥، كناية عن تمام قدرة الله عز وجل وقوة التمكن والاستيلاء .

تتألف الكناية من ثلاثة أركان هي :

١.المكنى به : هو دلالة اللفظ الظاهر التي تقوم دليلا على مراد المتكلم .

٢.المكنى عنه : هو المعنى اللازم للمكنى به الذي يرمي إليه الناطق بالكناية .

٣.القرينة العقلية التي تفهم من سياق الكلام لتدل على المكنى عنه ، وتمنع من إرادة المعنى المكنى به .[٣]

أما عبد القاهر الجرجاني فيقول في أثبات الكناية للمعنى : " أن كل عاقل يعلم إذا رجع إلى نفسه أن إثبات الصفة بإثبات دليلها ، وإيجابها بما هو شاهد في وجودها ، أكد وابلغ في الدعوى من أن تجيء إليها فتثبتها هكذا ساذجا غفلا ".[٤] لذلك فان

---

[١]. لسان العرب : مادة كني : ٢٣٣/١٥.
[٢]. البرهان في علوم القرآن : ج٣٠١/٢.
[٣]. ينظر : البلاغة والتطبيق ، د. احمد مطلوب : ٣٧.
[٤]. دلائل الاعجاز ، عبد القاهر الجرجاني : ٧٢.

الكناية عندما تقرع ذهن السامع تدفعه إلى البحث عن الدلالة التلازمية ما بين معنى اللفظ الظاهر والمعنى الخفي او المضمر .

ومن مميزات بلاغة الكناية أنها :"من ألطف أساليب البلاغة وأدقها وهي أبلغ من الحقيقة والتصريح ؛لان الانتقال فيها يكون من اللازم إلى الملزوم فهو كالدعوة ببينه كما أنها في صور كثيرة تعطيك الحقيقة مصحوبة بدليلها، فضلا عن أنها تضع لك المعاني في صور المحسوسات، ومن أوضح ميزات الكناية التعبير عن القبح بما تسيغ الآذان سماعه ".[1]

إما من الناحية الجمالية فان الكناية تكسي الخطاب رونقا وجمالا ، وتكسب المعاني ديباجة وكمالاً ، كما تكون اشد وقعا في النفوس وتجذب القلوب إلى فهمها وبهذا تكون صورها جلية وواضحة ليكون التعبير بها حجة على صدق المعنى ودليل إثباته مما يزيد تأثيره في النفس وترسيخه.

أما أهمية الكناية من الناحية الحجاجية فهي قدرتها على إثبات المعنى بطريقة ضمنية تفهم من خلال سياق الكلام، فلا تذكره باللفظ الموضوع له أي اللفظ الظاهر وإنما تأتي بمعنى يكون رديف المعنى الظاهر وتجعله دليلا عليه وبهذا تكون عمليه التصوير الكنائي هي نقل ذهن المتلقي من التفكير بصور مجردة إلى التفكير بصور حسية واقعية تفهم من سياق الكلام ويدل عليها المعنى الظاهر، وبهذا تصبح للكناية طاقة حجاجية إقناعية تفوق الاستعارة والتشبيه من خلال إيراد معاني مكنى بها عن معنى ضمني في سياق الكلام تجعل المتلقي يفكر بعيدا في ذلك المعنى ويتمعن به جيدا ، ومن ثمَّ استمالته لما يعرض عليه فيقع التأثير في عقله ووجدانه .

تُعَد الكناية في نظرية الحجاج أبلغ و أوكد من التصريح والحقيقة لأنك عندما تذكر معنى وتصرح به يكون معروفا لدى الجميع ولكن عندما تأتي بمعنى مكنى به عن معنى آخر يستدعي التفكير والانجذاب لذلك المعنى من خلال قرينة عقلية تكون في سياق الكلام، وبهذا تكون الكناية أشد محاججة من الصور البلاغية الأخرى لما

[1]. جواهر البلاغة : ٢٩٢- ٢٩٤.

تضفيه على الخطاب من رونق وجمال و غموض يستدعي الدهشة والتفكير بتلك المعاني فتكون قادرة على تجسيدها وإثباتها من خلال معنى مضمر وعميق ؛ لذلك فإن للكناية مقامها الخاص التي لا يستطيع أي أسلوب أخر أن يؤدي أدائها؛ لان هناك مقامات يكون التصريح فيها غير لائق ، لذلك يقتضي إيراد الكناية فيها فيقع التأثير والإقناع وتتحقق حجاجية التواصل .

وتأسيساً على ما سبق يتبين أن مفهوم الكناية وطريقة إثباتها للمعنى مبنية على الغاية الحجاجية ؛ لأن المتكلم لا يلجا إليها ليحقق التواصل ونقل المعلومة فقط بل ليؤكد صدق ما يلقيه إلى المتلقي من خلال الخطاب الكنائي ، ومن ثمَّ يساهم في توليد دلاله النص وتكوينها ، ولذلك عُدت الكناية من طرائق إثبات المعنى والدليل عليه ببينة .

ومن صور الكناية الحجاجية في خطب الجهاد عند الإمام علي (عليه السلام) والتي استطاع من خلالها الدعوة إلى الجهاد في سبيل الله وإيصال هذه الفكرة إلى الناس بأجمل وأعمق صورة تحمل المتلقي على التفكير والانجذاب إليها ومن ذلك خطبة الإمام علي(عليه السلام)لأصحابه في بعض أيام صفين يقدم لهم بعض التوصيات والتوجيهات في القتال **قائلا:" معاشر المسلمين استشعروا الخشية، وتجلببوا السكينة، وعضوا على النواجذ فأنه أنبى للسيوف عن الهام، وأكملوا اللامة ،وقلقلوا السيوف في أغمادها قبل سلها ، وألحظوا الخزر، وأطعنوا الشزر، ونافحوا بالظبا وصلوا السيوف بالخطا ، واعلموا أنكم بعين الله ..... وعليكم بهذا السواد الاعظم " .**[1]

نلحظ صور الكناية في هذه الخطبة في قوله (عضوا على النواجذ ،والحظوا الخزر، أنكم بعين الله، السواد الأعظم) ففي الصورة الأولى (عضو على النواجذ) هي كناية عن إستجماع قوة الجيش والنواجذ :" جمع ناجذ ، وهو أقصى الأضراس ؛ وللإنسان أربعة نواجذ في كل شق ؛ والنواجذ بعد الأرحاء ، ويسمى الناجذ ضرس

[1]. نهج البلاغة : ج١/١٣٩.

الحلم ، لأنه ينبت بعد البلوغ وكمال العقل ؛ ويقال أن العاض على نواجذه ينبو السيف عن هامته نبواً ؛ وهذا مما يساعد التعليل الطبيعي عليه ؛ وذلك أنه إذا عض على نواجذه تصلبت الأعصاب والعضلات المتصلة بدماغه ، وزال عنها الإسترخاء ، فكانت على مقاومة السيف أقدر ".[1] إذن فأن النواجذ هي أقصى الأضراس ويعض المرء نواجده حين يشتد غيظه ولكن المراد منها أن تستجمعوا كل قوتكم فقد استطاع الإمام من خلال صورة هذه الكناية دعوه الجيش إلى استجماع قواهم لأجل الاستعداد للقتال من خلال معنى مضمر وعميق يستدعي الانجذاب والتفكير به ،أما الصورة الثانية في قوله (والحظوا الخزر) والخزر من إمارات الغضب وكانت هذه الصورة الكنائية دعوة إلى ترك الغضب في المعركة وضبط النفس وهذه تعتبر حجه عليهم ، أما قوله (أنكم بعين الله) أي أنتم في رعآية الله وحفظه فلا تخافوا ولا تخشوا من شيء فانتم ملحوظون بعنايته سبحانه وتعالى ، وأيضا من صور الكناية في هذه الخطبة قوله(السواد الأعظم)وهي كنايه عن العدد الكثير من الجيش فهي إشارة إلى جمهور أهل الشام ويريد الإمام بهذا القول أن يجعل أصحابه مستعدين بكامل قواهم لمواجهة أي عدد كان من الجيش، فنلحظ أن صور الكناية هذه قد أضفت على الخطاب رونقاً وجمالاً جذاباً جعل النفوس تهوي وتنجذب إليه وتتلقاه بالقبول ومن ثمَّ يساهم في إقناع المتلقي بما أملي عليه من أفكار وأطروحات فتكون قادرة على إثبات المعنى مما يزيد تأثيره في النفس .

ومن صور الكناية خطبة الإمام علي (عليه السلام) في التحريض على القتال في صفين ، **قائلا : " أن الله عز وجل قد دلكم على تجارة تنجيكم من العذاب ، وتشفي بكم على الخير ، إيمان بالله ورسوله وجهاد في سبيله ... فسووا صفوفكم كالبنيان المرصوص ، وقدموا الدارع وأخروا الحاسر ...، وأميتوا الأصوات ؛ فإنه اطرد للفشل ، وأولى بالوقار ، والتووا في أطراف الرماح ...، والصبر عند نزول**

[1]. شرح نهج البلاغة : م٣، ج٥: ١٦٩.

الحقائق[١]أهل الحفاظ الذين يحفون برایاتكم ويكتنفونها ، يضربون خلفها وأمامها ، ...، وأستعينوا بالصدق والصبر ؛ فإنه بعد الصبر ينزل النصر " .[٢]

ومن صور الكناية في هذه الخطبة قوله (عليه السلام) ، (أميتوا الأصوات وينزل النصر) ، تأتي هذه الخطبة في سياق التوجيهات العسكرية للمقاتلين في حرب صفين التي أمرهم بها الإمام علي(عليه السلام)ومن جمله هذه التوجيهات هي التزام الصمت في المعركة فقد شبه السكوت بالموت في صورة (وأميتوا الأصوات) وهي عبارة تشخيص فموت الصوت يعني الصمت او السكوت فقد استعار الإمام للصوت صفة من صفات الكائنات الحية إذ لم يصرح بلفظ المشبه به وهو الصمت وذكر شيئا من لوازمه وهو موت الصوت لوجود لازم من لوازمه دل عليه، فالموت هو تعبير عن الصمت المطبق حتى لا يعطي فرصة للعدو بإلحاق الأذى بهم ، وقد علل لذلك بقوله :"فإنه أطرد للفشل وأولى بالوقار" وكان هذا التوجيه حجه للمقاتلين من اجل الابتعاد عن الفشل في الحرب وإعطاء الوقار للمقاتلين من خلال التزام الصمت والهدوء ، إما الصورة الإستعارية الثانية في الخطبة قوله (فانه بعد الصبر ينزل النصر)والمقصود بنزول النصر هي عبارة لتجسيد الانتصار على جيش العدو كما أن النصر هو من عند الله (عز وجل) وهو ينزل من السماء وعبارة ينزل النصر هي تعبير مجازي لان النصر هو شيء معنوي وليس مادي فقد استعار الإمام هذه اللفظة للانتصار والغلبة في المعركة .

ومن الصور الكنائية الحجاجية الجميلة والدقيقة التي تجذب المخاطب خطبة الإمام علي (علي السلام) في استنفار الناس لقتال معاوية ، قائلا :" **عباد الله : ما لكم إذا أمرتكم أن تنفروا في سبيل الله أثاقلتم إلى الأرض ! أرضيتم بالحياة الدنيا من الأخرة بدلا ، وبالذل والهوان من العز خلفا ؟ أو كلما ندبتكم إلى الجهاد دارت أعينكم ، كأنكم من الموت في سكرة ، وكأن قلوبكم مألوسة[٣]، فأنتم لا تعقلون ،**

---

[١]. الحقائق : النازلة الثابتة ، اي بمعنى الهزيمة او المصيبة .
[٢]. وقعة صفين : ٢٣٥- ٢٣٦.
[٣]. من الألس : وهو الجنون واختلاط العقل .

وكأن أبصاركم كمه[١] فأنتم لا تبصرون ؛ لله أنتم ! ما أنتم إلا أسود الشرى[٢] في الدعة[٣] ، وثعالب رواغة حين تدعون إلى البأس ! ما أنتم لي بثقة سجيس الليالي[٤] ،وما أنتم بركن يمال بكم ، ولا زوافر عز يفتقر إليكم".[٥]

نلحظ صور الكناية الحجاجية في قول الإمام (عليه السلام) (**ما أنتم لي بثقة ، سجيس الليالي)** ومعنى ذلك:" إنها كلمة تقال للأبد ، تقول : لا أفعله سجيس الليالي ، معنى ذلك الدهر كله ، والزمان ، وأبداً "[٦] ففي قوله سجيس الليالي كناية عن عدم الثقة ، والمعروف عن الليل ظلامه الشديد والسكون والخوف الذي ينتابه فينتج عن ذلك فقدان ثقة المرء وسكينته في الليل ، وبهذه الصورة الجميلة والملفتة للنظر عبر الإمام علي (عليه السلام) عن عدم ثقته في الناس جراء قعودهم عن الجهاد وتخاذلهم عن نصرة الحق وقتال الباطل المتمثل بمعاوية وجنوده ،كذلك قول الإمام **(أثاقلتم إلى الأرض)** فهو تعبير كنائي عن التهاون والتخاذل بعدم النصرة والركون الى الدنيا والدعة والراحة ، فقد عملت هذه الصور الكنائية الدقيقة على جذب النفوس للخطاب المراد إقناعهم به ، بواسطة أسلوب حجاجي إقناعي متمثل بصور حسية واقعية لأجل جذب الناس وتغيير أفكارهم المتناقضة حول الجهاد في سبيل الله وقتال أعداء الإسلام والمسلمين .

ومن صور الكناية الحجاجية ما جاء في خطبة الإمام علي(عليه السلام) في استنفار بني تميم ليستنهض إلى البصرة من يكفيه أمر ابن الحضرمي ويرد عاديه بني تميم الذين أجاروه بها، فلم يجبه احد **فخطبهم وقال:" أليس من العجب أن ينصرني الأزد وتخذلني مضر؟ وأعجب من ذلك تقاعد تميم الكوفة بي ، وخلاف تميم البصرة علي وان أستنجد بطائفة منها تشخص إلى إخوانها فتدعوهم إلى الرشاد فان أجابت وإلا فالمنابذة والحرب، فكأني أخاطب صما بكما لا يفقهون**

---

[١]. كمه : جمع اكمه من كمه بصره أي اعترته ظلمة تطمس عليه .
[٢]. الشرى : موضع تنسب اليه الاسد .
[٣]. الدعة : أي في وقت الدعة والخفض .
[٤]. يقال : لا اتيك سجيس الليالي : أي ابدا .
[٥]. نهج البلاغة: ج١/١٠٥.
[٦]. شرح نهج البلاغة : م١/ ج٢: ١٩٠.

حوارا..... ولعمري لو كنا نأتي ما أتيتم ما قام للدين عمود ولا اخضر للأيمان عود، وآيم الله لتحتلبنها دما ، ولتتبعنها ندما " .[1]

نجد في هذه الخطبة صورة كنائية في غاية الروعة في توبيخ بني تميم وبعض الأقوام بسبب تخاذلهم عن نصره إخوانهم والقتال في سبيل الله في قوله:**" وآيم الله لتحتلبنها دما "** وهي صورة كناية تقال لمن أسرف في الأمر، وأصل القول أن الناقة عندما يفرط في حلبها فيحلب الحالب الدم ، أي عندما ينفذ حليبها أو يكون ضرعها فارغ فينزل الدم، وهذه كناية عن أنكم لا تجنون خيرا جراء تقاعدكم وتخاذلكم عن نصرة إخوانكم وقد أسرفتم في القعود عن القتال والدفاع عن الدين والإخوان ، وهذه الصورة فيها تهديد بأن مآلهم ومصيرهم إلى الندم بسبب التخلف عن الجهاد ضد معاوية ، وهي صورة في غاية الدقة فهي عندما تضرب الأسماع تجعل المقابل في دهشة وانجذاب لما لها من معنى ثابت مع الدليل فقد نقلت التفكير من الصور المجردة إلى صور حسية واقعية عملت على تجسيد المعنى وتقريبه وجعله ثابت في الذهن فيكون الإمام (عليه السلام) بهذه الصورة قد حفز القوم وأثار في قلوبهم الغيرة والحمية للدفاع عن أخوانهم لما لهذا القول من وقع شديد في نفوسهم انطلاقا من معاني حسية تلامس القلوب وتنجذب لها العقول وتتلقاها بالقبول مما يزيد من قوة الإقناع في الخطاب ومن ثمَّ تكون الكناية قد أضفت على الخطاب سمة حجاجية إقناعية كبيرة أسهمت في توليد دلالة النص وايصالها للمتلقي .

ومن صور الكناية الحجاجية ما جاء في خطبة الإمام علي (عليه السلام) في استنفار الناس لقتال معاوية ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه الكريم (صلى الله عليه واله وسلم) **ثم قال : " عباد الله : ما لكم إذا أمرتكم أن تنفروا في سبيل الله أثاقلتم إلى الارض ! أرضيتم بالحياة الدنيا من الأخرة بدلا ، وبالذل والهوان من العز خلفا ؟ أو كلما ندبتكم إلى الجهاد دارت أعينكم ، كأنكم من الموت في سكرة ، وكأن قلوبكم مألوسة[2]، فأنتم لا تعقلون ، وكأن أبصاركم كمه فأنتم لا**

---

[1]. جمهرة خطب العرب : ٤٣٦-٤٣٧.
[2]. من الألس : وهو الجنون واختلاط العقل .

تبصرون ؛ لله أنتم ! ما أنتم إلا أسود الشرى في الدعة ، وثعالب رواغة حين تدعون إلى البأس ..... " .[١]

نلحظ الكناية في قوله (**كلما ندبتكم إلى الجهاد ، دارت أعينكم**) فهو كناية عن الخوف والأضطراب أي أنه عندما ناديتكم الى الجهاد دارت أعينكم عنه نتيجة الخوف والتخاذل عن الجهاد في سبيل الله ، وفي هذا القول(دارت أعينكم) أستند الإمام علي (عليه السلام) إلى قوله تعالى : { تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت }[٢]، فنلحظ كيف إستطاعت الكناية على تجسيد المعنى بصورة حسية أقرب الى النفس إذ يزداد معها التأثير والإقناع ، وأيضا عملت على زيادة جمالية المعنى ، فضلا عن ذلك الإيجاز الذي يحارب الملل والفتور، ومن ثمَّ عملت الاستعارة على جذب عقول المتلقين وتغيير أفكارهم وإقناعهم بضرورة الجهاد في سبيل الله .

وأيضا من صور الكناية الحجاجية خطبه الإمام علي (عليه السلام) لما عزم على حرب الخوارج ، وقيل له أنهم عبروا جسر النهروان، **فقال :" مصارعهم دون النطفة والله لا يفلت منهم عشرة ، ولا يهلك منكم عشرة " .**[٣]

فنلحظ صورة الكناية في قوله(مصارعهم دون النطفة)يقول الشريف الرضي:" يعني بالنطفة ماء النهر وهو أفصح كناية عن الماء وان كان كثيرا جما "[٤]، وهي كناية عن صفة إذ أراد الإمام من هذا القول إقامة الحجة على إصحابه وإخبارهم بمصير الخوارج إذا عبروا الجسر وليثبت الإمام لأصحابه بأنهم أقوياء وذوي بأسٍ شديد لكي تكون قلوبهم حاضره للقتال ولا يدب فيها الخوف وأيضا ليثبت لهم بأنه معهم وفي مقدمتهم ، فنلحظ من ذلك طاقه الكناية الحجاجية وقدرتها على حسم الأمر وتثبيت المعنى، ومن ثمَّ إقناع المتلقي من خلال صور ومعانٍ جميلة ذات وقعٌ شديد في النفوس؛ لأننا في كثير من الأحيان نحتاج إلى تقويم أشياء ومعاني بالاعتماد

---

[١]. تاريخ الطبري : م٦/ ٥١.
[٢]. سورة الأحزاب : آية ١٩.
[٣]. نهج البلاغة : ج١٣٢/١.
[٤]. م ن : ١٣٢.

على معاني أخر ، فضلا عن تشبيه المعاني بمعان حسية من الواقع قادرة على تجسيد المعنى بصوره تامة .

تقع هذه الصورة الكنائية في إطار الحديث عن إستشراف الغيب عن الإمام علي (عليه السلام) إذ اعلم أصحابه بما سيؤول إليه مصير الخوارج إذا عبروا الجسر ومن ثمَّ جعل الإمام هذا الخبر حجة على أصحابه بأنه سيكون النصر حليفهم.

ومن صور الكناية خطبة الإمام علي (عليه السلام) لما قتل **الخوارج فقيل له : يا أمير المؤمنين هلك القوم بأجمعهم ، فقال (عليه السلام) : " كلا والله إنهم نطف في أصلاب الرجال وقرارات النساء ، كلما نجم منهم قرن قطع حتى يكون أخرهم لصوصا سلابين " .**[1]

نلحظ صورة الكناية في قول الإمام (قرارات النساء) كنايه عن موصوف وهو(الارحام)، أي أن له أعداء ومبغضين في أصلاب الرجال وأرحام النساء وكلما ظهر وطلع منهم أحد قتل حتى ينتهي أمرهم إلى أن يكونوا لصوصا سلابين وقتلة، وهذه حجة الإمام على أصحابه بان لا يأمنوا شر الخوارج ومكرهم في كل زمان ومكان ، وذلك لسوء عقيدتهم التي نشأوا وتربوا عليها بعدم طاعة الإمام والخروج على امام زمانهم ، فنلحظ ما للكناية من قدرة على رسم المعاني وتجسيدها في النفس بالاعتماد على معاني حسية واقعية ، ومن ثمَّ ساهمت في عملية الإقناع والقبول لدى المتلقي .

وأيضا من صور الكناية الحجاجية خطبة الإمام علي (عليه السلام) في بعض أيام صفين لما رأى ميمنته قد عادت إلى مصافها وموقفها وكشف من بإزائها حتى ضاربوهم في مواقفهم ومراكزهم، اقبل حتى انتهى إليهم **فقال :" إني قد رأيت**

---

[1]. نهج البلاغة : ج١/ ١٣٢.

جولتكم وانحيازكم عن صفوفكم يحوزكم الجفاة الطغام ، واعراب اهل الشام ، وانتم لهاميم العرب ، والسنام الاعظم ، وعمار الليل بتلاوة القران " .[1]

صوره الكناية في هذه الخطبة في قوله(السنام الأعظم) كناية عن علو مكانتهم وعزتهم وحميتهم وأنهم أشراف العرب والمحامين عن الإسلام، وأصل القول أن السنام يطلق على ظهر الجمل الذي يكون بشكل متحدب ومرتفع ، فقد أراد الإمام(عليه السلام) من هذا القول أن يقوي عزيمة أصحابه ويدب في قلوبهم الاعتزاز بالنفس بعد ما رأى من قتالهم وجولاتهم في المعارك لكي لا تضعف العزيمة عندهم فأراد الإمام مدحهم ببعض الصفات لكي تكون حجه عليهم من خلال صورة الكناية الحجاجية مع التشبيه البليغ ، لما لها من قدره على تجسيد وتقريب المعاني في النفوس من خلال معاني حسية واقعيه تلامس القلوب وتتلقاها بالقبول والإقناع .

ومن الكناية الحجاجية خطبة الإمام علي (عليه السلام) لما رجعت رسله من عند طلحه والزبير يؤذنونه بالحرب ، قام فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله (صل الله عليه واله) **ثم قال:" أيها الناس أني قد راقبت هؤلاء القوم كي يرعوا أو يرجعوا ووبختهم بنكثهم وعرفتهم بغيهم ، فلم يستحيوا، وقد بعثوا ألي أن ابرز للطعان ، واصبر للجلاد وإنما تمنيك نفسك أماني الباطل وتعدك الغرور، ألا هبلتهم الهبول، لقد كنت وما أهدد بالحرب ولا ارهب بالضرب ولقد أنصف القارة من رماها ، فليرعدوا وليبرقوا فقد رأوني قديما وعرفوا نكايتي ، فكيف رأوني ؟ أنا أبو الحسن الذي فللت حد المشركين ، وفرقت جماعتهم ، وبذلك القلب ألقى عدوي اليوم ..... " .**[2]

الكناية الحجاجية واضحة في قوله (فليرعدوا وليبرقوا) وهي كناية عن الضجيج والفوضى والتخويف الذي يحدثه أعدائه في قلوب الناس ولكنهم يعرفون من هو أبو الحسن(عليه السلام)، والصورة الثانية في قوله (فللت حد المشركين) كناية عن قتالهم وتفريق جماعتهم ، وهذه حجة الإمام على أعدائه بأنهم قد رأوه قديما في

---

[1]. وقعة صفين : ٢٥٦.
[2]. جمهرة خطب العرب : ٢٨٨.

الحروب وعرفوا قتاله فهو علي بن أبي طالب(عليه السلام) الذي لا يثني ضربته فهو مسدد بالنصر والتأييد ومنصب من الله تعالى (عز وجل) وعلى يقين من أمره وأيضا ليعلم أنصاره وأصحابه مقامه وشجاعته في الحروب، فنلحظ كيف عملت صورة الكناية على تجسيد المعنى وتثبيته في قلوب السامعين فقد صورت المعنى بمعاني حسية واقعية وكانت من أجمل الطرائق في التعبير عن المعنى وما يجيش في الصدر، فعملت هذه الحجة على تثبيط عزيمة أعدائه وتقوية عزيمة أنصاره بأن قائدهم شجاع كرار منصور من الله (عز وجل) ومن ثمَّ أدت صورة الكناية إلى التأثير والإقناع وتوصيل دلاله النص إلى المتلقي .

وأيضا نرى حجاجية الكناية بصورة واضحة في خطبة الإمام علي (عليه السلام)في صفين لأصحابه عندما رأى عزيمتهم قد ثَبطت في استمرار القتال فقام الإمام علي (عليه السلام)فيهم خطيبا فحمد الله أثنى عليه **ثم قال:" أيها الناس قد بلغ بكم الأمر وبعدوكم ما قد رأيتم ، ولم يبق منهم إلا أخر نفس، وان الأمور إذا أقبلت اعتبر أخرها بأولها وقد صبر لكم القوم على غير دين حتى بلغنا منهم ما بلغنا وأنا غاد عليهم بالغداة ، أحاكمهم إلى الله عز وجل " .**[1]

نجد صورة الكناية جلية في قوله(ولم يبقى منهم إلا أخر نفس) وهي كناية عن فنائهم والقضاء عليهم ، وهذه حجة الإمام على أصحابه بأن عدوهم قد تكبد الأضرار الجسيمة المادية والمعنوية وقد أنهكت الحرب قواهم ولم يبقَ إلا القليل حتى ننتصر عليهم فلا تقل عزيمتكم ولا تتراجعوا في قتالهم طرفة عين أبدا ؛ لأنكم بقتالكم هذا على حجة وحق ، وهم يقاتلون على باطل؛ لذلك أسهمت هذه الصورة الكنائية على شد العزيمة والحث على الإصرار بالقتال ورفع معنويات أنصار الإمام (عليه السلام) ، فنلحظ كيف أسهمت هذه الصورة في التأثير والإقناع من خلال تجسيد المعنى بمعان حسية واقعية قادرة على تثبيت المعنى في نفس السامع وإبعاده عن التفكير بالصور المجردة وبهذا تعمل على إيصال المعنى بأجمل وأبهى

[1]. وقعة صفين : ٤٧٦.

صورة مما يزيد تأثيره في النفس فتكون الكناية هنا ذات قيمة حجاجية إقناعية كبيرة.

وتأسيساً على ما سبق من صور الكناية الحجاجية في خطب الإمام علي(عليه السلام) الجهادية، تبين إن الكناية قد حققت الغاية المرجوة من ورودها في الخطاب إذ أسهمت برسم المعاني بصورة جميلة وجذابة وخلق معاني جديدة تجسد المعنى وتقربه للنفس، إذ تُعد الكناية أبلغ من التصريح ؛ بسبب تعبيرها الإيحائي فهي تضفي على الخطاب سمة حجاجية إقناعية تعمل على استمالة المخاطب لما يعرض عليه وإقناعه بما أريد إقناعه به، وحمله على التأثير والإقناع وعاده ما يستخدم المتكلم الكناية لتقوية حجته وجذب أفكار المتلقين من خلال معاني حسية من الواقع، إما قلة صور الكناية في خطابات الإمام علي (عليه السلام) فقد عمد إلى الأسلوب المباشر للخطاب لأجل أن يكون له وقع شديد في العقول وإيقاظها من نومها ، وبهذا تُعد الكناية من أهم الآليات الحجاجية والصور البيانية التي تجعل الخطاب مقنعاً وجميلاً أكثر من غيره ومن ثمَّ تسهم في توليد دلالة النصوص وتكوينها لدى المتلقي.

المبحث الرابع : حجاجية الإقتباس القرآني

يعد القران الكريم سلطة دينية وحجة بالغة على جميع المخلوقات، فهو معجزة الله عز وجل عند المسلمين ، ولا يمكن إنكاره بأي شكل من الأشكال، و هو دستور حياة ونظام إسلامي شامل، وبه احتج الله (عز وجل) على جميع خلقه ووضع لهم أساس يستندون إليه في جميع ما أشكل عليهم، فضلا عن أن معظم الناس يخضع له بالتسليم والخضوع باعتباره خطاب سلطوي إلهي وديني قوي يمثل أنموذج الحق الذي لا يمكن الشك به .

عادة ما يلجأ الخطباء في خطاباتهم إلى الاستشهاد بالقران الكريم لتقويه حجة الخطاب بإعتبار أن القران الكريم حجة بالغة على الناس لكي تزيد قوة الإقناع في الخطاب، وإقناع السامعين بالأفكار والأطروحات التي يرمي المخاطب إيصالها إليهم لما للقران الكريم من وقع شديد في النفوس إذ تنجذب له العقول وترتاح له القلوب لأنه كلام الله سبحانه وتعالى .

يمتلك الشاهد القرآني طاقة حجاجية إقناعية كبيرة تفوق جميع الصور البلاغية والبيانية ، لأنه خطاب الهي لا يمكن رده وإنكاره ، فهو عندما يرد في الخطاب يكون أكثر إقناعا من غيره من الحجج ، كما يعد الشاهد القرآني " من الحجج الجاهزة التي تكتسب قوتها من مصدرها ومن مصادقة الناس عليها وتواترها ، وتدخل الخطيب ينحصر في اختيارها وتوجيهها إلى الغرض المرصود للاستدلال عليه ".[1]

إما في خطب الجهاد عند الإمام علي (عليه السلام) فقد عمل الإمام في خطاباته إلى الاستشهاد بالقران الكريم لتقوية حجته وتمكين أفكاره لدى السامعين في الدعوة للجهاد في سبيل الله وقتال المعتدين على الدين والشريعة، ولا يخفى على المسلمين أن الإمام علي (عليه السلام) هو حجة الله في أرضه ، وكلامه يعد حجه عليهم؛ لأنه منصب من الله (عز وجل) ولكن بسبب جهل بعض الناس وقلة إيمانهم به (عليه

[1]. بلاغة الخطاب الاقناعي : ٩٠.

السلام) فقد أستشهد الإمام بالقران الكريم في خطاباته ليضع الحجة عليهم ويقنعهم بضرورة الجهاد في سبيل الله والدفاع عن الإسلام والمسلمين ، فضلاً عن أن الخطاب السماوي سبيلٌ لإعلاء كلمة النص .

وبذلك نرى الشواهد القرآنية واضحة وصريحة في خطب الجهاد عند الإمام علي (عليه السلام) من اجل تقوية الحجة عند المقاتلين وإلزامهم بضرورة الجهاد في سبيل الله ، ومن ذلك خطبة الإمام علي (عليه السلام) في صفين يذكر فيها بعض صفات الرسول (صل الله عليه واله) ويدعو فيها إلى الجهاد في سبيل الله وفيها يقول **:" الحمد لله على نعمه الفاضلة على جميع من خلق من البر والفاجر ، وعلى حججه البالغة على خلقه من أطاعه فيهم ومن عصاه ، إن رحم فبفضله ومنه وان عذب فبما كسبت أيديكم، وان الله ليس بظلام للعبيد، أحمده على حسن البلاء وتظاهر النعماء ،واستعينه على ما نابنا من أمر دنيا وأخره، وأؤمن به وأتوكل عليه وكفى بالله وكيلا، ..... وأنا من أهل بدر ومعاوية طليق ابن طليق، والله أنكم لعلى حق وأنهم على باطل فلا يكونن القوم على باطلهم اجتمعوا عليه، وتفرقون عن حقكم حتى يغلب باطلهم حقكم" قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم"**[1] **فان لم تفعلوا يعذبهم بأيدي غيركم" .**[2]

فقد استشهد الإمام علي (عليه السلام) في هذه الخطبة بالآية القرآنية**(قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ)** وهي دعوة الإمام (عليه السلام) لجنوده بمقاتلة معاوية وجنوده الباغين المغتصبين وهو وعد من الله (عز وجل) بان يعذبهم بأيديكم ويذلهم بالهزيمة والخزي ، وينصركم عليهم ويعلي كلمته ويشفي بهزيمتهم صدوركم ، فإن لم تفعلوا يعذبهم الله بأيدي غيركم ، وهذه حجه الإمام(عليه السلام) عليهم مستنداً إلى كتاب الله (عز وجل) من أجل أن يكون للحجة وقع شديد في نفوس المقاتلين وبها تقوى عزيمتهم وإصرارهم على قتال أعداء الله والمعتدين لكي لا يكون لهم عذر بعد قول الله (عز وجل) .

---

[1]. سورة التوبة : آية ١٤.
[2]. وقعة صفين : ٣١٣- ٣١٤.

وأيضا من الشواهد القرآنية في خطب الجهاد عند الإمام علي (عليه السلام) إنه لما مر الإمام علي (عليه السلام) على جماعة من أهل الشام بصفين فيهم الوليد بن عقبة وهم يشتمونه ويقصبونه، فأخبروه بذلك فوقف في ناس من أصحابه فقال :" **أنهدوا أليهم وعليكم السكينة وسيماء الصالحين وقار الإسلام ، والله لأقرب قوم من الجهل بالله (عز وجل) قوم قائدهم ومؤدبهم معاوية وابن النابغة وأبو الأعور السلمي وابن أبي معيط شارب الحرام والمجلود حدا في الإسلام ، وهم أولاء يقومون فيقصبونني ويشتمونني ، وقبل اليوم ما قاتلوني وشتموني..... فاستمالوا أهوائهم بالإفك والبهتان وقد نصبوا لنا الحرب، وجدوا في إطفاء نور الله "والله متم نوره ولو كره الكافرون" اللهم فأنهم قد ردوا الحق فأفضض جمعهم وشتت كلمتهم وابسلهم بخطاياهم ؛ فإنه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت "** .[1]

نلحظ استشهاد الإمام علي (عليه السلام) في هذه الخطبة بالآية القرآنية في قوله تعالى " **يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**" [2]، فقد استشهد الإمام بهذه الآية المباركة لكي يبين لأصحابه أن أعداء الله يظنون عندما يشتمونني أنهم قادرون على إطفاء نور الله وإبطال الحق الذي بعث به الرسول محمد (صلى الله عليه وآله) بأقوالهم الكاذبة والله مظهر الحق بإتمام دينه ولو كره هؤلاء الجاحدون، وأن الدخول تحت ولآية أمير المؤمنين وطاعته هو الحق والنور وهؤلاء أرادوا إطفاء هذا النور أي الولآية ، والله متم نوره بجهادكم وطاعتكم، وهذه حجة الإمام عليه السلام على أصحابه بأن حجة الله (عز وجل) بالغة وتامة على أعدائه ودعوه لنا لقتال هؤلاء المعتدين وشد عزيمتكم فانه لا يذل من كان في ولايتي ولا يعز من عاداني .

إما تفسير هذه الآية عند أهل البيت (عليهم السلام) فقد روى الكليني عن محمد بن الفضيل عن أبي الحسن الماضي ، قال : سألته عن قول الله عز وجل : (يُرِيدُونَ

---

[1]. وقعة صفين : ٣٩١.
[2]. سورة الصف : آية ٨.

لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) ، قال : يريدون ليطفئوا ولآية أمير المؤمنين (عليه السلام) بأفواههم ، والله متم الولآية والإمامة حتى قيام القائم (عجل الله فرجه) ، ولو كره الكافرون بولآية الإمام علي (عليه السلام) .

قلت : هذا تنزيل ؟ ، قال : نعم ، أما هذا الحرف فتنزيل ، وأما غيره فتأويل .[١]

والمقصود بالتنزيل نزول تفسيره من عند الله تعالى كما انزل الواجبات الدينية من الأذان والإقامة وغيرها ، إما المقصود بالتأويل فهو ما يؤول إليه الأمر من خلال تطبيق مضمون الآية على مصاديقها في الواقع الخارجي .

إذن فقد أدى الاستشهاد بهذه الآية القرآنية لإثبات ولآية أمير المؤمنين(عليه السلام) وحقانيته في القتال وانه منصب من عند الله (عز وجل) وان أعداءه غير قادرين على إطفاء هذا النور وبهذا تكون حجة على أصحابه والذين معه .

ومن مصاديق الشواهد القرآنية في خطب الجهاد خطبة الإمام علي (عليه السلام)في التحريض على القتال، فقد حرض الناس في ثلاث مواطن: في يوم الجمل ويوم صفين ويوم **النهروان فقال :" عباد الله اتقوا الله (عز وجل) وغضوا الأبصار واخفضوا الأصوات وأقلوا الكلام، و وطنوا أنفسكم على المنازلة والمجاولة والمبارزة والمعانقة والمكادمة،[٢] واثبتوا "واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون "[٣] و "ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين "[٤] ، اللهم ألهمهم الصبر، وأنزل عليهم النصر ، وأعظم لهم الأجر" .[٥]**

تأتي هذه الخطبة في سياق التحريض على القتال وتوجيه المقاتلين توجيهات عسكرية وأخلاقية ودينية ، وقد أستشهد الإمام (عليه السلام) في هذه الخطبة بآيتين من القرآن الكريم ، الأولى قوله تعالى **"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً**

---

[١]. ينظر : كتاب الكافي ، للشيخ الكليني : ج١ / ٤٣٢.
[٢]. المكادمة : مفاعلة من الكدم وهو العض والتأثير بالحديد .
[٣]. سورة الانفال : آية ٤٥.
[٤]. سورة الانفال : آية ٤٦.
[٥]. وقعة صفين : ٢٠٤.

فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ "[1]فمن خلال هذه الآية الكريمة دعا الإمام أصحابه إلى الثبات عند لقاء العدو واذكروا الله كثيرا داعين مبتهلين لإنزال النصر عليكم والظفر بعدوكم،

و هذه حجة الإمام على أصحابه بواسطة شاهد من القران الكريم ،وفي هذه الآية تنبيه على أن لا يشغل العبد شيئا عن ذكر الله (عز وجل) وأن يلتجئ إليه في الشدائد والملمات وان يقبل عليه بحمله وأثقاله .

وإما الآية الثانية التي وردت في الخطبة في قوله تعالى**" وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَاصْبِرُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ "** [2]وهي دعوه صريحة من الله (عز وجل) إلى عدم التنازع والاختلاف فيما بينكم عند القتال فتتفرق كلمتكم وتضعفوا وتذهب قوتكم واصبروا عند لقاء العدو إن الله مع الصابرين ، قال الطبرسي في قوله تعالى (وتذهب ريحكم) : معناها تذهب صولتكم وقوتكم [3]، والمعنى إن الريح هو النصر الذي يبعثه الله (عز وجل) ، فمن خلال هذين الشاهدين من القرآن الكريم وجه الإمام علي (عليه السلام) أصحابه ومقاتليه بأن يكونوا يداً واحداً ثابتين عند لقاء الأعداء ، وان يذكروا الله دائما لكي يكون النصر حليفهم ، وأيضا هي دعوة إلى عدم التنازع والاختلاف في القتال والصبر عند نزول البلاء ، وبهذا يكون الإمام علي (عليه السلام) قد أقام على أصحابه الحجة مستنداً إلى كلام الله (عز وجل) لكي يكون للشاهد أثر كبير وعميق في نفوس السامعين والمقاتلين ، باعتبار القرآن الكريم هو سلطة دينية عليا وحجة بالغة ، ومن ثمَّ يكون التأثير والإقناع أقوى في الخطاب .

وأيضا من الشواهد القرآنية الحجاجية في خطب الجهاد خطبه الإمام علي (عليه السلام) في التحريض على القتال والدعوة إلى الجهاد في صفين **فقال:" إن الله (عز وجل) قد دلكم على تجارة تنجيكم من العذاب وتشفي بكم على الخير إيماناً**

---

[1]. سورة الانفال : آية ٤٥.
[2]. سورة الانفال : آية ٤٦.
[3]. ينظر :مجمع البيان ، للطبرسي : ج٤ / ٨٤٢.

بالله ورسوله وجهاداً في سبيله وجعل ثوابه مغفرة الذنوب ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله اكبر، فأخبركم بالذي يحب فقال " إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص " فسووا صفوفكم كالبنيان المرصوص "[1] .[2]

تأتي هذه الخطبة في سياق الدعوة إلى الجهاد وما له من ثواب ومكانه عند الله (عز وجل) كما تتضمن التوجيهات العسكرية للمقاتلين وما يجب أن يلتزموا به في القتال كي ينصرهم الله (عز وجل) ، فقد استشهد الإمام علي (عليه السلام) في هذه الخطبة بقوله تعالى **"إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ "** [3] ، أي أن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً واحدًا متحدين كأنهم بنيان متراص لكي لا يخترقهم العدو بسهولة ؛ لذلك يحب الله أن يكون المؤمنون متحدين غير متفرقين وفي هذه الآية يبين الله (عز وجل) فضل الجهاد والمجاهدين، وهذه حجة الإمام علي(عليه السلام) على أصحابه وأنصاره بأن لا يتفرقوا في القتال ويكونوا صفاً واحداً في ظل ولايته وتحت لواء طاعته ولا تتفرق كلمتهم بسبب أهواءهم وكيد العدو، مستنداً في هذه الحجة إلى شاهد لا يقبلُ الشك أو التوهم وهو كتاب الله (عز وجل) ؛ باعتباره حجة بالغة على خلقه وسلطة دينية عليا ، وهذا وعد من الله (عز وجل) بأن الذين يقاتلون في سبيله صفاً سيكون النصر حليفهم ولو بعد حين ، ولذلك كان لهذه الحجة بواسطة الشاهد القرآني أثر بليغ ووقع شديد في نفوس المقاتلين أدى بهم إلى الإقتناع بما يلقى عليهم من حجج وأفكار ومن ثمَّ ساعد الشاهد القرآني على تقوية الحجة وتثبيتها في الخطاب الجهادي .

أما في البرهان في تفسير القران ، قيل عن عبد الله ابن عباس أنه جاء في قوله عز وجل : **(إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ)**

---

[1]. سورة الصف : آية ٤.
[2]. وقعة صفين : ٢٣٥.
[3]. سورة الصف : آية ٤.

قال: قلت من هؤلاء ؟ ، قال: نزلت في علي بن أبي طالب (عليه السلام) وحمزة أسد الله وأسد رسوله وعبيد بن الحارث والمقداد أبن الأسود .[١]

وقد ورد في مصباح المتهجد عن أمير المؤمنين(عليه السلام) في خطبة خطب بها يوم الغدير قال : واعلموا أيها المؤمنون أن الله عز وجل قال**(إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا)** أتدرون ما سبيل الله ومن سبيله ؟ ، أنا سبيل الله الذي نصبني للإتباع بعد نبيه (صل لله عليه واله وسلم) .[٢]

وفي مسار الخطبة السابقة قد استشهد الإمام علي (عليه السلام) بآية قرآنية أخرى **في قوله:" ومن يفعل هذا يمقته الله فلا تعرضوا لمقت الله ؛ فإنما مردكم الى الله ، قال الله لقوم:" قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلاً"**[٣] **، وآيم الله لئن فررتم من سيف العاجلة لا تسلمون من سيف الآخرة، استعينوا بالصدق والصبر ؛ فانه بعد الصبر ينزل النصر" .**[٤]

وهي دعوة وحجة للإمام علي (عليه السلام) على أصحابه بأنَ لن ينفعهم الفرار من المعركة وإن فروا من المعركة فلن يفروا من الموت فإنه ملاقيهم في وقت معين سبق به القضاء ، ولا تّمتعون إلا زمانا قليلا، وقد دعاهم إلى الصدق والصبر إلى أن ينزل النصر من عند الله (عز وجل)، فنلحظ كيف كان للحجة بالشاهد القرآني اثر في تقويه الخطاب وتمكينه في نفوس المقاتلين ومن ثمَّ إقناعهم بما يلقى عليهم ، وكل هذه الحجج كانت بسبب حرص وخوف الإمام على أصحابه بأن لا يمسهم العذاب من عند الله (عز وجل) ، وان يكونوا معه والنصر حليفهم .

وأيضا من الشواهد القرآنية في خطب الجهاد خطبة الإمام علي (عليه السلام) لما أراد الانصراف من النهروان، قام خطيبا فحمد الله وأثنى عليه **ثم قال:" أما بعد ، فان الله قد أحسن بلائكم واعز نصركم ، فتوجهوا من فوركم هذا إلى معاوية**

---

[١]. البرهان في تفسير القرآن : ج٥/ ٣٦٣.
[٢]. تفسير الصافي : ج٥ / ١٦٨.
[٣]. سورة الاحزاب : آية ١٦ .
[٤]. وقعة صفين : ٣٣٦.

وأشياعه القاسطين الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم "واشتروا به ثمنا قليلا "[١]ف "بئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون"[٢].." .[٣]

تأتي هذه الخطبة في سياق توجيه المقاتلين بعد الانصراف من معركة النهروان إلى قتال معاوية وأعوانه من أهل الشام الذين ابتعدوا كثيرا عن كتاب الله (عز وجل) ونبذوا الدين وجعلوه وراء ظهورهم مستشهدا بقول الله تعالى" **وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ"** [٤]ف "**لَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ "**[٥] ، فقد كتموا الحق وضيعوا العهد والميثاق الذي أخذه الله عليهم ، ولبئس ما باعوا به أنفسهم من الضلالة عوضاً عن الهدى والإيمان، وبهذا الشاهد يشبه الإمام هؤلاء بأحبار اليهود الذين أخذت عليهم المواثيق والعهود فنقضوها وحرفوا الكتاب المنزل واستبدلوا الهدى بالضلال ، فقد كان للإستشهاد بهذين الشاهدين من القرآن الكريم الحجة البالغة على أصحاب الإمام في التوجه لقتال معاوية وجنوده الباغين المغتصبين ، الذي دعاهم إليه الإمام (عليه السلام) مستندا في تقويه حجته بالشاهد القرآني الذي لا يمكن رده بأي شكل من الأشكال وهو حجة عليهم .

وأيضا نجد الشواهد القرآنية واضحة وجلية في خطب الجهاد عند الإمام علي (عليه السلام) ومنها خطبة الإمام بالكوفة بعد قدومه من حرب الخوارج يستنهض الناس لقتال معاوية **فقال :" أيها الناس استعدوا لقتال عدو في جهادهم القربة إلى الله ودرك الوسيلة عنده، قوم حيارى عن الحق لا يبصرونه، موزعين[٦] بالجور والظلم لا يعدلون به ، جفاة عن الكتاب ، نكب[٧]عن الدين ، يعمهون [٨]في**

---

[١]. سورة ال عمران : ١٨٧.
[٢]. سورة البقرة : آية ١٠٢.
[٣]. جمهرة خطب العرب : ٤١٨.
[٤]. سورة ال عمران : آية ١٨٧.
[٥]. سورة البقرة : آية ١٠٢.
[٦]. اوزعه بالشيء : أغراه (لسان العرب ، ج٨/٣٩٠).
[٧]. من نكب عن الطريق اي عدل ومال (لسان العرب ، ج١/٧٧٠).
[٨]. من العمه : وهو التحير والتردد في الضلال (لسان العرب ، ج١٣/٥١٩).

الطغيان ويتسكعون[١] في غمرة الظلال، ف "أعدو لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل -وتوكلوا على الله وكفى بالله وكيلا "[٢] ..." .[٣]

تأتي هذه الخطبة في سياق الدعوة والاستعداد لقتال معاوية مستنداً الإمام في دعواه هذه إلى حجة من القرآن الكريم في قوله تعالى **"وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ "**[٤] فقد دعا الإمام علي (عليه السلام) أصحابه وأنصاره إلى الاستعداد لمواجهه أعدائهم بكل ما يقدرون عليه من العدة والعدد لتدخلوا الرهبة في قلوب إعداء الله وإعدائكم المتربصين بكم وتوكلوا على الله (عز وجل)ليكون النصر حليفكم ، فمن القوة إجتماعكم على الحق والولآية، فنلحظ كيف دعم الإمام حجته بشاهد قوي لا يقبل الإنكار أو الشك، بإعتبار القران سلطة دينية وحجة بالغة عليهم لذلك أضفى ورود الشاهد القرآني على الخطاب قيمة حجاجية إقناعية كبيره كان لها وقع شديد ومؤثر في نفوس السامعين ، ومن ثمَّ أدى إلى إقناعهم بضرورة مقاتلة معاوية وجنوده الباغين المغتصبين للحقوق .

ومن الشواهد القرآنية الحجاجية في خطب الجهاد خطبة الإمام علي (عليه السلام) في ليله من ليالي صفين إذ **قال : حتى متى لا نناهض القوم بأجمعنا فقام في الناس فقال:" الحمد لله الذي لا يبرم ما نقض ولا ينقض ما ابرم لو شاء ما أختلف اثنان من هذه الأمة ولا من خلقه ، ولا تنازع البشر في شيء من أمره ، ولا جحد المفضول ذا الفضل فضله، وقد ساقتنا وهؤلاء القوم الأقدار حتى لفت بيننا في هذا الموضع ، ونحن من ربنا بمرأى ومسمع ، ولو شاء لعجل النقمة ولكان منه النصر حتى يكذب الله الظالم ويعلم المحق اين مصيره ولكنه جعل الدنيا دار الأعمال والآخرة دار الجزاء والقرار ، "ليجزي الذين اساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى"[٥] إلا أنكم لاقوا العدو غداً إن شاء الله ، فأطيلوا الليلة**

---

[١]. تسكع : مشى مشيا متعسفا وتحير (لسان العرب ، ج١٥٩/٨).
[٢]. سورة الانفال : آية ٦٠.
[٣]. تاريخ الطبري : م٥١/٦.
[٤]. سورة الانفال : آية ٦٠.
[٥]. سورة النجم: آية ٣١.

القيام وأكثروا تلاوة القران، واسألوا الله الصبر والنصر، والقوهم بالحد والحزم وكونوا صادقين" .[١]

تأتي هذه الخطبة في سياق الدعوة إلى مناهضة القوم وشد عزيمة الجيش ورفع الهمة لدى المقاتلين ويبين لهم إن هذه الدنيا هي دار عمل وبلاء وإن الآخرة هي دار جزاء وقرار ، ولكي تكون حجة الإمام على أصحابه قوية ومقنعة فقد رفدها بشاهد من القران الكريم باعتباره سلطة حجاجية عليا في قوله تعالى" **لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى "[٢]** ، فقد بين الإمام لهم من خلال هذه الآية الكريمة جزاء المسيئين وجزاء المحسنين لكي لا تكون لهم حجة بعد هذا اليوم ويعلموا ما للمجاهدين في سبيل الله من ثواب وجزاء، فقد أعطاهم عبر الطباق صورتين متعاكستين لينجذبوا إلى الأفضل منها ، كذلك أعطى هذا الشاهد القرآني للخطبة قيمة حجاجية إقناعية مؤثرة في نفوس السامعين .

وبناءً على ما سبق من الشواهد القرآنية المختلفة التي وردت في خطب الجهاد عند الإمام علي (عليه السلام) تبين أن للشاهد القرآني طاقة حجاجية إقناعية كبيرة عند وروده في الخطاب باعتباره سلطة دينية عليا وحجة بالغة على جميع المسلمين إذ كان له وقع شديد ومؤثر في نفوس السامعين لما يحمله من معان حسية واقعية تكون حجه عليهم ، ويعطي الخطاب قوة إذ يكون أكثر حجاجا وإقناعا من الخطاب الذي يكون خاليًا من الشاهد القرآني و يكون أبلغ في القصد ، فضلا عن ذلك فقد تعددت مواطن الشواهد القرآنية في الخطاب الحجاجي فمرة تأتي في الدعوة للجهاد في سبيل الله ومرة في الاستعداد لمقاتلة الإعداء ومرة تأتي لرفع المعنويات لدى المقاتلين ومرة في بيان ثواب الإعمال ومره للتحذير من الإعداء فهي بين ترغيب وترهيب ؛ من أجل تحقيق وظيفة حجاجية في بنية الخطاب بواسطة سلطة النص القرآني في ترسيخ الإيمان ، بما يلقيه من بنيات خطابية يستقبلها الجمهور بالرضا والقبول ، ويستمد المحاجج تأثيره الإقناعي من السلطة الإعتقادية لدى الجمهور

---

[١]. تاريخ الطبري : م٦/٧.
[٢]. سورة النجم : آية ٣١.

المتمثلة بالنص القرآني باعتباره أعلى مراتب السلم الحجاجي والأكثر تأثيرا لذلك أعتمده الإمام علي(عليه السلام)في نسيج خطابه .

الخاتمة

بعون الله تعالى توصل البحث الى جملة من النتائج وهي :

- ان الخطاب الحجاجي بما يمتلكه من آليات وأساليب حجاجية إقناعية له سلطة قوية وإمكانات هائلة على التأثير في الخطاب الجهادي وإقناع المتلقين لأن الخطاب العادي لا يجذب المتلقي ويؤثر فيه بقدر الخطاب المصاغ بأسلوب حجاجي إقناعي يكون أكثر قدرة على جذب النفوس والعقول لما يعرض عليها ويراد اقناعها به.
- تتميز خطب الجهاد بأنها خطاب حجاجي بحت لأجل التأثير في المتلقي واستمالته، بغية إيصاله إلى الغاية المرجوة من الخطاب وهي الدعوة الى الجهاد في سبيل الله ، وقد تطلبت هذه الدعوة خطابًا مدعومًا بأساليب حجاجية إقناعية فقد تنوعت هذه الأساليب في خطب الجهاد عند الامام علي (عليه السلام)ومنها الأساليب الإيقاعية اللغوية والبلاغية، مما جعل هذه الخطب تتميز بتنوع الخصائص والآليات الحجاجية لتحقيق غاية الاقناع والتأثير لدى المتلقي .
- ان خطب الامام علي (عليه السلام)كانت بمثابة البؤرة الاولى للحجاج في نثر صدر الإسلام إذ اتكأ عليه الامام بقصد واضح وصريح لأجل التأثير في المقابل وإقناعه بفحوى الخطاب ، لذلك فان الحجاج قد انطلق من رحم الخطابة العربية؛ ولهذا جاءت خطب الجهاد عبارة عن حجج متتالية لأجل الأقناع والتأثير فهي أسباب ونتائج ، فالجهاد من أسباب دخول الجنة ومن نتائج تركه الذل والعار في الدنيا والآخرة ، لذلك دعا الإمام علي (عليه السلام)أنصاره للقتال تارة وأخرى من خلال أساليب وآليات اقناعية حجاجية.
- لعبت موسيقى الايقاع دورا كبيرا في إضفاء سمة حجاجية اقناعية على الخطاب الجهادي ؛ وذلك لأن موسيقى الإيقاع تؤثر على العقول والأفكار وتجعل النفس تنجذب اليها بسهولة ومن ثمَّ تكون جاهزة لتقبل ما يعرض عليها من أفكار وأطروحات ومن صور الإيقاع المختلفة التي وردت في

خطب الجهاد والتي تلقاها البحث بالدراسة والتنظير هي(السجع والجناس والتكرار والازدواج والتوازي بنوعيه التقابلي والتركيبي) إذ أسهمت بجعل الخطاب الجهادي أكثر حجاجاً وإقناعاً .

- من الأساليب الإيقاعية البارزة في الخطاب الجهادي أسلوب التكرار اللفظي أو المعنوي فقد عمل التكرار على إفادة معنيين في الخطاب : الاول هو توكيد الحجج عند المقابل ، والثاني تكثيف الحجج بغية ترسيخها في ذهن المتلقي او ربما يكون هناك انكار لدى المتلقي فيعمل التكرار بواسطة تكثيف الحجج على إبطال ذلك الإنكار، ولا ننسى أهمية الأساليب الإيقاعية الأخرى مثل السجع والجناس والازدواج والتوازي فقد عملت على رسم خارطة الحجاج في الخطاب الجهادي بغية الاقناع والتأثير في المقابل .
- استطاعت اللغة من خلال الحجاج اللغوي وأساليبه على إضفاء سمة حجاجية إقناعية على الخطاب الجهادي وتغيير الفكرة الشائعة حول اللغة بأن وظيفتها الأساسية هي الوظيفة الإخبارية وأنها علامات توظف للاستعمال فقط ،ولكن لو نظرنا من زاوية اخرى لوجدنا ان الوظيفة الاكثر شمولا للغة هي الوظيفة الحجاجية التي يستطيع من خلالها تمكين الخطاب لدى المقابل وفي الوقت نفسه تحقيق الاخبار والتواصل .
- تبين أن للخطاب سلطة لغوية تضخم من إمكانيات المتكلم الحجاجية في الوقت الذي تعمل على تعطيلها لدى المتلقي ليستجيب للطرح الذي القي عليه نظرا لقوة تلك العناصر الحاملة للأبعاد المعنوية المؤثرة في المُحاجَج والتي تحمل في ذاتها قيمة حجاجية فضلاً عن دورها في شد إنتباه المتلقي نحو هدف واحد .
- عمل الحجاج اللغوي بوساطة آلياته الحجاجية بما فيها العوامل الحجاجية والروابط الحجاجية والسلالم الحجاجية على تحقيق الوظيفة الإقناعية الحجاجية في خطب الجهاد بالإعتماد على معطيات وحجج ليصل الخطاب إلى النتيجة المقصودة من تمكين الخطاب الجهادي لدى المتلقين .

- كان للروابط الحجاجية أهمية واضحة ومميزة في الخطاب الجهادي إذ إنها ربطت بين الحجج والنتائج مما يسهل على المتلقي الاقتناع بها ، فضلا عن أنها ساعدت على تحقيق الانسجام في الخطاب وتوليد دلالة النصوص وتكوينها لدى المتلقي .
- كان للسلالم الحجاجية أهمية كبيرة في تدرج الحجج بحسب قوتها وضعفها ، فعندما يكون تدرج الحجج تصاعديا تكون الحجة الأولى في أسفل السلم لتهيئة المتلقي وتحفيزه لما سياتي من حجج قوية تصاعديا ، أما عندما يكون تدرج الحجج تنازليا فهو عندما يشعر المحاجج ان البدء بالحجج الضعيفة قد يواجه ردا من المتلقي بحجج أقوى ، لذلك يبدأ المحاجج بالحجج القوية نزولا نحو الحجج الضعيفة في أسفل السلم ، سيما إذا كان هذا المتلقي من النوع الجاحد او المنكر الذي لا تنفع معه البداية بالحجج الضعيفة .
- عملت الأساليب البلاغية والصور البيانية على تحقيق وظيفتين في الخطاب الجهادي : الأولى وهي الوظيفة الجمالية التحسينية التي تعنى بزخرفة الألفاظ وتقريب المعاني ،والثانية الوظيفة الإقناعية الحجاجية التي تعمل على التأثير في المتلقي واستمالته من خلال نقل ذهن المتلقي من التفكير بصور مجردة الى التفكير بصور حسية واقعية قادرة على تجسيد المعنى وتثبيته في ذهن المتلقي ومن ثم إقناعه به .
- حجاجية أسلوب التشبيه نراها واضحة وجلية في الخطاب الجهادي من خلال تشبيه الماديات بالمحسوسات لتقريب المعنى الى ذهن السامع ومن ثمَّ توليد دلاله النص وتكوينها لديه .
- عملت الاستعارة الحجاجية في الخطاب الجهادي على زخرفة الألفاظ وتقريب المعاني ، فضلا عن تجسيد الواقع من خلال معاني وصور جميلة حسية قادرة على تقريب المعنى وتثبيته في ذهن السامع من فعاليتها في التأثير في الأذهان والإفهام ومن ثمَّ تسهم في خلق معانٍ جديدة وتوليد دلالة النصوص وتكوينها .

- للكناية أهمية كبيرة في الخطاب الجهادي من خلال قدرته على تجسيد الواقع وتقريب المعاني بطريقة ضمنية أو مضمرة تفهم من خلال سياق الكلام فالمتلقي لا تجذبه العبارات السطحية بقدر العبارات التي تكون مضمرة في خبايا النص وتكون مشعة بالإيحاء فهي تكون أكثر قدرة على جذب العقول والأسماع فتجعل المتلقي يتحرى أكثر عن المعنى مما يزيد من قوه الحجاج في الخطاب لأنها ابلغ من التصريح والحقيقة .
- للشاهد القرآني الحجاجي أهمية كبيرة لأنه يُعد حجة بالغة وسلطة دينية عليا فضلا عن أنه من أسس بلاغة الخطاب إذ لا يمكن إنكاره بأي شكل من الأشكال أو الجحد به فقد عمل الإمام علي (عليه السلام) على تضمينه في الخطاب الجهادي لما له من أثر بليغ في تقوية حجة الخطاب ودعمها .

واخيرا لا أدعي الكمال لعملي هذا لأن فهمي يبقى قاصراً عن فهم كلام المعصوم والبحث في هذا البحر العميق وبيان مدلوله .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين أبي القاسم محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين .

المصادر والمراجع

❖ القرآن الكريم

❖ الكتب المطبوعة

١.الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدين بن عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي (ت٩١١ه) ، ضبطه وصححه وخرج آياته : محمد سالم هاشم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١، ١٤٢٨ه/ ٢٠٠٧م .

٢.أساس البلاغة ، جار الله ابي القاسم الزمخشري(٥٢٨هـ) ،تحقيق: محمد باسل عيون السود ، ط١ ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ١٩٩٨م.

٣.استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، عبد الهادي بن ظافر الشهري ،دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، لبنان ، ط١، ٢٠٠٤م .

٤.اسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١او ٤٧٤ه) ، تحقيق : محمود محمد شاكر ،الناشر مطبعة المدني بالقاهرة ، دار المدني ، بجدة ، ط١، ١٤١٢ه .

٥.الأسس الجمالية للنقد العربي ،عرض وتفسير ومقارنة د. عز الدين اسماعيل ، دار الفكر العربي ، ط١، ١٩٧٤.

٦.أسس النقد الادبي الحديث ، إعداد : مارك شورر ، جوزفين مايلز ، جوردن ماكنزي ، ترجمة : هيفاء هاشم ، مراجعة نجاح العطار ، نشر وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٦٧م.

٧.الأسلوب والأسلوبية ، بين العلمانية والادب الملتزم بالإسلام، عدنان علي رضا النحوي ، دار النحوي للنشر والتوزيع ، ١٩٩٩م.

٨.اسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي ، مثنى كاظم صادق ، منشورات ضفاف ، لبنان ، ط١ ، ٢٠١٥م.

٩.الإصابة في تمييز الصحابة ، ابن حجر العسقلاني ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١، ١٩٩٥م.

١٠.اصول البيان العربي في ضوء القرآن الكريم ، د. محمد حسين علي الصغير ، دار المؤرخ العربي ، لبنان ، بيروت ، ١٩٩١.
١١.إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، مصطفى صادق الرافعي ، الناشر مؤسسة هنداوي ، المملكة المتحدة ، وندسور ، ٢٠١٧م.
١٢.افاق جديدة في الدرس اللغوي المعاصر ،محمود احمد نحلة ،دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، مصر ، لسنة ٢٠٠٠م.
١٣.الإكمال في أسماء الرجال ، شيخ ولي الدين أبي عبد الله الخطيب التبريزي(٧٤١هـ) ، تعليق : أبي أسد الله بن الحافظ الأنصاري ، مؤسسة أهل البيت (عليهم السلام) قم المقدسة .
١٤.أليات الحجاج وادواته ،بحث ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية تطبيقية في البلاغة الجديدة ، د. حافظ اسماعيل عليوي، عالم الكتاب الحديث ، الاردن ، ٢٠١٠م.
١٥.إنشاء النفي وشروطه النحوية والدلالية ، شكري المبخوت ، مركز النشر الجامعي ، كلية الآداب والفنون ، جامعة منوية ، تونس ، ٢٠٠٦م.
١٦.الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالية ، ميلاد خالد ، المؤسسة العربية للتوزيع ، ط١، تونس ، ٢٠٠١م.
١٧.الايضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع ، للخطيب القزويني محمد بن عبد الرحمن بن جلال الدين ، وضع هوامشه : أبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
١٨.بديع القرآن ، ابن ابي الاصبع عبد العظيم المصري ، تحقيق ، د. جفني محمد شرف ، دار نهضة مصر ، ط٢ .
١٩.البديع في ضوء اساليب القرآن ، عبد الفتاح لاشين ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٩٩.
٢٠.البديع في نقد الشعر ، اسامة بن منقذ (ت ٥٨٤ه) ، تحقيق : احمد أحمد بدوي ، حامد عبد المجيد ، ط١ ، الادارة العامة للثقافة ، القاهرة – مصر .

٢١.البديع والتوازي ، عبد الواحد حسن الشيخ ، مطبعة الاشعاع الفنية ، ط١، ١٩٩٩.

٢٢.البرهان في تفسير القرآن ،هاشم البحراني ، منشورات مؤسسة الاعلى للمطبوعات ، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

٢٣.البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين الزركشي ، تحقيق : محمود ابو الفضل إبراهيم ، دار الفكر ، بيروت –لبنان ، ط٣، ج٢، ١٩٨٠م.

٢٤.البرهان في وجوه البيان ، ابو الحسن اسحاق بن وهب ، تحقيق : جفني محمد شرف ، مطبعة الرسالة ، عابدين ، مصر .

٢٥.بلاغة ارسطو بين العرب واليونان ، ابراهيم سلامة ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ط٢، ١٩٥٢.

٢٦.بلاغة الاقناع في المناظرة ، عبد اللطيف عادل ، منشورات ضفاف ، لبنان ، ط١، ٢٠١٣م .

٢٧.بلاغة الخطاب الإقناعي ، محمد العمري ،افريقيا الشرق ، ط٢، ٢٠٠٢م.

٢٨.البلاغة العربية (علم المعاني) ، وليد ابراهيم قصاب ،دار القلم ، دبي ، ١٩٩٩م.

٢٩.البلاغة العربية إسسها وعلومها وفنونها ، عبد الرحمن حسن حبنكه الميداني ،دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، ٢٠٠٧م .

٣٠.البلاغة العربية قراءة اخرى ، محمد عبد المطلب ، مكتبة لبنان ناشرون ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، لونجمان ، ط١، ١٩٩٧م.

٣١.البلاغة العربية (علم البديع)، دكتور أحمد حسن المراغي ، دار العلوم العربية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٩٩١م .

٣٢.البلاغة الواضحة (البيان والمعاني والبديع) ، علي الجازم ومصطفى أمين ، ط٧، دار المعارف بمصر .

٣٣.البلاغة والاستعارة من خلال كتاب فلسفة البلاغة ، ريتشارد ، د. سعاد انقار ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته ، افريقيا الشرق ، المغرب ، د.ت.

٣٤.البلاغة والتطبيق ، د. احمد مطلوب احمد الناصري التكريتي ، نشر وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، جمهورية العراق ، ط٢، ١٩٩٩م.
٣٥.البنية الايقاعية ، عمر خليفة ادريس ، منشورات قار يونس ، ليبيا ، ط١.
٣٦.البنية الايقاعية لقصيدة المعاصرة في الجزائر ، عبد الرحمن تبرماسين ، دار الفجر للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٣م .
٣٧.البيان والتبيين ، لابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥ه)، تحقيق : عبد السلام هارون ، دار ومكتبة الهلال – بيروت ، ١٤٢٣هـ .
٣٨.تاريخ الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، لابي جعفر محمد ابن جرير الطبري (٢٢٤_ ٣١٠ه) ، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم ، ط٢ ، دار المعارف – مصر ، ١٩٦٧م .
٣٩.تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر ، ابن ابي الاصبع المصري(٦٥٤ه)، تقديم وتحقيق حفني محمد شرف ، يشرف على اصداره محمد توفيق عويضة ، الجمهورية العربية المتحدة ، المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية ، لجنة احياء التراث الاسلامي .
٤٠.التداولية من اوستن الى غوفمان ، فيلبب بلانشيه ، ترجمة صابر الحباشة ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، اللاذقية ، سوريا ، ط١ ، ٢٠٠٧م.
٤١.التداولية والحجاج ، مدخل ونصوص ، صابر الحباشة ،صفحات للدراسات والنشر ، دمشق ، ط١ ، ٢٠٠٨م .
٤٢.التصوير الفني في القرآن ، سيد قطب ، دار الشروق ، القاهرة ، ط١٦، ٢٠٠٢م.
٤٣.التعريفات ، علي بن محمد بن علي الشريف الجرجاني ، تحقيق : ابراهيم الانباري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط١، ١٤٠٥هـ .
٤٤.تفسير الصافي ، تأليف محمد محسن الكاشاني المشهور بالفيض الكاشاني المتوفى سنة (١٠٩١) ، منشورات مؤسسة الاعلى للمطبوعات ، بيروت ، لبنان ، ط١، ١٣٩٩_١٩٧٩م.

٤٥.تلخيص الخطابة ، ابي الوليد محمد بن احمد ابن رشد القرطبي الاندلسي ، تحقيق : عبد الرحمن بدوي ، وكالة المطبوعات للنشر ، الكويت ، د.ت.
٤٦.التناسب البياني في القرآن ، دراسة في النظم المعنوي والصوتي ، احمد ابو زيد ، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية ، الرباط ، المغرب ، ١٩٩٢م.
٤٧.ثلاث رسائل في اعجاز القرآن ، الرماني والخطابي والجرجاني ، تحقيق : محمد خلف الله ومحمد زغلول ، دار المعارف ،مصر ، ط٣، ١٩٧٦.
٤٨.جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة ، أحمد زكي صفوت ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١، د.ت.
٤٩.الجنى الداني في حروف المعاني ، الحسن بن قاسم المرادي ،تحقيق : فجر الدين قباوة ، ومحمد نديم فاضل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١، ١٩٩٢م.
٥٠.الحجاج اطره ومنطلقاته وتقنياته ،اهم نظريات الحجاج ، عبد الله صولة ، كلية الآداب بمنوية ، تونس .
٥١.الحجاج عند البلاغيين العرب ، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته ، علي محمد علي السلمان .
٥٢.الحجاج في التواصل ، فيليب بروطون ، ترجمة : محمد ميشال وعبد الواحد التهامي العلمي ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ٢٠١٣م.
٥٣.الحجاج في الحديث النبوي الشريف ، دراسة تداولية ، د. امال يوسف الغامسي ، دار المتوسط للنشر ، تونس ، ط١، ٢٠١٥م.
٥٤.الحجاج في الخطاب السياسي ، عادل عبد اللطيف ، مؤسسة افاق ، مراكش ، المغرب ، ط١ ، ٢٠١٧ م.
٥٥.الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية الى القرن الثاني للهجرة بنيته واساليبه ، سامية الدريدي ، عالم الكتب الحديث ، أربد ، ط١، ٢٠٠٨.
٥٦.الحجاج في القرآن من خلال خصائصه الاسلوبية ، عبد الله صولة ، دار الفارابي ، بيروت ، ط٢، ٢٠٠٧م.

٥٧.الحجاج في اللغة ، د. ابو بكر العزاوي ، بحث ضمن كتاب (الحجاج مفهومه ومجالاته) ، ط١، المغرب ، ٢٠٠٦م.
٥٨.الحجاج والائتلاف الحجاجي ، دراسات في البلاغة الجديدة ، حافظ اسماعيل علوي ، دار ورد للنشر ، الاردن ، ٢٠١١.
٥٩.الحجاج والمعنى الحجاجي ، ابو بكر العزاوي ، مقال ضمن كتاب التحاجج ومجالاته ،تنسيق :حمو النقاري ، كلية الاداب والعلوم الانسانية ، الرباط ، ط١، ٢٠٠٦م.
٦٠.الحجاج والمعنى الحجاجي ، ضمن كتاب الاحتجاج ، للشيخ احمد الطبرسي ، تعليق السيد محمد باقر الخرسان ، دار النعمان للطباعة والنشر ، النجف الاشرف ، ١٩٦٦م.
٦١.خصائص الايقاع الشعري ، عميش العربي ، دار الاديب للنشر والتوزيع ، وهران ، ٢٠٠٥.
٦٢.الخطابة ، أرسطوا طاليس ، ترجم له وحقق نصوصه الدكتور ابراهيم سلامة ، مكتبة الانجلو المصرية للطبع والنشر ، ط٢ ، ١٩٥٣م.
٦٣.الخطابة العربية اصولها وتاريخها في ازهر عصورها ، محمد ابو زهرة ، دار الفكر العربي ، القاهرة .
٦٤.الخطابة واعداد الخطيب ، عبد الجليل شبلي ، دار الشروق ، ط١، ١٩٨١م.
٦٥.الخطيئة والتكفير ، عبد الله الغذامي، المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء المغرب ،ط٦ ، ٢٠٠٦.
٦٦.دائرة الاعمال اللغوية – مراجعات ومقترحات ، شكري المبخوت ، دار الكتاب الجديدة المتحدة ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠١٠م .
٦٧.دراسات منهجية في علم البديع ، محمد الشحات ،ط١، ١٩٩٤م.
٦٨.دلائل الاعجاز ، ابو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي ،(ت ٤٧١هـ) ، تحقيق: محمد التنيجي ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، د.ط، د.ت .

٦٩.رجال الطوسي ، للشيخ ابي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (٤٦٠هـ) تحقيق جواد القيومي الاصفهاني ، مؤسسة النشر الاسلامي – قم المقدسة ، ط١، ١٤١٥هـ.

٧٠.سر الفصاحة ، للأمير محمد بن عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي (ت ٤٦١ه) تحقيق : علي فودة ، مكتبة الخانجي للنشر بمصر ، ط١ ، ١٩٣٢.

٧١.شرح المفصل ، موفق الدين ابي البقاء بن يعيش الموصلي ،قدم له : اميل بديع يعقوب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ج٦ ، ط١ .

٧٢.شرح نهج البلاغة ،عبد الحميد بن ابي الحديد المعتزلي ، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار احياء التراث العربي ، القاهرة ، ط١، ١٩٥٩م.

٧٣.الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، جابر عصفور ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط٣، ١٩٩١.

٧٤.الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم دقائق الاعجاز ، يحيى بن حمزة بن علي ابراهيم العلوي ت (٧٤٩ه) ، تصحيح : سيد بن علي المرصفي ، مطبعة المقتطف مصر ، ١٩١٤م .

٧٥.علم البديع ، عبد العزيز عتيق ، دار الافاق العربية ، ط١، ٢٠٠٠م.

٧٦.علم البلاغة ، السيد محمد الحسيني الشيرازي ، مؤسسة الرسول الاكرم (صلى الله عليه واله وسلم) ،ط١، ١٩٩٧.

٧٧.علم النص ، مدخل متداخل الاختصاصات ، تون فان ديك ، ترجمة سعيد حسن بحيري ، ط١ ، دار القاهرة للكتاب ، مصر ، ٢٠٠١م.

٧٨.علوم البلاغة ، احمد مصطفى المراغي ، دار الافاق العربية ، القاهرة ، ط١، ٢٠٠٠م.

٧٩.العوامل الحجاجية في اللغة العربية ،عز الدين الناجح ، مكتبة علاء الدين ، صفاقس ، تونس ، سنة ٢٠٠١م.

٨٠.فقه اللغة وخصائص العربية ، محمد المبارك ، دار الفكر ، بيروت ، ط٦، ١٩٧٥م.

٨١.فن الجناس ، علي الجندي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٥٤.

٨٢.فن الخطابة ، إبراهيم البدوي ، دار القول الثابت للنشر ، ط٣، ٢٠٠٨م.

٨٣.فن الخطابة ، د. احمد محمد الحوفي ، أستاذ الأدب العربي بجامعة القاهرة ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٣م.

٨٤.فن الخطابة وتطوره عند العرب ، أيليا الحاوي ، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط١، ١٩٩٧م.

٨٥.في اصول الحوار وتجديد علم الكلام ، طه عبد الرحمن ، المؤسسة الحديثة للنشر ، ط١، ١٩٨٧م.

٨٦.في حجاج النص الشعري ، محمد عبد الباسط عبد ،افريقيا الشرق ،المغرب ، ٢٠١٣ م.

٨٧.القاموس المحيط ، مجد الدين ابي طاهر محمد بن يعقوب بن محمد بن ابراهيم الشيرازي الفيروز ابادي (ت٨١٧هـ) ، مؤسسة الرسالة للنشر ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٠هـ.

٨٨.كتاب البديع ،تأليف ابو العباس عبد الله ابن المعتز ، تحقيق : إغناطيوس كراتشقوفسكي(ت١٩٥١) ،ط٣ ، دار المسيرة للنشر ، الكويت ، ١٩٨٢م.

٨٩.كتاب البلاغة (البيان والبديع) ، تأليف : مناهج جامعة المدينة العالمية ، الناشر جامعة المدينة العالمية ، د.ت.

٩٠.كتاب الصناعتين ، ابو الهلال العسكري ، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار احياء الكتب العربية ، ط١، ١٩٥٢.

٩١.كتاب الكافي ، للشيخ محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني الرازي (ت ٣٢٩ه)، تحقيق : قسم احياء التراث ، مركز بحوث دار الحديث، الناشر دار الكتاب الاسلامي ، مطبعة الحيدرية ، طهران ، ايران ، ١٣٦٣ه.

٩٢.لسان العرب ، ابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري (ت ٧١١ه) ،دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، د.ت.

٩٣.اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، طه عبد الرحمن ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط١، ١٩٩٨.

٩٤.اللغة والخطاب ، عمر اوكان ، افريقيا الشرق ، المغرب ، ٢٠٠١م.

٩٥.مبادئ في اللسانيات ، خولة طالب الابراهيمي ،دار القصبة للنشر ، الجزائر ، (د.ط) سنة ٢٠٠٠م .

٩٦.المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ضياء الدين بن الاثير ، تحقيق : الحوفي بدوي طبانة، القاهرة ، مصر ، ١٩٦٠.

٩٧.مجمع البيان في تفسير القرآن ،ابو علي الفضل الطبرسي(ت ٥٤٨ه) ، مكتبة صيدا العرفان للنشر ، لبنان ، بيروت ، ١٣٣٣ه .

٩٨. المحكم والمحيط الأعظم في اللغة ، علي بن اسماعيل بن سيدة ، تحقيق : مصطفى السقا وحسين نصار ، مكتبة مصطفى البابي ، القاهرة ، ط١، د.ت .

٩٩.المرشد الى فهم اشعار العرب ، عبد الله الطيب ، دار الفكر العربي ، ١٩٦٩.

١٠٠.المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية (معجم عربي – اعجمي) محمد رشاد الحمزاوي ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ١٩٨٧.

١٠١.معاني الحروف ، ابو الحسن علي بن عيسى الرماني ، تحقيق : عرفان بن سليم حسونة ، المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٥م .

١٠٢.معجم البلدان ، للشيخ شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت الحموي الرومي البغدادي ، دار أحياء التراث العربي ، بيروت –لبنان ، ١٩٧٩م.

١٠٣.معجم العين ، الخليل عبد الرحمن بن احمد الفراهيدي(١٠٠- ١٧٥ه) ، تحقيق : الدكتور محمد المخزومي و ابراهيم السامرائي ،منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت ، لبنان .

١٠٤.معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، احمد مطلوب ،مكتبة مدرسة الفقاهة .

١٠٥.مفتاح العلوم ، للسكاكي ، شرح نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٣.

١٠٦.مقالات في الاسلوبية ، منذر عياشي ، دار نينوى ، ط١، ٢٠١٥.

١٠٧.مقاييس اللغة ، ابن فارس اللغوي ، تحقيق : عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٨١، مادة (سجع) .
١٠٨.من الحجاج الى البلاغة الجديدة ،جميل حمداوي ، افريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، المغرب ، ٢٠١٤م .
١٠٩.المنزع البديع في تجنيس اساليب البديع ، لابي محمد القاسم السلجماسي ، تحقيق : علال الغازي ، مكتبة المعارف ، الرباط ، المغرب ، ط٢، ١٩٨٠م.
١١٠.منهاج البلغاء وسراج الادباء ، ابي الحسن حازم القرطاجني ، تحقيق : محمد حبيب الخوجة ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، ط٤، ٢٠٠٧.
١١١.النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي ، فان ديك ، ترجمة عبد القادر قنيني ، افريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، د.ط.ت ، سنة ٢٠٠٠م .
١١٢.نظرية الحجاج في اللغة ، ضمن كتاب اهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو الى اليوم ، شكري المبخوت ، منشورات الآداب ، جامعة منوية ، تونس .
١١٣.نظرية أيقاع الشعر العربي ، محمد العياشي ، المطبعة العصرية للنشر والتوزيع ، ١٩٧٦م.
١١٤.نقد الشعر ، ابو الفرج قدامة بن جعفر ت (٢٣٧هـ) ، تحقيق وتعليق : محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
١١٥.نهج البلاغة ، للشريف الرضي ، شرحه الشيخ محمد عبدة ، دار انتشارات لقاء ، قم ، ايران ، ط١، ٢٠٠٤م.
١١٦.وقعة صفين ، نصر بن مزاحم المنقري ت (٢١٢هـ) ، تحقيق عبد السلام هارون ، المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع ، ط٢، ١٣٨٢م.

المجلات :

١. الاسس المعرفية لمقاربة النصوص الحجاجية عرض مفهومي لمصطلحي (الحجاج اللغوي والعامل الحجاجي) ، د. كمال نجوش ، مجلة تعليمية اللغة والنصوص ، جامعة يحيى فارس المدية ، العدد ٢١٠٦٥٩.

٢. الاقتضاء في التداول اللساني ،عادل فاخوري ، مجلة عالم الفكر ، ١٩٨٩م .

٣. البيان الحجاجي واعجاز القرآن الكريم ، سورة الانبياء نموذجًا ، عبد الحليم بن عيسى ، مجلة التراث العربي ، العدد ١٠٢، دمشق ، ٢٠٠٦.

٤. الحجاجيات اللسانية عند ديكرو وانسكومبر ، رشيد الراضي ، مجلة عالم الفكر ،العدد ١، سبتمبر ، ٢٠٠٥ م.

٥. حجاجية التشبيه عند النقاد العرب القدامى ، تركي محمد ، مجلة اتحاد الكتاب العرب ، العدد ٣٢، ٢٠١٤.

٦. الخطاب الحجاجي وصلاته الاجتماعية ، مقاربة سوسيولسانية ، د. نعمة الطائي ، جامعة بغداد ، مجلة الاستاذ ، العدد ٢٢٠ ، لسنة ٢٠١٧.

٧. السلالم الحجاجية في شعر احمد الوائلي ، عايد جدوع حنون ، صلاح جبار شناوة العبودي ، مجلة اوروك ، العدد ٢ ، المجلد ٩ ، ٢٠١٦م.

٨. نظرية الحجاج اللغوي عند ديكرو وانسكومبر ، د. محمد اسماعيل ، مجلة جامعة تشرين ، العدد ٤.

٩. السلالم الحجاجية في كلام الإمام الحسن (عليه السلام) ، للدكتور مزاحم مطر حسين والباحثة مروة حسين كاظم ، مجلة كلية التربية ، جامعة بابل ، العدد ٤١، ٢٠١٨ م.

١٠. الملفوظات الاستفهامية بين القيمة الحجاجية والتوجيه المعنوي ، قراءة في نماذج من خطابات محمد البشير الابراهيمي ، للدكتور علي حميداتو ، جامعة البليدة ٢، مجلة دراسات أدبية العدد ٢، الجزائر ، ماي ٢٠١٨م.

الرسائل والأطاريح :

١. آليات الحجاج في الخطاب السياسي للأمير عبد القادر نموذجًا ، أطروحة دكتوراه للطالبة نورية لعرباوي ، جامعة وهران ، الجزائر ،٢٠١٧.
٢. البعد الحجاجي في الاعمدة الادبية (مجلة دبي الثقافية نموذجا) ، جليلة بنت سعيد القاسمي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة نزوى ، عمان ، ٢٠١٦م.
٣. الحجاج في كتاب المثل السائر لابن الاثير ، نعيمة يعمران ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب واللغات ، جامعة مولود معمري ، الجزائر ، ٢٠١٢م.
٤. رسائل الامام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة ، رائد مجيد جبار الزبيدي ، اطروحة دكتوراه كلية الآداب جامعة البصرة ، ٢٠١٣م ، مؤسسة علوم نهج البلاغة ، العراق ، كربلاء .
٥. السلالم الحجاجية في القصص القرآني ، فايزة بو سلاح ، اطروحة دكتوراه في اللسانيات ، اشراف عبد الحليم بن عيسى ، جامعة وهران ، ٢٠١٤-٢٠١٥.

-

abstract

abstract: The intellectual and philosophical changes have affected the research convictions, which affected the production of analysis methods and their adoption of the task of reading texts and clarifying ideas, and the repercussions that occurred after the wave of modernity that occurred in the methods and mechanisms of analysis, Emma affected the structure of thinking and analysis techniques, where one of the most important repercussions that occurred in thinking is the ways of thinking in discourse after the mind exceeded thinking in bulk and text. The argumentative approach was one of the most important data of that collapse in the processes of thinking and analysis, as it was an approach to reading and analyzing texts by revealing the purposes of the text, and then the pilgrims move towards convincing the addressee to achieve the desired end of the communication process between (the addressee and the addressee), as the importance of argumentative methods is to show the persuasive aspects of each text contained in it, which aims to convince the recipient, Or change his belief in a case, or his behavior towards a certain matter. In order for the research to be productive, I have chosen a blessed text from the heritage of the people of the House of Prophethood (peace be upon them) that is the sermons of jihad when Imam Ali (peace be upon him), trying to reveal the mechanisms of pilgrims and his persuasive methods in the texts of those speeches, and This study aims to clarify the methods and mechanisms of pilgrims in the sermons of jihad when Imam Ali (peace be upon him) and their role in the process of influence and persuasion, the first chapter was in

the rhythmic pilgrims and methods of (rhyme and alliteration and repetition and duplication and parallelism) and the second chapter in the linguistic pilgrims and his methods (argumentative factors and links pilgrims and ladders pilgrims) The third chapter was in the rhetorical pilgrims and its methods (analogy, metaphor, metonymy and Quranic quotation) and the statement of what involved these methods of persuasive arguments capable of influencing The addressee and his appeal to what is presented to him according to the perspective of Hajjaji works to analyze the text or discourse to its methods and various argumentative factors, and to explain its role in the jihadist discourse, which turned into a argumentative discourse due to those methods and mechanisms of persuasive arguments in order to achieve the call to jihad for the sake of Allah.

-

The Republic of Iraq
Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of kerbala / College of Islamic Sciences
The Department of Arabic Language

Sermons of jihad according to Imam Ali

(peace be upon him) Hajjaj study

Letter submitted to the Council of the College of Islamic Sciences / University of Kerbala It is part of the requirements for obtaining a master's degree in Arabic language / language of the Qur'an And its literature

Posted by:
Hussein Majeed Salman

supervised by:
Professor Dr. Taghreed Abdul Amir Al-Khafaji

2023AD 1444 AH